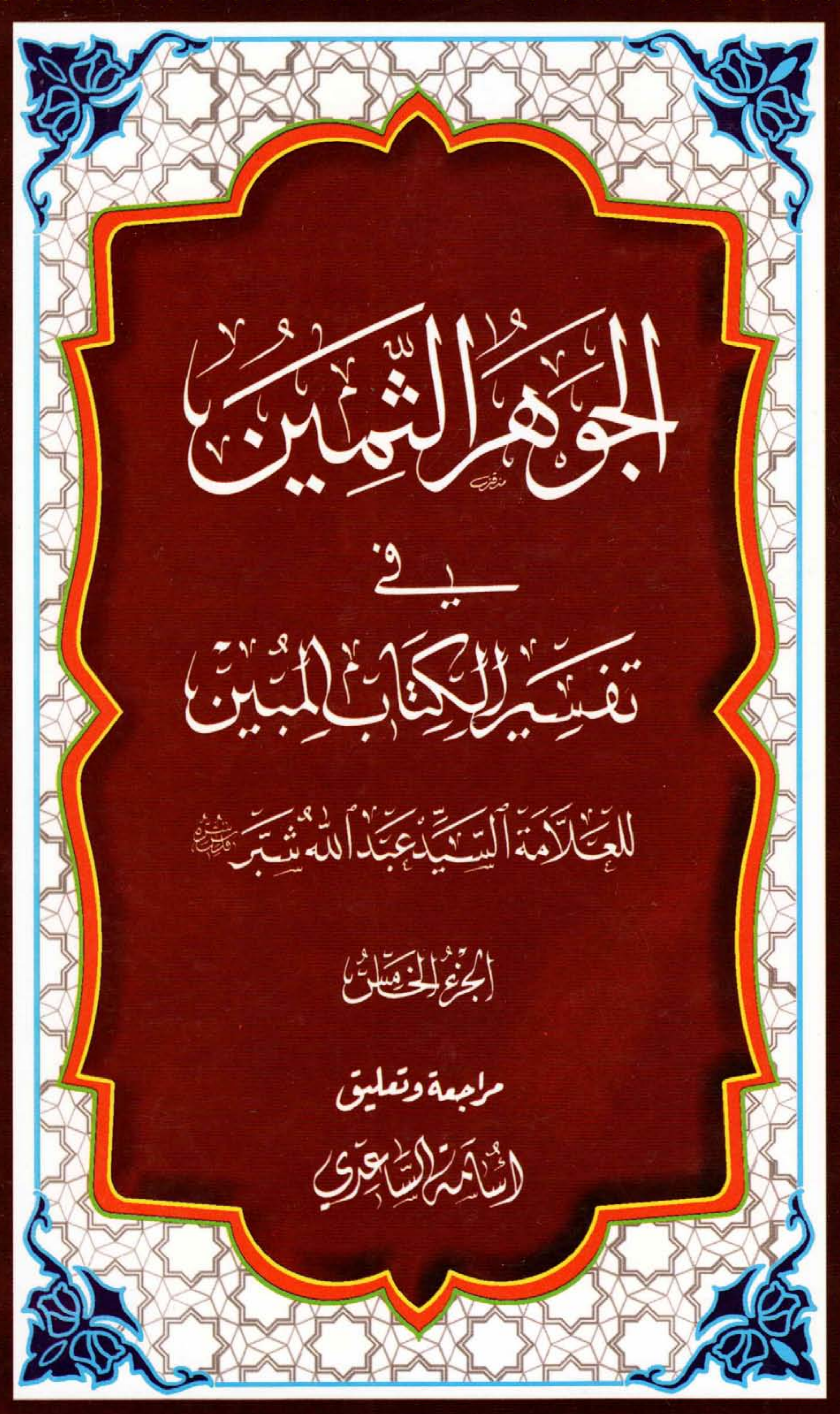
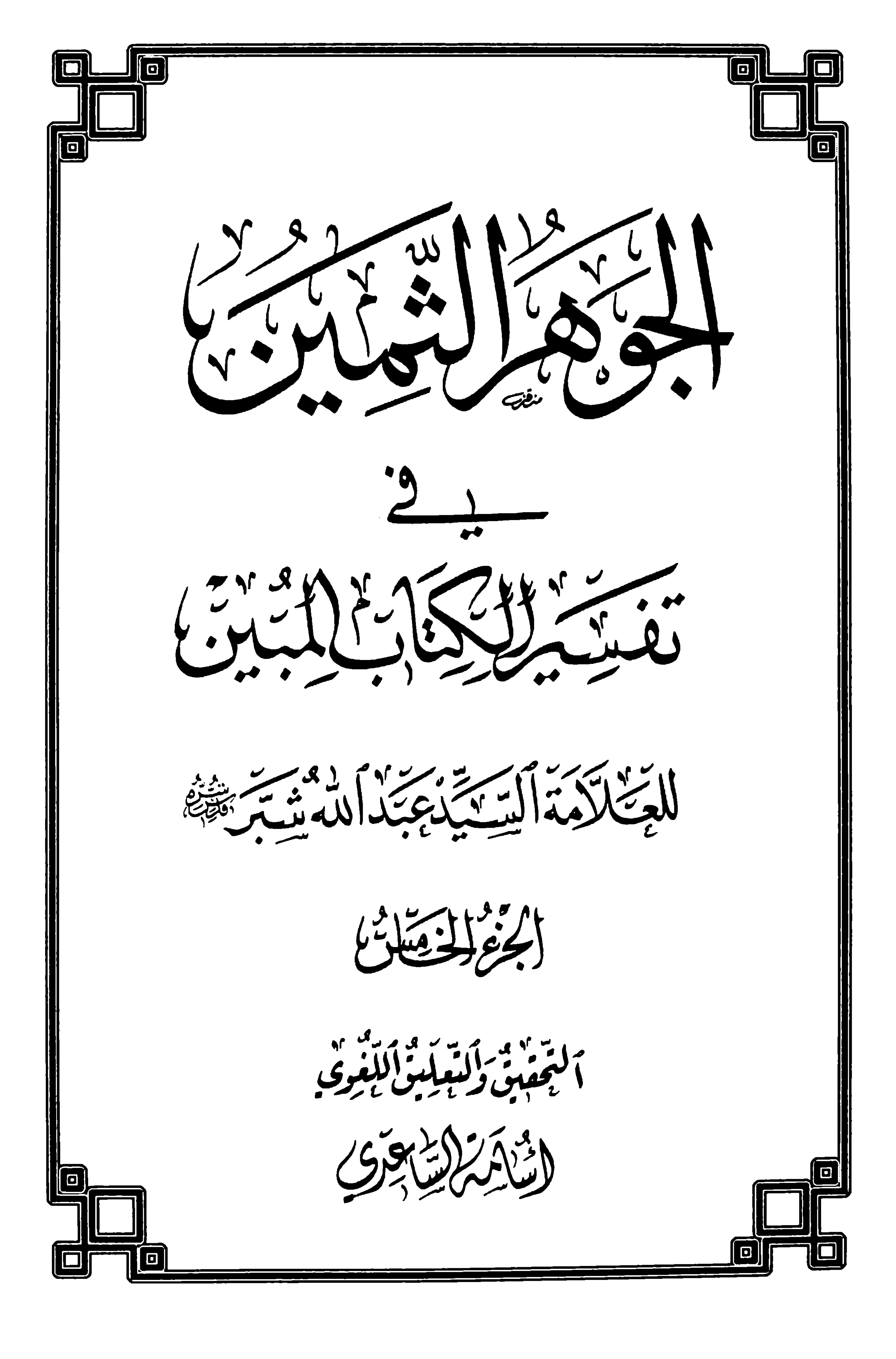


الجوهر الثمين
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره
الجزء الخامس
مراجعة وتعليق
أسامة الساعدي


الجوهر الثمين
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره
الجزء الخامس
التحقيق والتعليق اللغوي
أسامة الساعدي

شبر ، عبدلله ، ۱۷۷۴ ـ ۱۸۳۶ م .
الجوهر الثمین فی تفسیر الکتاب المبین / لعبدلله
شبر؛التحقیق والتعلیق اللغوی اسامه الساعدی.
قم: ذوی‌القربی، ۱۳۸۸.
۲۱۶۰ ص .
دوره ۶ جلدی ISBN:978 - 964 - 518 - 318 - 7
فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
کتاب حاضر تفسیر وسیط از تفاسیر سه‌گانه مولف
می‌باشد
موضوع: تفاسیر شیعه - قرن ۱۳ ق،
رده بندی کنگره: ۹ ج ۲ ش / ۹۷ BP
رده بندی دیویی: ۱۷۲۶ ـ ۲۹۷



▣ اسم الكتاب : الجوهر الثمين فى تفسير الكتاب المبين ج ۵

▣ المؤلف : السيد عبدالله الشبر

▣ الناشر : ذوي‌القربى

▣ الطبعة : الأولىٰ

▣ تاريخ الطبع : ۱۴۳۱ هـ ق

▣ الكمية : ۱۰۰۰

▣ المطبعة : سليمانزاده

▣ شابك دوره : ۷ـ ۳۱۸ـ ۵۱۸ـ ۹۶۴ـ ۹۷۸

▣ شابك (ج ۵) : ۷ـ ۳۶۳ـ ۵۱۸ـ ۹۶۴ـ ۹۷۸

▣ مركز التوزيع : قم ـ پاساژ قدس ـ الطابق الاوّل ـ رقم ۵۹ ـ تليفون: ۷۷۴۴۶۶۳ـ۲۵۱ـ۹۸+

سورة القصص

ثمان وثمانون آية، مكية.

[الآيات ١ — ١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

وقد مرّ فضلها في قراءة الطواسين الثلاث ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ طسم تِلْكَ﴾ الآيات ﴿آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ﴾ السورة، أو القرآن البيّن إعجازه، أو المبيّن له ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ بتلاوة جبرئيل ﴿مِنْ نَبَإِ مُوسى وفِرْعَونَ﴾ بعض خبرهما ﴿بِالْحَقِّ﴾ محقين ﴿لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَونَ عَلا فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر استئناف يفسّر (النبأ) ﴿وجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً﴾ فرقاً يشيعونه في طاعته، أو أصنافاً في خدمته، أو فرقاً مختلفة متعادين لينقادوا له ﴿يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل. والجملة حال من(جعل) أو صفة (شيعاً)، أو مستأنفة، ويبدل منها: ﴿يُذَبِّحُ

أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ﴾ يستبقيهن لأنّ كاهناً أخبره بأنه يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكه على يده﴿ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل لغير طائل إذ لو صدق الكاهن لم يدفعه القتل وإن كذب فلا وجه له﴿ وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية عطف على (إنّ فرعون) إذ هما تفسير للنبأ أو حال من يستضعف أي: ونحن نريد ﴿ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ بخلاصهم من بأسه في المآل، فالمقارن للإستضعاف الإرادة لا المراد﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ مقدمة في الدارين وما فيه من القراءة سبق في التوبة﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾ لملك فرعون﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام بتسليطهم فيها﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ﴾ وزيره ﴿ وَجُنُودَهُما﴾ وقرأ حمزة والكسائي (ويرى) بالياء ورفع ما بعده﴿ مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل﴿ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم، وعن علي (ع): هم آل محمد (ص) يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل أعداءهم. وعن الصادق (ع): هذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة﴿ وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ إلهاماً، أو رؤيا لما ولدته ولم يعلم به أحد سوى أخته، وقيل دعت قابلة من الموكلات بالحبالة فلما ولد هالها نوره فأحبّته حباً منعها من السعاية[1] به﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه ﴿ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ ذلك ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ في النيل﴿ وَلا تَخافِي﴾ ضيعته ولا غرقه ﴿ وَلا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ عن قريب﴿ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، ثم ألحّ فرعون في طلب الولدان فوضعته في تابوت مطليّ داخله بالقار[2] ممهّد له فيه وأغلقته وألقته في النيل ليلاً﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ بتابوته فوضع بين يديه وأخرج موسى

---

(١) السعاية : أي: الوشاية والنميمة . يقال : (سعى بفلان) أي: وشى به عند من يؤذيه.

(٢) القار: مادة سوداء تشبه الصابون ولكنها متماسكة جداً . تطلى بها القوارب والسفن لكي لا يتسرب اليها الماء.

منه﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوا وحَزَناً﴾ تعليل لإلتقاطهم إياه بما هوعاقبته ومؤدّاه تشبيها له بالغرض الجاعل عليه، وضمّ الحاء حمزة والكسائي وسكنا الزاء﴿ إِنَّ فِرْعَونَ وهامانَ وجُنُودَهُما كانُوا خاطِئينَ في﴾ كل أمر، فليس خطؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم، أوعاصين فعوقبوا بأن ربّوا عدوهم في حجورهم ﴿ وقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَونَ ﴾ حين قيل هو الصبيّ الذي تحذره دعنا نقتله فهمّ بذلك هو ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي ولَكَ﴾ روي: أنه قال لها: قرّة عين لك فأما لي فلا. قال رسول الله (ص) والذي يحلف به لو أقرّ فرعون بأن يكون قرّة عين كما أقرّت امرأته لهداه الله به كما هداه ولكن أبى إلاّ الشقاء الذي كتبه الله عليه﴿ لا تَقْتُلُوهُ﴾ الجمع للتعظيم، أو خاطَبته وأعوانه﴿ عَسى أنْ يَنْفَعَنا﴾ فإن فيه مخايل النفع وذلك لما رأت من نوره وارتضاعه إبهامه لبناً وبرأ برص[١] ابنتها بريقه﴿ أو نَتَّخِذَهُ ولَداً﴾ فإنه أهل التبنّي﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ حال من فاعل التقطه، أي: وهم لا يشعرون أنهم على خطأ في التقاطه ورجاء نفعه وتبنيه، وجملة (أن فرعون) معترضة تؤكد خطأهم﴿ وأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى﴾ لمّا سمعت بالتقاطه ﴿ فارِغاً﴾ من كل شيء سوى همّه، أو من العقل لدهشتها، أو من الحزن لوثوقها بوعد الله﴿ إنْ﴾ المخففة أي: أنها﴿ كادَتْ لَتُبْدي بِهِ﴾ لتظهر أنّه ابنها جزعاً وضجراً﴿ لَولا أنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها﴾ سكّناه بالصبر﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمنينَ﴾ المصدقين بوعدنا وجواب (لولا) دلّ عليه ما قبلها﴿ وقالَتْ لِأُخْتِهِ مريم قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ عن بعد مجالسة﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ أنها تقص وانها أخته عن الباقر (ع) أوحى الله إليها: أن اعملي التابوت، ثم اجعليه فيه ثم أخرجيه فاطرحيه في نيل مصر فوضعته في التابوت ثم دفعته في

---

(١) مرّ بنا ان معنى البرص: هوبياض يصيب الجلد وينتشر في اجزائه.

اليمّ[1] فجعل يرجع إليها وجعلت تدفعه في الغمر[2] وإن الريح ضربته فانطلقت به فلمّا رأته قد ذهب به الماء همّت ان تصيح فربط اللّه على قلبها﴿ وحَرَّمْنا عَلَيْه الْمَراضِعَ﴾ منعنا أن يرتضع من المرضعات﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل قصّها أثره﴿ فَقالَتْ﴾ أخته ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بتربيته﴿ وهُمْ لَهُ ناصِحُونَ﴾ لا يقصّرون في إرضاعه وتربيته. روي أنها لما قالت: وهم له ناصحون، قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله، قالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون﴿ فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّه كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها﴾ بولدها﴿ ولا تَحْزَنَ﴾ بفراقه﴿ ولِتَعْلَمَ أَنَّ وعْدَ اللَّه حَقٌّ﴾ علم مشاهدة ﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس﴿ لا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة وعده، وقد مرّت القصة في طه، فمكث عندها حتى فطمته ثم تربّى عند فرعون كما حكى اللّه: (ألم نربّك فينا وليداً﴾[3] الآية.

[سورة القصص الآيات ١٤ – ٢١]

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ

---

(١) اليمّ: البحر.

(٢) الغمر: الماء الكثير الذي يغطي ما تحته.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٨.

قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿ولمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كمال شدّته ثلاث وثلاثون سنة، أو الحلم ﴿واستَوى﴾ أي: تم استحكامه وبلغ الأربعين ـ كما قيل ـ وعن الصادق (ع): أشده ثماني عشرة سنة،

واستوى: التحى.﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً﴾ نبوة﴿ وعِلْماً﴾ بالدين﴿ وكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا له ﴿ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بإحسانهم، عن الباقر (ع): لم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتى بلغ مبلغ الرجال، وكان ينكر عليه ما يتكلم به موسى من التوحيد حتى همّ به، فخرج موسى من عنده.﴿ ودَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ مدينة من مدائن فرعون ـ كما عن الرضا (ع) ـ وقيل: مصر، وقيل: منف من أرض مصر﴿ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال وذلك بين المغرب والعشاء، وقيل: وقت القائلة[1]، وقيل: وقت عيدهم﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ إسرائيلي﴿ وهذا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قبطي يسخّر الإسرائيلي لحمل حطب إلى مطبخ فرعون﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ سأله الإغاثة بالإعانة ولذا عدّي بـ(على) وعن الصادق (ع): ليهنكم الاسم قيل: وما الاسم؟ قال: الشيعة، ثم تلا الآية﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ ضرب القبطي بجمع كفّه﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قيل: فقتله، وعن الرضا (ع): فقضى عليه أي: على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات﴿ قَالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ قال (ع): يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسى من قتله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ قال (ع): يقول: وضعت نفسي غير موضعها بدخول هذه المدينة. ﴿ فَاغْفِرْ لِي﴾ قال: أي: استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني. ﴿ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لعباده﴿ الرَّحِيمُ﴾ بهم﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قال (ع): يعني: من القوة حيث قتلت رجلا بوكزة﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ قال: بل أجاهدهم في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. وروي: كان موسى (ع) قد أعطي بسطة في الجسم وشدّة في البطش فذكره الناس وشاع أمره، وقالوا: إن موسى قتل رجلاً

---

(١) القائلة: هو وقت منتصف النهار عند الظهيرة.

من آل فرعون﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائفاً يَتَرَقَّبُ ﴾يترصد الإستفادة﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيثه على آخر﴿ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ بيّن الغواية. قال الرضا (ع): قال له: قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم؟ لأوذينك وأراد أن يبطش به﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَعَدُولَهُما﴾ لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما، ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل﴿ قالَ﴾ قيل أي: الإسرائيلي ظانا أنه يبطش به لوصفه إياه بالغواية﴿ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالامْسِ﴾ أو قاله القبطي إذ أحس مما قاله إنه القاتل للقبطي﴿ أَنْ ما تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ﴾ عالياً بالقتل والظلم﴿ وما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ بين الناس، وعن الباقر (ع) ـ في تتمة الحديث الباقي ـ فلما كان الغد جاء آخر فتشبث بذلك الرجل الذي يقول بقول موسى، فاستغاث بموسى فلما نظر صاحبه إلى موسى قال له: أ تريد أن تقتلني؟ فخلى عن صاحبه وهرب، قيل: وانتشر الحديث فبلغ فرعون فأمر بطلبه وقتله﴿ وجاءَ رَجُلٌ﴾ قيل: هو مؤمن آل فرعون وهو ابن عمّه﴿ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى﴾ يسرع. صفة (رجل) أو حال منه إن جعل الظرف وصفاً مخصصاً له لا صلة لـ(جاء)﴿ قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون بسببك، وإنما سمى (التشاور) ائتماراً لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر﴿ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (لك) بيان لا صلة الناصحين إن جعلت لامه موصولة، لأن معمول صلتها لا يتقدمها، وإن جعلت للتعريف فـ(لك) صلة. القمي: كان خازن فرعون مؤمناً بموسى (ع) قد كتم إيمانه ستمائة سنة وهو الذي قال الله: (وقال رجل ...) إلخ، وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرّجل فطلبه ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى إن الملأ... إلخ﴿ فَخَرَجَ مِنْها﴾ من المدينة﴿ خائفاً يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طلب﴿ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم.

القمي: قال يلتفت يمنة ويسرة ويقول: ربِّ نجني من القوم الظالمين، قال: ومرّ نحو مدين وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيام.

[سورة القصص الآيات ٢٢ - ٢٨]

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن

شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿ ولَمَّا تَوجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ﴾ قبالة مدين قرية شعيب﴿ قالَ عَسى رَبِّي أنْ يَهْدِيَني سَواءَ السَّبِيلِ﴾ روي: خرج من مصر بغير ظهر ولا دابة ولا خادم، تخفضه الأرض مرّة وترفعه أخرى حتى انتهى إلى أرض مدين، فانتهى إلى أصل شجرة فنزل فإذا تحتها بئر﴿ ولَمَّا ورَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾ أي: البئر﴿ وجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ جماعة كثيرة مختلفين﴿ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم﴿ ووجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ في مكان أسفل من مكانهما ﴿ مْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم﴿ قالَ ما خَطْبُكُما﴾ ما شأنكما تذودان﴿ قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ﴾ يصرف الرّعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرّجال. وقرأ ابن عامر وأبوعمرو (يُصْدِر) من (صَدَرَ) أي: ينصرف﴿ وأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً﴿ فَسَقى لَهُما﴾ مواشيهما رحمة عليهما، روي: أنه دنا من البئر فقال لمن على البئر: استقي لي دلواً ولكم دلواً، وكان الدلو يمدّه عشرة رجال فاستقى وحده دلواً لمن على البئر ودلواً لبنتي شعيب وسقى أغنامهما وروي: أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقلّه إلاّ سبعة رجال، وقيل: عشرة، وقيل: أربعون فأقلّه وحده وسألهم دلواً فأعطوه دلواً لا ينزعها إلاّ عشرة فاستقى بها وحده مرّة واحدة فروى غنمهما وأصدرهما﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: ظل الشجرة فجلس فيها﴿ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ روي: كان شديد الجوع، وعن الصادق (ع): سأل الطعام، وفي النهج ما سأل الله إلاّ خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة

الأرض ولقد كان خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله[١] وتشذّب لحمه[٢] وروي: أنه قال ذلك وهو محتاج إلى شق تمرة[٣] ﴿فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشي عَلَى اسْتِحْياءٍ﴾ مستحية وهي التي تزوجها وكانت الصغرى واسمها صفيراء وقيل: الكبرى واسمها (صفراء) ﴿قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: المقصوص من ولادته إلى فراره من فرعون ﴿قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمينَ﴾ أي: فرعون وقومه فلا سلطان له بأرضنا ﴿قالَتْ إِحْداهُما﴾ وهي المرسلة ﴿يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعي غنمنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمينُ﴾ حث بليغ على استيجاره، إذ عللته بهما على جهة المثل ولم تقل (لقوته وأمانته) وجعلت (خير) إسماً ودلّت بالماضي على أنه قد عرف منه، وفي حديث القمي ما ملخصه: فلما رجعت ابنتا شعيب إلى شعيب قال لهما: أسرعتما الرجوع؟ فأخبرتاه بقصة موسى (ع) ولم تعرفاه، فقال شعيب لواحدة منهن: اذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجر ما سقى لنا، فجاءت إليه كما حكى الله، فقام موسى معها فمشت أمامه فسفقتها[٤] الرياح فبان عجزها فقال لها موسى: تأخّري ودلّيني على الطريق بحصاة تلقيها أمامي أتبعها فأنا من قوم لا ننظر في أدبار النساء، فقال لها: أما قوته فقد عرفتيه بأنه يستقي الدلو وحده فبم عرفت أمانته؟ فذكرت له أمرها بالتأخر ﴿قالَ إِنّي أُريدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَني﴾ تكون أجيراً لي

---

(١) الشفيف: الرقيق الذي يستشف ما وراءه . والصفاق: هو الجلد الواقع تحت الجلد الذي ينبت عليه الشعر.

(٢) تشذب لحمه: تفرق وظهرت فيه شقوق.

(٣) شق التمرة: نصفها.

(٤) أي: ضربتها

﴿ ثَمانِيَ حِجَجٍ﴾ سنين ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ﴾ عملت ﴿ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ فالإتمام تفضّل منك لا إلزام منّي، وجعل المهر إجارة نفسه لا مانع منه كما هو سائغ في شرعنا على الأقوى ﴿ وما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بإلزامك العشر، أو بالمناقشة في استيفاء الأعمال﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بالعهد ﴿ قالَ ذلِكَ﴾ الذي شارطتني عليه قائم ﴿ بَيْنِي وبَيْنَكَ﴾ لا نخرج عنه﴿ أيمَا الأَجَلَيْنِ﴾ أطولهما أو أقصرهما﴿ قَضَيْتُ﴾ وفيتك ﴿ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ﴾ لا تعدّي عليّ بطلب الزيادة ﴿ واللَّهُ عَلى ما نَقُولُ﴾ من المشارطة ﴿ وكِيلٌ﴾ شاهد حفيظ سئل النبي (ص) أي: الأجلين قضى؟ قال: أوفاهما وأبطأهما، وفي رواية: وإن سئلت أي: الإبنتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت وقالت: يا أبت استأجره، وفي أخرى: دخل بها قبل أن ينقضي الشرط لأنه علم أنه يفي به، وعنه (ص): إن يوشع بن نون وصيّ موسى عاش بعده ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى فقالت: أنا أحق بالأمر منك فقاتلها فقاتل مقاتلتها وأحسن أسرها، أقول: وإليه الإشارة بـ(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) [1] كما في رواية أخرى.

[سورة القصص الآيات ٢٩- ٣٥]

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ فَلَمَّا قَضى مُوسَى الأَجَلَ وسارَ بأَهْلِه﴾ بامرأته بإذن أبيها نحو الشام أو مصر ﴿ آنَسَ﴾ أبصر ﴿ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لأَهْلِه امْكُثُوا﴾ وضم حمزة الهاء ﴿ إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق وكان قد ضلّه وفتح الحرميان وأبو عمرو ياء (إني) وسكن الكوفيون ياء (لعلّي) ﴿ أو جَذْوة﴾ وفتحها عاصم وضمّها حمزة والثلاث لغات أي: قطعة أو شعلة ﴿ مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها ﴿ فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ﴾ جانب ﴿ الْوادِ الأَيْمَنِ﴾ لموسى

﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ ﴾ عن الصادق (ع): شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله في القرآن هو: الفرات والبقعة المباركة هي: كربلاء ﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ قيل: كانت نابتة على الشاطئ ﴿ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾ وفتح الحرميان وأبو عمرو الياء وهو وإن خالف ما في طه[1] والنمل[2] لفظاً فهو موافق في المعنى ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ ﴾ أي: فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز ﴿ كَأَنَّها جَانٌّ ﴾ حيّة سريعة في الهيئة، أو في السرعة ﴿ وَلَّى مُدْبِراً ﴾ منهزماً من الخوف ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ لم يرجع نودي ﴿ يا مُوسى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ من المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ ﴾ أدخلها ﴿ فِي جَيْبِكَ ﴾ طرف مدرعتك ﴿ تَخْرُجْ بَيْضاءَ ﴾ ذات شعاع ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ برص ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ ﴾ يدك المبسوطة تتقي بها الحية خوفاً منها بإدخالها في جيبك فالتكرير لغرض آخر وهو إخفاء الخوف عند العدو مع إظهار معجزة أخرى بخروجها بيضاء، أو أريد بضمه التجلّد عند انقلاب العصا حية، إستعارة من فعل الطائر يرخي جناحيه إذا خاف ويضمها إذا أمن ﴿ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ من أجله أي: إذا خفتها فافعل ذلك وفتح حفص الراء وسكن الهاء وفتحهما الحرميان وأبوعمرو والباقون على الضم بتسكين ﴿ فَذانِكَ ﴾ أي: العصا واليد. وشدّده ابن كثير وأبوعمرو ﴿ بُرْهانانِ ﴾ حجتان نيرتان مرسلاً بها ﴿ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ ﴾ متمردين في الكفر ﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ بها ﴿ وَأَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي ﴾ وفتح حفص الياء ﴿ رِدْءاً ﴾ معينا، وخففه نافع ﴿ يُصَدِّقُنِي ﴾

---

(١) حيث مرت القصة في الآية ٩ وما بعدها من سورة طه.

(٢) وكذلك ذكرت في الآية ٧ وما بعدها من سورة النمل.

بيان الحجة ودفع الشبهة وجزم جواباً ورفعه عاصم وحمزة صفة ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ نقويك به إذ قوة البدن بقوة اليد، وقوتها بشد العضد﴿ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً﴾ تسلطاً وحجة﴿ فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما﴾ بسوء﴿ بِآياتِنا﴾ متعلق بمقدّر أي: اذهب بها، أو صلة لـ(الغالبون)، في﴿ أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ﴾ إن كانت لامه للتعريف، أو بيان له لا صلة إن كانت موصولة لامتناع تقدم معمول صلتها عليها.

[سورة القصص الآيات٣٦ - ٤٣]

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ

ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتنا بيِّنات قالُوا ما هذا إلاّ سِحْرٌ مُفْتَرىً ﴾ مختلف كسائر أنواع السحر أو سحر تعمله ثم تفتريه على اللّهو ﴿ ما سَمِعْنا بهذا﴾ السحر أو ادّعاء النبوة ﴿ فِي آبائنَا الأولينَ ﴾ كائناً في زمنهم﴿ وقالَ مُوسى﴾ وحذف ابن كثير الواو﴿ ربِّي﴾ وفتح الحرميان وأبوعمرو الياء﴿ أعْلَمُ بمَنْ جاءَ بالْهُدى مِنْ عِنْدِه﴾ فيصدقه بالمعجزة أي: يعلم إني محق﴿ ومَنْ تَكُونُ لَهُ عاقبَةُ الدّار﴾ الدنيا أي: عاقبتها المحمودة وهي الجنة فإنها المعتد بها بخلاف عاقبتها المذمومة. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء﴿ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾ لا يفوزون بالخير﴿ قالَ فِرْعَونُ﴾ جهلاً أو تلبيساً على قومه حين أفحم[1] بالحجة﴿ يا أيهَا الْمَلأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إله غَيْرِي﴾ نفي علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يقطع بعدمه فأراد كشف الحال بزعمه فقال:﴿ فَأوقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ﴾ فاطبخ الآجر[2] ﴿ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً﴾ قصراً عالياً ﴿ لَعَلِّي أطَّلِعُ إلى إلهِ مُوسى﴾ توهماً أو إبهاماً لقومه أنه لو وجد لكان في السماء فيصعد إليه. وسكن الكوفيون الياء﴿ وإنِّي لأظُنُّهُ مِنَ الْكاذبِينَ﴾ في ادّعائه إلهاً غيري

---

(١) الإفحام: الإسكات . يقال: افحمه بالحجة : أي: أسكته بالدليل والبرهان ولم يترك له مجالاً ليتكلم فيه.

(٢) الطين المطبوخ الذي يستعمل للبناء.

وأنه رسول. وقيل: هو أوّل من اتّخذ الآجر ويعضده أمره بعمله على طريق التعليم ﴿ واستَكْبَرَ هُو وجُنُودُهُ في الأرضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ إذ لا يحق التكبر إلا لله ﴿ وظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ ﴾ وبناه نافع وحمزة والكسائي للفاعل ﴿ فَأَخَذْناهُ وجُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ في الْيَمِّ ﴾ طرحناهم في البحر ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمينَ ﴾ بتكذيب الرسل ﴿ وجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً ﴾ في الكفر عقوبة لفعلهم ﴿ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ الى موجبها من الكفر ﴿ ويَومَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ وأَتْبَعْناهُمْ في هذهِ الدُّنْيا لَعْنَةً ﴾ إبعاداً عن الرحمة[1] ﴿ ويَومَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ المبعدين أو المشوّهين الخلقة ﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ ﴾ التوراة ﴿ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولى ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿ بَصائِرَ لِلنَّاسِ ﴾ أنواراً لقلوبهم تستبصر بها ﴿ وهُدىً ﴾ الى طريق الحق ﴿ ورَحْمَةً ﴾ سبباً لنيل الرحمة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أرادة ان يتذكروا أستعير الترجي للإرادة، أو هو من موسى.

[سورة القصص الآيات ٤٤ - ٥٠]

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

(١) ما يجدر ذكره هنا ان القرآن الكريم لم يلعن إلا صريحي الكفر. كفرعون والكفار وأمثالهم.

﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿ وما كُنتَ بِجانبِ الْغَرْبِيِّ﴾ بجانب المكان، أو الجبل، أو الوادي الغربي من موسى﴿ إِذْ قَضَيْنا﴾ أوحينا﴿ إِلى مُوسَى الامْرَ﴾ أمر رسالته وشريعته أي: لم تحضر مكان وحينا اليه﴿ وما كُنتَ مِنَ الشَّاهدينَ﴾ للوحي اليه فاخبارك به إخبار بغيب لا يعلم الا بالوحي﴿ ولكنَّا أنشأنا قُرُوناً﴾ أمماً بعد موسى﴿ فَتطاولَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أمد انقطاع الوحي فاندرست الشرائع فأوحينا إليك خبر موسى وغيره فالمستدرك الوحي إليه وأقيم سببه مقامه﴿ وما كُنتَ ثاوياً﴾ مقيماً﴿ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ شعيب ومن آمن به﴿ تَتْلُوا﴾ تقرأ ﴿ عَلَيْهِمْ آياتنا﴾ المتضمنة لقصتهم﴿ ولكنّا كُنّا مُرْسِلينَ ﴾ لك ومعلمينكها﴿ وما كُنتَ بِجانبِ الطُّورِ إِذْ﴾ حين﴿ نادَيْنا﴾ موسى، أن خذ الكتاب بقوة، أو حين ناجيناه﴿ ولكِنْ﴾ علمناك﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوماً ما أتاهُمْ مِنْ

نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسول بشريعة وان كان عليهم أنبياء وأوصياء حافظون لشرع الرسول السابق، ظاهرون أو مستترون لامتناع خلو الزمان من حجة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ولولا﴾ امتناعية ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِما قَدَّمَتْ أَيدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ فَيَقُولُوا ﴾ عطف على (تصيبهم) أي: لولا قولهم إذا عوقبوا بكفرهم ﴿ رَبَّنا لَولا ﴾ هلاّ ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ﴾ (الفاء) جواب التخصيص ﴿ ونَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب (لو) محذوف أي: ما أرسلناك، أي: انما أرسلناك لقطع عذرهم فالقول هو سبب الإرسال ﴿ فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا﴾ أي: الرسول المصدّق بالقرآن المعجز ﴿ قالُوا﴾ تعنتاً ﴿لَولا﴾ هلاّ ﴿ أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى﴾ من الكتاب جملة والعصا واليد وغيرها ﴿ أَ ولَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى ﴿ قالوا ساحران﴾ قيل: يعني موسى ومحمدا (ص)، والقمي: قال: موسى وهارون. وقرأ الكوفيون(سِحْران) مبالغة، أو ذوا سحر، أو كتاباهما ﴿ تَظاهَرا﴾ تفاوتا بالسحر، أو الكتابان بتقوية كل للآخر، والاسناد مجازي ﴿ وقالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ منهما، أو بكل من الأنبياء ﴿كافِرُونَ قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما﴾ من الكتابين ﴿ أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في قولكم ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ﴾إذ لو أتبعوا حجة لأتوا بها ﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ﴾ عن الكاظم (ع): يعني من: اتخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يلطف بهم لظلمهم وانهماكهم.

[سورة القصص الآيات ٥١- ٥٩]

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ ولَقَدْ وصَّلْنا لَهُمُ الْقَولَ﴾ أنزلنا عليهم القرآن متصلاً بعضه في أثر بعض ليتصل التذكر، أو متواصلاً حججاً وعبراً أو مواعيد. وعن الصادق (ع): إمام بعد إمام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذكَّرُونَ﴾ إرادة ان يتعظوا﴿ الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِه﴾ قبل القرآن﴿ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ قيل: نزلت في مؤمني أهل الكتاب، أو في أربعين من مسلمي النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام﴿ وإِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿ قالُوا آمَنَّا بِه﴾ أي: بأنه كلام الله﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا﴾ تعليل يبين موجب إيمانهم﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمينَ﴾ بيان لأنّ إيمانهم به متقادم قبل نزوله إذ وجدوا ذكره في كتبهم﴿ أُو لئِكَ يُؤْتَونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا﴾ بصبرهم على الإيمان بالكتابين، أو بالقرآن قبل نزوله أو بعده، أو على الإيمان وأذى الكفرة ﴿ ويَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالطاعة المعصية، أو بالحلم الجهل. وعن الصادق (ع): صبروا على التقيّة، وقال: الحسنة التقية والسيئة الإذاعة وفي رواية: يدفعون سيئة من أساء إليهم بحسناتهم. وعن النبي (ص): اتبع الحسنة السيئة تمحها.﴿ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير﴿ وإِذا سَمِعُوا اللَّغْوَأَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرّماً، القمي قال: اللغو الكذب واللهو والغناء، وقال: هم الائمة يعرضون عن ذلك كله﴿ وقالُوا﴾ للداعين﴿ لَنا أَعْمالُنا ولَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لكم وتوديعاً﴿ لا نَبْتَغِي الْجاهِلينَ﴾ لا نطلب صحبتهم ولا نريدها﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: لا تقدر على الإيصال الى الحق بالنسبة الى المعاند ومن زعم انها في أبي طالب فهو محض بهتان لإجماع أهل البيت على إيمانه وأهل

البيت أدرى بما فيه، ولأن قصائده تنادي بذلك[١] ذكرها المخالف والمؤالف ﴿وقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا﴾ نستلب منها بسرعة، القمي: نزلت في قريش حين دعاهم رسول الله (ص) الى الإسلام والهجرة ﴿أ ولَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمناً﴾ ذا أمن بحرمة البيت فهم آمنون فيه ﴿يُجْبى﴾ يجلب، وقرأ نافع بالتاء ﴿إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كل بلد ﴿رِزْقاً﴾ مصدر من معنى: يجبى ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ هذا وهم كفرة فكيف يسلبوا الأمن إذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الإسلام ﴿ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ جهلة لا يتفطنون له ﴿وكَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَها﴾ أي: كانوا مثلكم في الأمن وسعة الرزق فبطروا فأهلكناهم وانتصبت (معيشتها) بنصب (في) أو بجعلها ظرفاً بنفسها، أو بحذف مضاف أي: زمن معيشتها، أو بتضمين (بطرت) معنى: كفرت ﴿فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ﴾ خربة ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ من السكنى للمارة يوماً، أو ساعة ﴿وكُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ﴾ لها منهم ﴿وما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها﴾ في أصلها التي هي توابعها ﴿رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا﴾ لإلزام الحجة وفيه التفات ﴿وما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى إِلاَّ وأَهْلُها ظالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل والعتو[٢] في الكفر.

---

(١) ولعل اوضحها في هذا المعنى:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ   من خير أديان البرية دينا

(تفسير القرطبي) ج٦ ص٤٠٦. وكذلك قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا   نبياً كموسى خط في أول الكتب

وهو بيت من قصيدة طويلة ذكرها ابن كثير في (السيرة النبوية) ج٢ص٤٩ ط دار المعرفة -بيروت ١٣٩٦ هـ-١٩٧٦م وغيرها كثير من الأشعار والشواهد التي تدل على إيمان الرجل وتصريحه بذلك. ولا يسع المجال هنا لإستقصائها وجمعها. وللإستزادة راجع: (إيمان أبي طالب) للشيخ المفيد، (إيمان أبي طالب) للشيخ الأميني، وغيرها من الأبحاث التي كتبت حول هذا الموضوع.

(٢) العتو: الإستكبار والجبروت.

[سورة القصص الآيات ٦٠ - ٧٠]

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا

يُعۡلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ وما أوتيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنيا وزينَتُها﴾ تتمتعون وتتزينون به مدّة حياتكم الفانية﴿ وما عِنْدَ اللّهِ﴾ وهو ثوابه﴿ خَيْرٌ﴾ من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة﴿ وأبْقى﴾ لأنه أبديٌ﴿ أ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير[1] وقرأ ابوعمرو بالياء﴿ أ فَمَنْ وعَدْناهُ وعْداً حَسَناً﴾ وهو الثواب الباقي﴿ فَهُو لاقيهِ﴾ مدركه لا محالة﴿ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنيا﴾ المنغص بالآلام﴿ ثُمَّ هُو يَومَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للنار أي: لا يستويان وسكن نافع والكسائي هاء هو ﴿ ويَومَ﴾ واذكر يوم﴿ يُناديهِمْ﴾ الله﴿ فَيَقُولُ﴾ توبيخاً لهم﴿ أينَ شُرَكائِيَ الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ انهم شركائي﴿ قالَ الَّذينَ حَقَّ﴾ وجب﴿ عَلَيْهِمُ الْقَولُ﴾ الوعيد أي: مقتضاه وهو العذاب﴿ ربَّنا هؤلاءِ مبتدأ الَّذينَ أغْوَيْنا﴾ خبره وعائد الذين محذوف أي: أغويناهم، أو صفة والخبر (أغويناهم)﴿ أغْوَيْناهُمْ﴾ بالوسوسة فغووا باختيارهم غيّاً﴿ كَما غَوَيْنا﴾ مثل غيّنا باختيارنا ولم نغترهم على ربما كان الصحيح (نجبرهم)الغي﴿ تَبَرَّأْنا إلَيْكَ﴾ منهم ولكونه تقريراً لما قبله ترك العاطف وكذا ﴿ ما كانُوا إيانا يَعْبُدُونَ﴾ ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم﴿ وقيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ﴾ من جعلتموهم شركاء﴿ فَدَعَوهُمْ﴾ من فرط الحيرة ﴿ فَلَمْ يَسْتَجيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزهم عن الإجابة والنصرة﴿ ورأَوا الْعَذابَ لَوأنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ﴾ الى الحق لما رأوه، أو لعلموا ان العذاب حق أو تمنوا لوكانوا مهتدين

---

(١) هذا تعبير مقتبس من القرآن الكريم. وقد ورد في سورة البقرة الآية ٦١: «قال اتستبدلون الذي...» الى آخر الآية الكريمة.

﴿ ويَومَ يُناديهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلينَ﴾ تبكيت بتكذيبهم الرسل﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْباءُ يَومَئِذ﴾ فصارت الأخبار كالعمي عليهم لا يهتدى إليهم فعجزوا عن الجواب﴿ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً لدهشهم إذ الرسل تذهل عن جواب مثل هذا السؤال فتكله الى علمه تعالى، فما ظنك بالضلال؟﴿ فَأَمَّا مَنْ تابَ﴾ من الشرك﴿ وآمَنَ وعَمِلَ صالحاً﴾ شفع الإيمان بالعمل﴿ فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلحينَ﴾ يومئذ وعسى وجوب من الله، أو ترجٍ من التائب﴿ ورَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَخْتارُ﴾ ما يشاء﴿ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ التخيير أي: ليس لأحدٍ من خلقه أن يختار عليه بل له الخيرة عليهم لعلمه بالمصالح، ردّ لقولهم: (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)[1] ومثلهم من اختار على الله إماماً غير من اختاره أو ذهب الى أن أمر الامام مفوض الى الخلق لهم أن يبايعوا من شاءوا وترك العاطف لأنه بيان ليختار، وقيل: معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي: الصلاح فحذف العائد﴿ سُبْحانَ اللّهِ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم الحامل لهم أن يختاروا عليه ما لا يختار. القمي قال: يختار الله عز وجل الإمام ليس لهم أن يختاروا، ومضمونه مروي في أخبار عديدة﴿ ورَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ من عداوتك﴿ وما يُعْلِنُونَ﴾ من طعنهم فيك أو الأعم منهما. القمي: ما عزموا عليه من الإختيار﴿ وهُوَاللّهُ﴾ المعبود بالحق﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا معبود بحق غيره﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولى﴾ في الدنيا على نعمه الشاملة لخلقه﴿ والآخِرَةِ﴾ في الجنة على توفيقهم لما يوجب دخولها (وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)[2] ﴿ ولَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء بين عباده مختص به﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث.

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣١.

(٢) سورة يونس الآية ١٠.

[سورة القصص الآيات ٧١ - ٧٧]

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً﴾ دائماً ﴿ إِلى يَومِ الْقِيامَةِ﴾ من السّرد أي: المتابعة ـ والميم زائدة ـ الى يوم القيامة بحبس الشمس تحت الأرض ﴿ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضياءٍ﴾ وقرأ قنبل بهمزتين ﴿ أَ فَلا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تعقل ﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَومِ الْقِيامَةِ﴾ بحبس الشمس فوق الأرض ﴿ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ للإستراحة من نصب العمل. وانما قرن بالضياء أفلا تسمعون وبالليل ﴿ أَ فَلا تُبْصِرُونَ﴾ لأن الضياء أكثر منافع من الظلام والسمع أكثر مدارك من البصر، ومن ثم لم يصف الضياء بما يقابل وصف الليل ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار بالكسب ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولإرادة شكركم على نعمه ﴿ وَيَومَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ كرّر توبيخهم به إيذاناً بأن لا شيء أسخط الله من الإشراك به، ولأن الأوّل لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان أنه لم يكن عن برهان ﴿ وَنَزَعْنا﴾ أخرجنا ﴿ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ يشهد عليهم بما كانوا عليه. عن الباقر (ع): من كل فرقة من هذه الأمة إماماً ﴿ فَقُلْنا﴾ لهم ﴿ هاتُوا بُرْهانَكُمْ﴾ على صحة ما تدينون به ﴿ فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿ أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ﴾ غاب ﴿ عَنْهُمْ﴾ غيبة الضائع ﴿ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الباطل ﴿ إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَومِ مُوسى﴾ ممّن آمن به وكان ابن خالته وابن عمّه يصهر بن فاهث بن لاوي، وعن الصادق (ع): هو إبن خالته ﴿ فَبَغى عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر لكثرة ماله وولده، أو ظلمهم حين ولاّه فرعون عليهم قبل ذلك ﴿ وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ من الأموال المجموعة ﴿ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ﴾ جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به الغلق أو بالفتح وهو الخزانة ﴿ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ﴾ خبر (انّ) والجملة صلة أي: تثقل الجماعة الكثيرة ﴿ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ وعدتهم قيل: عشرة، وقيل: أربعون وقيل: ستون. والقمي: العصبة ما بين العشرة الى تسعة عشر، قال: كان يحمل

مفاتيح خزائنه العصبة أولو القوة﴿ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بزخارف الدنيا، عن الباقر (ع): أوحى الله الى موسى: لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال، فان كثرة المال تنسي الذنوب، وترك ذكري يقسي القلوب﴿ وابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ﴾ من الغنى﴿ الدَّارَ الآخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك ﴿ ولا تَنْسَ﴾ ولا تترك﴿ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾ عن علي (ع): لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك أن تطلب بها الآخرة.﴿ وأَحْسِنْ﴾ الى عباد الله ﴿ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعم عليك، أو أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالانعام﴿ ولا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الأرضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بغاة الفساد.

[سورة القصص الآيات٧٨ - ٨٨]

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ

مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ﴾ أي: المال ﴿عَلى عِلْمٍ﴾ أي: على استحقاق له لعلمي الذي فضلت به على الناس و هو علمه بوجوه المكاسب، أو بالكيميا، أو بالتوراة ـ وكان

أعلمهم بها ـ ﴿عِنْدِي﴾ بفتح الياء وإسكانها صفة (علم) أو متعلق بـ(أوتيته) أي: الأمر كذلك في ظني ورأيي. والقمي: يعني: حاله وكان يعمل الكيمياء ﴿أَ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً﴾ للمال أي: هو يعلم ذلك من التوراة وغيرها فلا يغتر بقوته وكثرة ماله فان اللّه يهلكه كما اهلكهم ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القمي: أي: لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قيل: خرج على بغلة شهباء[1] عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان[2] ومعه أربعة آلاف في زيّه. والقمي: في الثياب المصبغات يجرها بالأرض ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ من ضعفة المؤمنين وقيل: كانوا كفّاراً ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ تمنوا مثله ـ لا عينه ـ حذراً من الحسد ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الدنيا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بأحوال الآخرة للتمييز. والقمي قال: هم الخاص من أصحاب موسى (ع) ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ ممّا أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ أي: هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء، أو الثواب لأنه بمعنى المثوبة، أو الجنة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ أعوان ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يمنعونه من عذابه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ الممتنعين منه، روي: أن موسى باهله بأخيه هارون وبنيه فخسف به وبأهله وبماله ومن وازره من قومه، وقيل: كان قارون يؤذي موسى وهو يداريه فبرطل بغيّةٍ لترميه بنفسها ليفتضح، فخطب موسى (ع) يوماً فقال: من زنى غير محصن

---

(١) الشهباء: هي الفرس او البغلة التي غلب بياضها على سوادها.

(٢) الأرجوان: نوع من الشجر شديد الحمرة ، والمقصود هنا غطاء يوضع على الفرس أو البغلة مطليّ بالأرجوان .

جلدناه ومحصناً رجمناه فقال قارون: وان كنتَ؟ فقال: وان كنتُ، قال: فبنو إسرائيل زعموا أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالله أن تصدق، فقالت: برطلني قارون لأرميك بنفسي، فدعا موسى ربّه عليه فأوحي اليه أن مُرِ الأرضَ بما شئت، فقال: يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبتيه، ثم إلى وسطه، ثم الى عنقه، ثم غيبته وكان يتضرع اليه في هذه الأحوال فلم يرحمه فأوحى الله إليه: استغاث بك فلم تغثه لو دعاني لأجبته، ثم قال بنو إسرائيل: فعله ليرثه، فدعا الله فخسف بداره وماله﴿ وأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوا مَكانَهُ بِالأَمْسِ﴾ من قريب﴿ يَقُولُونَ ويْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ﴾ يوسّع لا لكرامة ويضيّق لا لهوان بل بحسب الحكمة. قيل: وي: للتعجب وكأن: للتشبيه أي: ما أشبه الحال بأن الله يبسط وقيل: ويك: بمعنى (ويلك) أي: ويك أعلم إن اللّه، ووقف الكسائي على (وي) وابوعمرو ويعقوب على (ويك)﴿ لَولا أنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا﴾ فلم يعطنا ما تمنينا﴿ لَخَسَفَ بِنا﴾ لتوليده فينا ما ولّده فيه فخسف به لأجله، وبناه حفص للفاعل﴿ ويْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾ بنعمة اللّه، أو به وبرسله﴿ تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ﴾ فيه تفخيم أي: تلك التي بلغك خبرها (والدار) صفة والخبر: ﴿ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرضِ﴾ تكبراً وقهراً﴿ ولا فَساداً﴾ بغياً وظلماً﴿ والْعاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من اتقى ما لا يرضاه الله﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها﴾ ذاتاً وقدراً ووصفاً وقد مرّ في الأنعام والنمل﴿ ومَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجيناً لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم﴿ إلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مثل عملهم حذف المثل مبالغة للمماثلة﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب تلاوته وتبليغه وامتثال ما فيه﴿ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ﴾ عظيم الشأن إذا بعثت، أو هو مكة وردّه إليها يوم الفتح قيل: لمّا هاجر وبلغ جحفة فاشتاق إليها فنزلت. وعن السجّاد (ع) يرجع إليكم نبيكم وأمير

المؤمنين والائمة (ع). وعن الباقر (ع) انه ذُكِرَ عنده جابر فقال: رحم اللّه جابراً لقد بلغ من علمه أنّه كان يعرف تأويل هذه الآية، يعني: الرجعة ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى﴾ وما يستوجبه من الثواب ﴿ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يعني به نفسه والمشركين ﴿ وما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتابُ﴾ القرآن ﴿ إِلاَّ﴾ لكن القي إليك ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أو متصل إذ المعنى: وما القي إليك الأ رحمة منه ﴿ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً﴾ معيناً ﴿ لِلْكافِرِينَ﴾ على مراده وهو وما بعده تهييج ﴿ ولا يَصُدُّنَّكَ﴾ أي: الكافرون ﴿ عَنْ آياتِ اللّهِ﴾ عن تلاوتها واتباعها ﴿ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وادْعُ إِلى رَبِّكَ﴾ الى توحيده وعبادته ﴿ ولا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم ﴿ ولا تَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ﴾ القمي: المخاطبة للنبي (ص) والمعنى للناس وهو قول الصادق (ع): ان اللّه بعث نبيه بإياك أعني واسمعي يا جارة ﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ الأ ذاته، وفي المستفيضة عن أهل البيت (ع): الا وجهه الذي يؤتى منه وهو حججه ونحن وجهه فالمراد بالهلاك: ما يجر الى الضلال والعذاب ﴿ لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء بالحق.

تمّت ـ وللّه الحمد ـ سورة القصص وتفسيرها.

سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية وقيل: إلا عشراً من أولها

[سورة العنكبوت الآيات ١ - ١٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

عن الصادق (ع): (من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله من أهل الجنة لا أستثني فيه أبداً ولا أخاف أن يكتب الله عليّ في يميني إثماً، وان لهاتين السورتين من الله لمكانا). ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ أول المفعولين ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾ ثانيهما ﴿وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ حال من واو (يتركوا) أي: أ حسبوا تركهم غير ممتحنين لقولهم: آمنا، أو أنفسهم متروكة بل يمتحنون بالتكليف الشاق كالمهاجرة والجهاد وسائر الطاعات وهجر الشهوات وبضروب البلوى في الأنفس والأموال ليتميز الثابت على الإيمان من

غيره قيل: نزلت في عمّار، أو ناس آمنوا فآذاهم المشركون. وعن الصادق (ع): معنى يفتنون: يبتلون في أنفسهم وأموالهم. وعن النبي (ص): لما نزلت هذه الآية قال: لابد من فتنة يبتلى بها الأمة بعد نبيّها ليتعين الصادق من الكاذب لأن الوحي قد انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيامة ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ امتحناهم أي: ان ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ في إيمانهم، أي: ليتعلق علمه به موجوداً ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ ﴾ فيه أي: يتميز الصادق والكاذب. وعن علي والصادق (ع): فليُعلمن بضم الياء وكسر اللام من الإعلام أي: ليعرفنّهم الناس أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها كبياض الوجوه وسوادها ﴿ أَمْ ﴾ بل ﴿ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ أَنْ يَسْبِقُونا ﴾ ان يفوتونا فنعجز عن الإنتقام منهم، وهو سادّ مسدّ المفعولين والإضراب لأن هذا الحسبان أشنع من السابق ولهذا لحقه ﴿ ساءَ ما يَحْكُمُونَ ﴾ حكمهم هذا ﴿ مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ ﴾ يأمل الوصول الى ثوابه، أو يخاف العاقبة من الموت والبعث والجزاء ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴾ الوقت الموقت للقائه ﴿ لَآتٍ ﴾ فليسارع الى ما يوصل الى الثواب وينجي من العقاب، وعن علي (ع): يعني: من كان يؤمن بأنه مبعوث فان وعد الله لآت من الثواب والعقاب، قال: فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية واللقاء هو المبعث ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوال العباد ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بعقائدهم ﴿ وَمَنْ جاهَدَ ﴾ القمي قال: نفسه عن اللذات والشهوات والمعاصي ﴿ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ لأن منفعته لها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ﴾ فلا حاجة به الى طاعتهم ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ﴾ السابقة من الكفر والمعاصي بالإيمان والعمل ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ

الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن جزاء أعمالهم ﴿ ووصَّيْنَا الإنْسانَ بوالدَيْه حُسْناً﴾ القمي قال: هما اللذان ولداه، أقول: أي: أمرناه، بإيلائهما[1] فعلاً ذا حسن وما هو في ذاته حسن مبالغة، أو قلنا له أحسن بهما حسناً ﴿ وإنْ جاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ﴾ بإلهيته علم عبّر عن نفيها بنفي العلم بها اشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه، وان لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم ببطلانه ﴿ فَلا تُطعْهُما﴾ في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بركم وفاجركم ﴿ فَأُنَبِّئُكُمْ بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاء عليه ﴿ والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحينَ﴾ في جملتهم، أو في مدخلهم أي: الجنة ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللَّه﴾ بلسانه ﴿ فَإِذا أوذِيَ فِي اللَّه﴾ آذاه الكفّار ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ اذيتهم له صارفاً عن الإيمان ﴿ كَعَذابِ اللَّه﴾ الصارف عن الكفر. القمي: إذا آذاه إنسان، أو أصابه ضر، أو فاقة، أو خوف من الظالمين دخل معهم في دينهم فرأى ما يفعلونه هو مثل عذاب اللّه الذي لا ينقطع ﴿ ولَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ فتح وغنيمة، والقمي: يعني القائم (ع) ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين، فاشركونا فيه ﴿ أ ولَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ﴾ من الإخلاص والنفاق ﴿ ولَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿ ولَيَعْلَمَنَّ الْمُنافقِينَ﴾ فيجازي الفريقين ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا﴾ في ديننا ﴿ ولْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ﴾ بذلك ان كانت. القمي قال: كان الكفار يقولون للمؤمنين كونوا معنا فان الذي تخافون أنتم ليس بشيء، فإن كان حقاً نتحمل نحن ذنوبكم فيعذبهم اللّه مرتين: مرة بذنوبهم، ومرة بذنوب غيرهم ﴿ وما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في ضمانهم حملها ﴿ ولَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ﴾ أوزار

---

(١) ايلائهما فعلاً حسناً: أي: تقديم فعل حسن إليهما.

أنفسهم﴿ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وهي أوزار من أضلوه من غير أن ينقص من وزره شيء﴿ وَلَيُسْئَلُنَّ يَومَ الْقِيامَةِ﴾ تقريعاً﴿ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من الأباطيل التي أضلوا بها﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِه﴾ على رأس أربعين﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عاماً﴾ يدعوهم الى الله ولا يجيبونه. عن الباقر (ع): لم يشاركه في نبوته أحد. وعنه (ع): يدعوهم سراً وعلانية فلما أبوا وعتوا قال: رب إني مغلوب فانتصر، قيل: عبّر بذلك تنصيصاً على كمال العدد إذ لو قيل: تسعمائة وخمسين، لاحتمل إرادة ما يقرب منه مع ان الغرض تثبيت الرسول وذكر الألف المخيِّل للسامع طول المدة أوصل اليه واختلف المميّزان تجنباً للتكرير لا لغرض﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ﴾ الماء الكثير طاف بهم وأحاط فغرقوا﴿ وَهُمْ ظالِمُونَ﴾ بكفرهم.

[سورة العنكبوت الآيات ١٥ - ٢٣]

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ

ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي: نوحاً﴿ وأصْحابَ السَّفِينَةِ﴾ من ركبوا معه فيها وهم ثمانون، أو أقل وعاش بعد ذلك ستين﴿ وجَعَلْناها﴾ أي: السفينة، أو القصة﴿ آيةً لِلْعالَمِينَ﴾ يعتبرون بها﴿ وإِبْراهِيمَ﴾ عطف على (نوحاً) أو نصب بـ(اذكر) مضمراً﴿ إِذْ قالَ لِقَومِه اعْبُدُوا اللّهَ﴾ ظرف لـ(أرسلنا) أي: أرسلناه حين كمل وصلح لأن يعظمه قومه، أو بدل اشتمال منه ان قُدِّر: (اذكر)﴿ واتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من شرككم﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر﴿ إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أوثاناً﴾ جمادات﴿ وتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ مصدر أي: تكذبون كذباً، أو صفة أي: خلقاً ذا إفك بإدعاء الهيتها أو شفاعتها عند الله، أو تصنعونها وتنحتونها﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ لا يقدرون ان يرزقوكم شيئاً من الرزق﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ﴾ كله فانه

المالك له ﴿ واعْبُدُوهُ ﴾ وحده تأدية لحقه ﴿ واشْكُرُوا لَهُ ﴾ تعييداً لنعمه[١] واستزادةً لفضله واستعداداً للقائه بهما فإنكم: ﴿ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وإِنْ تُكَذِّبُوا ﴾ أي: ان تكذبوني قيل: هي من جملة قصة ابراهيم. والقمي: انقطع خبر ابراهيم وخاطب الله أُمة محمد (ص) فقال: (وان تكذبوا) الى قوله: (لهم عذاب اليم)، ثم عطف على خبر ابراهيم فقال: (وما كان جواب قومه) فهذا من المنقطع المعطوف، قيل: الوجه فيه ان مساق قصة ابراهيم تسلية للرسول (ص)والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله كان ممنواً[٢] بنحو ما مُنِيَ به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم (ع) في قومه ولـذلك توسط مخاطبتهم بين طرفي القصة ﴿ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضرّ أنفسهم، فكذا تكذيبهم ﴿ وما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِـينُ ﴾ التبليغ البيّن ﴿ أَ ولَمْ يَرَوا ﴾ بعقولهم. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالتاء ﴿ كَيْفَ يُبْدِئُ ﴾ بضم أوله: يبتدئ ﴿ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴾ من العدم ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ كمـا أبـداه، خبـر عطف على (أولم يروا) لا على (يبدئ) إذ لم تقع الرؤية عليه ﴿ إِنَّ ذلِكَ ﴾ المذكور من الإبداء والإعادة ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ إذا أراده كـان ﴿ قُلْ سِيرُوا فِـي الأَرضِ ﴾ خطاب لمحمد (ص) ان كانت هذه الآيات معترضة في قصة ابراهيم ـ كما ذكره ـ القمي وحكاية كلام الله لإبراهيم ـ ان كانت من جملة قصته ـ ﴿ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ للمواليد الثلاثة وغيرها ﴿ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ﴾ بعد الأولى وصرّح باسم الله مبتدأ، ولم يكتف بضميره إيذاناً بأنه لا يقدر على الإعادة الا مـن عـرف بالمقدرة على الإبداء وهو الله. وفتح ابن كثير وابوعمرو(الشين) بعدها ألف ﴿ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) كذا وردت في الخطية. ولعل المراد: أن يُعيد الله نعمه. ولكن (تعييداً) خطأ. والأصح أن يقال: « إعادة نعمه».

(٢) ممنواً: أي: مبتلى بنحو ما ابتلي به ابراهيم (ع).

عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ فيقدر على النشأتين ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾ تعذيبه ﴿ويَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ﴾ رحمته ﴿وإلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ تردون ﴿وما أنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله عن إدراككم لوهربتم عن حكمه ﴿فِي الأرضِ﴾ الفسيحة ﴿ولا فِي السَّماءِ﴾ التي هي أفسح منها، أو لو تحصنتم في أعماق الأرض، أو في القلاع الذاهبة الى السماء ﴿وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ ولِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنكم عذابه ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ﴾ دلائله أو كتبه ﴿ولِقائِهِ﴾ البعث ﴿أولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ لإنكارهم البعث والجزاء، أو ييئسون منها يوم القيامة، وعبّر بالماضي لتحققه ﴿وأولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ ألِيمٌ﴾ مؤلم.

[سورة العنكبوت الآيات ٢٤ - ٣٠]

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ

مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ﴾ قوم ابراهيم له ﴿إِلاّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أو حَرِّقُوهُ﴾ فألقوه في النار، وقيل كان ذلك قول بعضهم ولما رضي به الباقون أسند الى كلهم ﴿فَأَنجاهُ اللَّهُ مِنَ النّارِ﴾ أي: فقذفوه فيها فأنجاه منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ في ذلِكَ﴾ الإنجاء ﴿لآياتٍ﴾ منها منعه من حرّها وسرعة إخمادها مع عظمها وجعل مكانها روضاً وعدم تضرره بالرمي ﴿لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المنتفعون بالتفكر فيها ﴿وقالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أوثاناً مَودَّةَ بَيْنِكُمْ في الْحَياةِ الدُّنيا﴾ بتنوين (مودة) ونصبها علة أي: لتتوادوا بينكم لاجتماعكم عليها، وثاني مفعولي (اتخذتم) مقدّر، أو هي المفعول الثاني أي: اتخذتموها مودودة أو سبب مودّة. ونصبها مضافة حفص وحمزة ووجهه ما مرّ، ورفعها مضافة ابن كثير وابو عمرو والكسائي خبر محذوف، أي: اتخذتم أوثاناً هي مودة بينكم، أو خبر انّ بجعل (ما) مصدرية أو موصولة حذف عائدها وهو مفعول أول ﴿ثُمَّ يَومَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ عن الصادق (ع): يعني يتبرأ بعضكم من بعض، وعن علي (ع): الكفر في هذه الآية البراءة ﴿ويَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ أي: يقوم التناكر والتلاعن بينكم، أو بينكم وبين الأوثان كقوله: ويكونون عليهم ضدّا. وعن الصادق (ع): ليس قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه الا أنتم ومن كان على مثل حالكم

﴿ ومَأواكُمُ النَّارُ وما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ يدفعونها عنكم ﴿ فآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ وكان ابن خالته، وقيل: ابن أخته وأول مؤمن به ﴿ وقالَ إِنّي مُهاجِرٌ﴾ من قومي ﴿ إِلى رَبّي﴾ الى حيث أمرني ربي. وفتح نافع وابو عمرو الياء ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه عن الباقر (ع) ان ابراهيم كان نبوته بكوثى وهي قرية من قرى السواد يعني به: الكوفة، قيل: فيها بدأ أول أمره ثم هاجر منها وليست بهجرة قتال وذلك قوله اني مهاجر الى ربّي ﴿ ووهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ﴾ ولداً ﴿ ويَعْقُوبَ﴾ نافلة حين آيس عن الولادة من عجوز عاقر ولذا خصا بالذكر دون إسماعيل ﴿ وجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوةَ﴾ فكل نبي بعده من ذريته ﴿ والْكِتابَ﴾ أي: جنسه فيشمل الكتب الأربعة والصحف ﴿ وآتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا﴾ بإعطاء الولد في غير أوانه، والذرية الطيبة التي من جملتهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وعترتهما الطيبين، واستمرار النبوة فيهم، وانتماء المِلَل اليه، والصلاة والثناء عليه الى آخر الدهر ﴿ وإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لفي عداد الكاملين في الصلاح ﴿ ولُوطاً إِذْ قالَ لِقَومِهِ إِنَّكُمْ﴾ وقرأ الحرميان وابن عامر (انكم) خبراً ﴿ لَتَأْتونَ الْفاحِشَةَ﴾ الفعلة الشنعاء ﴿ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ﴾ استئناف، تقرير فحشها إذ لم يرتكبها أحد قبلهم لنفرتهم لها طبعاً ﴿ أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتونَ الرِّجالَ وتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ باعتراض المارة بالقتل وأخذ المال، أو بالفاحشة، أو تقطعون سبيل النسل بإتيان الرجال دون النساء ﴿ وتَأْتونَ فِي نادِيكُمُ﴾ هو المجلس ما دام أهله فيه ﴿ الْمُنْكَرَ﴾ عن الرضا (ع): كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء. والقمي: كان يضرط بعضهم على بعض. وعن النبي (ص): هو الحذف[1] ﴿ فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا استهزاء ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

---

(١) الحذف: هو أخذ نواحي الشعر ونحن نسميه اليوم (حف الشعر).

في استفحاش ذلك ﴿قالَ رَبِّ انْصُرْني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ بقبائحهم وسنّها في الناس.

[سورة العنكبوت الآيات ٣١ - ٣٨]

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿ ولَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبراهيمَ بالْبُشْرى﴾ بالبشارة بإسحاق ويعقوب بعده ﴿ قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذهِ الْقَرْيَةِ﴾ وهي سدوم واضافة (مهلكوا) لفظية لأنه مستقبل ﴿ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالمينَ﴾ علّلوا إهلاكهم بإصرارهم على الظلم وهو كفرهم ومعاصيهم ﴿ قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً﴾ جدال لهم بأن فيها من لا يظلم إشفاقاً ﴿ قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها﴾ أخبر بحاله وحال قومه ﴿ لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ وخفّفه حمزة والكسائي ﴿ وأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب ﴿ ولَمَّا أَنْ﴾ زيدت للتأكيد ﴿ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾ اغتم بسببهم إذ جاءوا في صورة غلمان أضياف فخاف عليهم قومه ﴿ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾ صدراً كناية عن فقد الطاقة ﴿ وقالُوا﴾ حين رأوا ما لقيه ﴿ ولا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ﴾ فنحن رسل ربك ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ وخففه ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي ﴿ وأَهْلَكَ﴾ نصب عطفاً على محل الكاف، أو بفعل مضمر ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ وشدّده ابن عامر ﴿ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً﴾ عذاباً ﴿ مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم ﴿ ولَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً﴾ هي آثار المنازل الخربة، أو قصتها، أو بقية الحجارة، أو الماء الأسود ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون فيها ويتعلق بـ(تركنا) أو (آية) ﴿ وإِلى مَدْيَنَ﴾ وأرسلنا إليهم ﴿ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ﴾ اعملوا ما ترجون به ثوابه، فأقيم الرجاء مقام سببه، أو خافوه ﴿ ولا تَعْثَوْا﴾ تفسدوا ﴿ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة أو صيحة جبرئيل ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ﴾ صرعى على وجوههم ﴿ وعاداً﴾ وأهلكنا عاداً ﴿ وثَمُودَ﴾ بالصرف ومنع الصرف، بمعنى: الحيّ والقبيلة ﴿ وقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ﴾ بعضها، أو إهلاكهم من جهتها عند مروركم بها ﴿ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ

أعمالهم﴾ كفرهم ومعاصيهم ﴿**فصدهم عن السبيل**﴾ سبيل الحق ﴿**وكانوا مستبصرين**﴾ متمكنين من النظر ولم ينظروا.

[سورة العنكبوت الآيات ٣٩ - ٤٥]

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿ وقارُونَ﴾ وأهلك قارون، ولعله قدّم لنسبه﴿ وفِرْعَونَ وهامانَ ولَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بالْبَيِّنات فَاسْتَكْبَرُوا في الأرضِ وما كانُوا سابِقينَ﴾ فائتين أمرنا بل أدركهم ﴿ فَكُلاًّ﴾ من المذكورين﴿ أَخَذْنا بِذَنْبِه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْه حاصِباً﴾ ريحاً عاصفاً فيها حصباء[1] كقوم لوط﴿ ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كثمود ومدين﴿ ومِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِه الأَرْضَ﴾ كقارون﴿ ومِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالإهلاك﴿ ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإشراك ﴿ مَثَلُ الَّذينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُون اللَّه أولياءَ﴾ أصناماً يلجئون إليها، أي: في وهن ما اعتمدوه في دينهم﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوت اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ تأوي إليه من نسجها الذي هو في غاية الوهن﴿ وإِنَّ أوهَنَ الْبُيُوت لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ يضمحل بأدنى سبب ولا يقيها حراً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عبدتها، فدينهم أوهن الأديان﴿ لَو كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن هذا مثلهم لندموا﴿ إِنَّ اللَّهَ﴾ أي: قل لهم: ان الله يعلم ما تدعون. وقرأ بالياء نافع وابو عمرو حملاً على ما قبله﴿ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ(ما)، أو (ما) استفهامية مفعول (تدعون) و(يعلم) معلقة عنها، أو نافية و(من) زائدة و(شيء) مفعول (تدعون) أو مصدرية و(شيء) مصدر والغرض توكيد المثل على الوسطين وتهديدهم على الآخرين﴿ وهُو الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في صنعه﴿ وتِلْكَ الأَمْثالُ﴾

---

(١) الحصباء : هي الحصى.

المذكورة ونحوها﴿ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ﴾ تفهيماً لهم﴿ وما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾ الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي. القمي: يعني آل محمد (ص)، وعن النبي (ص) انه تلا هذه الآية فقال: العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّماوات والأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالغرض الحق من الدلالة عليه ومنافع الخلق﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً ﴾ على كماله وجلاله﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم المنتفعون بها﴿ اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ﴾ لنفسك وعلى الناس﴿ وأَقِمِ الصَّلاةَ﴾ بشروطها﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ﴾ بكونها سبباً للإنتهاء عن المعاصي لتذكيرها الله وإيراثها في القلب خوفه. القمي: قال: من لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بُعداً. ونحوه عن النبي (ص)، وروي: أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلوات مع رسول الله (ص) ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله (ص) فقال: ان صلواته تنهاه يوماً فلم يلبث ان تاب. و عن الصادق (ع): الصلاة حجزة الله، وذلك انها تحجز المصلي عن المعاصي ما دام في صلاته، ثم تلا هذه الآية﴿ ولَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ عن الباقر (ع): ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه ألا ترى انه يقول: اذكروني أذكركم. وعن الصادق (ع): ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم. أقول: أي: أكبر شيء في النهي عنها﴿ واللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ﴾ من خير وشر فيجازيكم به.

[سورة العنكبوت الآيات٤٦- ٥٢]

وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ

فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ ولا تُجادِلوا أهْلَ الكِتابِ إلاّ بِالَّتِي﴾ بالخصلة التي ﴿ هِيَ أحْسَنُ﴾ كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم، ولم تنسخه آية السيف لوجوب تقديم الرفق ﴿ إلاّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالإعتداء، أو العناد أو نبذ الذمّة، أو قولهم بالولد ﴿ وقُولُوا﴾ في المجادلة بالتي هي أحسن ﴿ آمَنَّا بِالَّذي أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ﴾ هو من المجادلة بالتي هي أحسن، وعن النبي (ص): لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً

لم تكذبوهم. ﴿ وإِلَهُنا وإِلَهُكُمْ واحِدٌ ونَحْنُ لَهُ ﴾ وحده ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ مطيعون له خاصّة. ولعل فيه تعريضاً باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴿ وكَذلِكَ الإنزال أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ ﴾ القرآن مصدّقاً لسائر الكتب المنزلة ﴿ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ كابن سلام وأمثاله، أو من تقدم زمن النبي (ص) من أهل الكتاب ﴿ ومِنْ هؤُلاءِ ﴾ من أهل مكة، أو من عاصره (ص) من أهل الكتاب. والقمي: يؤمنون به هم آل محمد (ص) ومن هؤلاء يعني: أهل الإيمان من أهل القبلة ﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ وما يَجْحَدُ بِآياتِنا ﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها ﴿ إِلاّ الْكافِرُونَ ﴾ المصممون على الكفر، والقمي: ما يجحد بأمير المؤمنين والأئمة (ع) الاّ الكافرون ﴿ وما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِه مِنْ كِتابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ ذكر زيادة تصوير للنفي ﴿ إِذاً ﴾ أي: لوكنت تقرأ وتخط ﴿ لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ الذين شأنهم الإبطال أي: كفرة مكة وقالوا لعله جمعه من كتب الأولين، أو أهل الكتاب، وقالوا: الذي أي: أن المقصود بالذين آتيناهم الكتاب آل محمد (ص). وإيتاؤه إياهم كناية عن آيتائهم علمه ظاهراً في كتبنا انه أميّ. عن الرضا (ع): ومن آياته انه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف الى معلمٍ ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء وأخبارهم حرفاً حرفاً، واخبار من مضى ومن بقي الى يوم القيامة ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ القرآن ﴿ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يحفظونه عن التحريف. عن الباقر (ع): أنه تلا هذه الآية وأومأ بيده الى صدره. وعنه (ع) من عسى ان يكونوا غيرنا. وعن الصادق (ع): هم الأئمة (ع) وقال: نحن وإيانا عنى ﴿ وما يَجْحَدُ بِآياتِنا ﴾ الواضحة ﴿ إِلاّ الظّالِمُونَ ﴾ بالعناد والمكابرة ﴿ وقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى، وقرأ من عدا ابن كثير وأبا بكر وحمزة والكسائي آيات ﴿ قُلْ إِنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ينزلها كما يشاء لست أملكها

فآتيكم بما تقترحونه﴿ وإنّما أنا نذيرٌ مُبينٌ﴾ ليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيت من الآيات﴿ أ ولَمْ يَكْفِهِمْ﴾ آية مغنية عمّا اقترحوه﴿ أنّا أنزلْنا عَلَيْكَ الْكتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ﴾ على الدوام فهو آية ثابتة لا تزول بخلاف سائر الآيات﴿ إنّ في ذلكَ﴾ الكتاب المعجز المستمر﴿ لرَحْمَةً وذِكْرى﴾ نعمة وعظة﴿ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به روي: ان أناساً من المسلمين أتوا رسول الله بكتف[1] كتب فيها بعض ما يقوله اليهود فقال: كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم الى ما جاء به غير نبيّهم، فنزلت﴿ قُلْ كَفى بِاللّهِ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ بصدقي وقد صدقني بالمعجزات﴿ يَعْلَمُ ما في السّماوات والأرضِ﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم﴿ والّذينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله﴿ وكَفَرُوا بِاللّهِ أولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

[سورة العنكبوت الآيات٥٣ - ٦٩]

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ

(١) الكتف: عظم عريض يؤخذ من كتف الحيوان كانوا يكتبون به في السابق لقلة الورق أو القراطيس.

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم
مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ
ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ
لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ
وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾
فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ
إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ

حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿ ويَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ﴾ بقولهم: أمطر علينا حجارة من السماء[1] ﴿ ولَولا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ لكل عذاب وقوم ﴿لَجاءَهُمُ الْعَذابُ﴾ آجلاً ﴿ ولَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة في الدنيا كوقعة بدر، أو الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾ ستحيط بهم أو كالمحيطة بهم لإحاطة الكفر الموجب لها بهم، واللام للجنس، فيعمهم حكمه أو العهد بوضع الظاهر موضع الضمير إشعاراً بموجب الحكم ﴿ يَومَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ﴾ ظرف لـ(محيطة) ﴿ مِنْ فَوقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يغطيهم، مبتدأ من الجهتين ﴿ ويقول﴾ وقرأ نافع والكوفيون بالياء والقائل: الله، أو ملك بأمره ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه ﴿ يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وحذف الياء وصلاً ابو عمرو وحمزة والكسائي وفتحها الباقون وصلاً وسكنوها وقفاً ﴿ إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ﴾ فهاجروا عن أرض لم يتيسّر لكم فيها العبادة الى أرض يتيسر فيها. وفتح ابن عامر الياء ﴿ فَإِيايَ﴾ نصب بما يفسّره ﴿ فَاعْبُدُونِ﴾ والفاء جواب شرط مقدّر أي: إن لم تخلصوا العبادة لي في أرضي فاخلصوها في غيرها. وعن الباقر (ع) يقول: لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك

---

(١) حكى الله تعالى ذلك عنهم في سورة الانفال الآية ٣٢.

فان خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم فان أرضي واسعة وهو يقول: (فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)[١] وعن الصادق (ع): إذا عصي الله في أرض أنت بها فاخرج منها الى غيرها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذائقَةُ المَوتِ﴾ تناله لا محالة﴿ ثُمَّ إلَيْنا تُرْجَعُونَ﴾ بعده للجزاء. وقرأ ابوبكر بالياء ﴿ والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ لَنُبوِّئَنَّهُمْ﴾ لننزلنهم﴿ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً﴾ علالي. وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم من الثواء: الاقامة، فنصب (غرفاً) بحذف في أو بتضمينه معنى: ننزلنهم أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خالدينَ فيها نِعْمَ أَجْرُ الْعاملِينَ الَّذينَ صَبَرُوا﴾ على المشاق والمحن﴿ وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ﴾ في المهمات لا غيره﴿ وكَأَيِّنْ﴾ وكم﴿ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها عن حملة أو لا تدخره﴿ اللَّهُ يَرْزُقُها﴾ مع ضعفها﴿ وإياكُمْ﴾ مع قوتكم على الكسب والحمل أي: لا يرزق الكل إلا هو لأنه المسبب لأسباب رزقهم، قيل: لما أمروا بالهجرة قال بعضهم: كيف نقدم بلدة لا معيشة لنا فيها؟ فنزلت﴿ وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿ الْعَلِيمُ﴾ بسركم﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: أهل مكة﴿ مَنْ خَلَقَ السَّماوات والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ مقرّين بأنه الفاعل لذلك﴿ فَأَنّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده مع إقرارهم بذلك ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه﴿ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ويَقْدِرُ﴾ يضيق له بعد البسط، فالأمران لواحد، أو ويقدر لمن يشاء على وضع الهاء موضعه مبهمة مثله فليسا لواحد﴿ إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماء ماءً فَأَحْيا به الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فكيف يشركون به الجماد﴿ قُلِ الْحَمْدُ للَّهِ﴾ على ما وفقك لتوحيده أي:

---

(١) سورة النساء الآية ٩٧.

على إلزامهم الحجة ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ إن ما أمروا به مبطل لشركهم ﴿ وما هذه الْحَيَاةُ الدُّنْيا ﴾ الحقيرة ﴿ إِلاَّ لَهْو ولَعِبٌ ﴾ إلا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعيين[1] ﴿ وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ ﴾ لهي دار الحياة الحقيقية الأبدية، أو جعلت حياة مبالغة وهو مصدر (حيي) و أصله: حييان، قلبت الثانية واواً واختير هنا على الحياة لأنه أبلغ لتضمن بنائه معنى الحركة اللازمة للحياة ﴿ لو كانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك ما آثروا الحياة الزائلة عليها ﴿ فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ﴾ على ما هم عليه من الشرك ﴿ دَعَوا اللَّهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا اللّه ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ فاجأو ا المعاودة الى الشرك ﴿ لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ ﴾ لكي يكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة ﴿ ولِيَتَمَتَّعُوا ﴾ بإجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها، وقرأ قالون وابن كثير وحمزة والكسائي بسكون اللام ﴿ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ ﴾ غب ذلك[2] حين يعاقبون ﴿ أَ ولَمْ يَرَوا ﴾ يعني: أهل مكة ﴿ أَنَّا جَعَلْنا ﴾ بلدهم مكة ﴿ حَرَماً آمناً ﴾ أهله من القتل والأسر والنهب ﴿ ويُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَولِهِمْ ﴾ يختلسون قتلاً وسبياً إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب ﴿ أَ فَبِالْباطِلِ ﴾ أبعد هذه النعمة الظاهرة وغيرها مما لا يقدر عليه الا اللّه بالصنم، أو الشيطان ﴿ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ حيث أشركوا به غيره ﴿ ومَنْ أَظْلَمُ ﴾ أي: لا أظلم ﴿ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ بأن زعم أنّ له شريكاً ﴿ أو كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ ﴾ من غير تأمل وتوقف ﴿ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ

---

(١) كذا وردت ولعلها: (متعبين).

(٢) غَبَّ ذلك: بعد ذلك.

مَثْوىً لِلْكافِرِينَ﴾ تقرير لثوائهم، أي: الا يثوون فيها وقد افتروا وكذبوا مثل هذا الإفتراء والتكذيب﴿ والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا﴾ في حقنا ما يجب جهاده من النفس والشيطان وحزبه﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾ سبل الجنة أو سبل الخير بزيادة اللطف، أو سبل السير إلينا والوصول الى جنابنا﴿ والَّذِينَ اهْتَدَوا زادَهُمْ هُدىً﴾ وفي الخبر: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.﴿ وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والإعانة، وعن الباقر (ع) هذه الآية لآل محمد (ص) وأشياعهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة العنكبوت وتفسيرها.

سورة الرّوم

ستون أو تسع وخمسون آية، مكية.

(وقد مرّ فضلها في سابقتها)

[الآيات ١ - ١٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ

ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ هم النصارى غلبتهم فارس المجوس ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ أرض العرب منهم وهي أطراف الشام، أراد في

أرضهم من عدوهم وهي الجزيرة﴿ وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ مصدر مضاف الى المفعول أي: بعد أن غلبتهم فارس﴿ سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ هو ما بين الثلاث والعشر﴿ لِلّهِ الامْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ﴾ (من قبل) كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، و(من بعد) كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أي: له الأمر حين غَلَبوا وحين يُغْلَبون، ليس شيء منهما إلا بقضائه. وسئل الزكي (ع) عنه فقال: له الأمر من قبل أن يأمر به، ومن بعد أن يقضي بما يشاء. وعن الباقر (ع): للّه الأمر من قبل أن يأمر، ومن بعد أن يقضي بما يشاء﴿ ويَومَئذٍ﴾ يوم تغلب الروم﴿ يَفرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ﴾ إياهم على فارس لإغتمام المشركين، أو بنصر اللّه المؤمنين بإظهار صدق نبيهم (ص) فيما أخبر به، أو بتولية بعض الظالمين بعضاً، ووافق ذلك يوم نُصِرَ المؤمنون ببدر فنزل به جبرئيل ففرحوا بالنصرين﴿ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ﴾ بمقتضى الحكمة﴿ وهُوالْعَزِيزُ﴾ بخذلانه لمن يشاء﴿ الرَّحِيمُ﴾ بنصره لمن يشاء﴿ وعْدَ اللّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله بمعنى: وعد﴿ لا يُخْلِفُ اللّهُ وعْدَهُ ولكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ صحة وعده لجهلهم﴿ يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ ما يشاهدون منها﴿ وهُمْ عَنِ الآخِرَةِ﴾ المقصودة منها﴿ غافِلُونَ﴾ لا تخطر ببالهم. القمي قال: يرون حاضر الدنيا ويتغافلون عن الآخرة. وعن الصادق (ع): أي: من ظاهر الحياة الدنيا الزجر والنجوم. ونكر ظاهراً إشعاراً بأنهم لا يعلمون الا بعض ظاهرها فضلاً أن يعلموا باطنها من أنها مجاز إلى الآخرة، وكرّر الضمير لرسوخ غفلتهم عن الآخرة ﴿ أ ولَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أمر أنْفُسِهِمْ﴾ التي هي أقرب إليهم من غيرها فانّ فيها ما في العالم من عجائب الصنع ليعلموا أن من قدر على إبدائها قادر على إعادتها فيقولوا، أو فيعلموا﴿ ما خَلَقَ اللّهُ السَّماوات والأرْضَ وما بَيْنَهُما إلاّ بِالْحَقِّ وأجَلٍ مُسَمًّى﴾ ينتهي بقاؤها اليه ﴿ وإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ﴾ بلقاء جزائه والبعث﴿ لَكافِرُونَ﴾ جاحدون

يحسبون أن الدنيا أبديّة وان الآخرة لا تكون﴿ أَ وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ تقرير لسيرهم في أقطار الأرض ونظرهم الى آثار الهالكين قبلهم. وعن الصادق (ع): معناه: أولم ينظروا الى القرآن﴿ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود﴿ وَأَثارُوا الأَرْضَ﴾ قلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن والزرع وغير ذلك﴿ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها﴾ من عمارة أهل مكة إياها، وهو تهكم بهم إذ لا إثارة لهم ولا عمارة أصلاً مع تباهيهم بالدنيا التي عمدة ما يتباهى بها أهلها الإثارة والعمارة﴿ وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ الحجج الواضحات ﴿ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيدمّرهم من غير جرم ولا تذكير﴿ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث عملوا ما أوجب هلاكهم﴿ ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى﴾ أي: العقوبة السوأى تأنيث (أسوأ) أو مصدر وصف به، أي: عاقبتهم ووضع الظاهر موضعه اشارة الى العلة﴿ أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ أي: لأن كذبوا، أو بدل من (السوأى) أو خبر كان و(السوأى) مصدر (أساؤوا) أو مفعوله بمعنى: كان عاقبة]هؤلاء[الذين فعلوا الخطيئة أن منعوا اللطف حتى كذبوا واستهزءوا بالآيات. ونصب الكوفيون (عاقبة) خبراً لـ(كان) واسمها (السوأى) وان كذبوا ـ كما مرّ ـ﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ ينشؤهم﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، التفات الى الخطاب، وقرأ أبو بكر وأبو عمرو بالياء﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكنون متحيرين آيسين﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله ﴿ شُفَعاءُ﴾ يجيرونهم من عذاب الله﴿ وَكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ﴾ جاحدين، وعبّر بالماضي لتحققه، أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيد﴿ يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي: المؤمنون والكافرون، والقمي قال: الى الجنة والنار

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ القمي: أي: يكرمون، وأصله السرور.

[سورة الروم الآيات١٦ - ٢٤]

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّلۡعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا

وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ وأمّا الّذينَ كَفَرُوا و كَذَّبُوا بآياتنا فَأو لئكَ في العَذاب مُحْضَرُونَ﴾ لا يغيبون عنه ولا يفارقونه ﴿ فَسُبْحانَ اللّه حينَ تُمْسُونَ وحينَ تُصْبِحُونَ ولَهُ الحَمْدُ في السّماوات والأرضِ وعَشِيًّا وحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ أمر بلفظ الخبر، أي: نزهوه تعالى واثنوا عليه في هذه الأوقات لظهور قدرته وتجدّد نعمته فيها، قيل: وخصّ التسبيح بالمساء والصباح لأظهرية آثار القدرة فيهما، والحمد بالعشي ـ وهوآخر النهار ـ والظهيرة ـ وهي وسطه ـ لأكثرية تجدّد النعم فيهما. والآية جامعة للصلوات الخمس: (تمسون) صلاة المغرب والعشاء، و(تصبحون) الصبح، و(عشياً) العصر و(تظهرون) الظهر ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّت﴾ المؤمن من الكافر؛، أو الإنسان من النطفة، أو الطائر من البيضة ﴿ ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بالعكس. وخفف (الميت) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر ﴿ ويُحْيِ الأرْضَ﴾ بالنبات ﴿ بَعْدَ مَوتِها﴾ يبسها ﴿ وكَذلكَ﴾ الإخراج ﴿ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء، وفتح حمزة والكسائي الباء. وعن الكاظم (ع): يحيي الأرض لإحياء العدل وإقامة الحد في الأرض أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً ﴿ ومنْ آياته أنْ خَلَقَكُمْ منْ تُراب ثُمَّ إذا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ومنْ آياته أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً﴾ خلق حواء من ضلع آدم، أو فضل طينته وسائر النساء من نطف الرجال، أو من سائر جنسكم ﴿ لِتَسْكُنُوا إلَيْها﴾ لتميلوا وتألفوا إليها، فان الجنسية علة للضم والإختلاف سبب للتنافر ﴿ وجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ بين الرجال والنساء، أو أشخاص النوع ﴿ مَودَّةً ورَحْمَةً﴾ بالزواج لا لسابقة معرفة أو رحم، أو يتوقف تعيّشكم على التعاون المحوج الى التعاطف ﴿ إنَّ في ذلكَ﴾ المذكور ﴿ لآياتٍ ﴾

على قدرته وحكمته ﴿لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه ﴿ومِنْ آياتِه خَلْقُ السَّماوات والأرضِ﴾ على هذا النمط العجيب والطرز الغريب ﴿واخْتلافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم، بأن علم كل ناس لغة، أو ألهمهم وضعها، أو كيفيات نطقكم التي يمتاز بها كل شخص عن غيره ﴿وأَلْوانِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما فوقع بذلك التمايز والتعارف المترتب عليهما حكم ومصالح لا تحصى[1] ﴿إنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِلْعالِمينَ﴾ الثقلين والملائكة، وكسر حفص اللام أي: أولي العلم، عن الصادق (ع) قال: الإمام إذا أبصر الرجل عرفه وعرف ما هو، ان الله يقول: (ومن آياته خلق السماو ات...) الآية، قال: وهم العلماء، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلا عرّفه ناجٍ أو هالك فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم. ﴿ومِنْ آياتِه مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ وابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِه﴾ نومكم في الزمانين لاستراحة البدن وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلفّ وضمّ بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعاراً بأن كلاً من الزمانين وان اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة، ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ﴿إنَّ فِي ذلِكَ﴾ المذكور ﴿لآياتٍ لِقَومٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واستبصار ﴿ومِنْ آياتِه يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ منزل منزلة المصدر، أو مقدر بـ(أن) ﴿خَوفاً﴾ من الصاعقة أو للمسافر ﴿وطَمَعاً﴾ في المطر وللحاضر وهما علتان، أو حالان ﴿ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوتِها إنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتفكرون بعقولهم ليعلموا قدرة مدبرها وحكمته.

---

(١) بعضهم يستدل بهذه الآية على حرمة الاستنساخ البشري بدعوى ان في اختلاف أشكال الناس مصالح متعددة تترتب على هذه التمايز بين البشر. وللاستزادة حول الموضوع راجع (بحوث في الفقه المعاصر) لسماحة الاستاذ الشيخ حسن الجواهري(حفظه الله) ج٣ـ ص١٢٨ وما بعدها.

[سورة الروم الآيات ٢٥ - ٣٢]

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿ومِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السَّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ﴾ بإرادته لقيامهما، أو بإقامته لهما من غير عمد ﴿ثُمَّ إذا دَعاكُمْ دَعْوةً مِنَ الأرضِ إذا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عطف على (أن تقوم) بتأويل: مفرد، أي: من آياته قيامهما ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة: يا أهل القبور اخرجوا، أو المراد: سرعة وجود ذلك بلا توقف كإجابة الداعي المطاع مَدعوَّه، وثم لتراخيه أو لعظم ما فيه، وتعلق (من الأرض) بـ(دعا) لا بـ(تخرجون) لتوسط (إذا) الفجائية وهي تنوب فأخر السابقة ﴿ولَهُ مَنْ في السَّماواتِ والأرضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾ منقادون لفعله بهم ﴿وهُوَ الَّذي يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ بعد إهلاكهم ﴿وهُوَ﴾ أي: الإعادة، والتذكير بمعنى: العَوْد أو أن يعيد ﴿أهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالقياس على أصولكم والأ فهما عليه سواء في السهولة، وقيل: أهون بمعنى: هيّن، وقيل: الهاء للخلق ﴿ولَهُ المَثَلُ﴾ الوصف ﴿الأعْلى﴾ الذي ليس لغيره مثله من الوحدانية والقدرة والحكمة، وعن الصادق (ع): للّه المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم فذلك المثل الأعلى، وقال النبي (ص) لعلي (ع): أنت المثل الأعلى، وعنه (ع): نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الأعلى، وفي الجامعة: السلام على أئمة الهدى... الى قوله: وورثة الأنبياء والمثل الأعلى. ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾ يصفه به من فيهما وما فيهما نطقاً ودلالةً ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً﴾ منتزعاً ﴿مِنْ أنْفُسِكُمْ﴾ التي هي أقرب الأمور إليكم ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾ من مماليككم ﴿مِنْ شُرَكاءَ﴾ (من) زائدة تؤكد الإستفهام المراد به النفي ﴿في ما رَزَقْناكُمْ﴾ من الأموال ﴿فأنْتُمْ وهم فِيهِ سَواءٌ﴾ فتكونون أنتم وهم فيه سواء، يتصرفون فيه كتصرفكم مع إنهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ﴿تَخافُونَهُمْ﴾ أن يستبدوا بتصرف فيه ﴿كَخِيفَتِكُمْ أنْفُسَكُمْ﴾ كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض

﴿ كَذلكَ﴾ التفصيل ﴿ نُفَصِّلُ الآيات﴾ نبيّنها ﴿ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون بعقولهم ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿ أهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم إذا اتبع هواه ردعه علمه ﴿ فَمَنْ يَهْدي مَنْ أضَلَّ اللَّهُ﴾ فمن يقدر على هدايته ﴿ وما لَهُمْ مِنْ ناصِرينَ﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتهم ﴿ فَأقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً﴾ القمي: أي: طاهراً، قيل: هو تمثيل للإقبال والإستقامة عليه والإهتمام به، وعن الباقر (ع): هي الولاية، وعن الصادق (ع): أمره أن يقيم وجهه للقبلة ليس فيه شيء من عبادة الأوثان، وعنه (ع): يقوم للصلاة لا يلتفت يميناً ولا شمالاً. ولعل افراده (ص) بالخطاب تعظيماً له (ص) ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ خلقته نصب بتقدير: الزموا ﴿ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ وهي قبولهم لدين الإسلام، لو خلّوا وما فطروا عليه ما اختاروا عليه ديناً ﴿ لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي: ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة ﴿ ذلكَ﴾ هو ﴿ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ المستقيم ﴿ ولكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لعدم تفكرهم. عن الصادق (ع) سئل ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد قال: (ألست بربكم)[1]، وفيهم المؤمن والكافر، وفي أخبار كثيرة: فطرهم على التوحيد، وعن الباقر (ع): فطرهم على المعرفة به، وعنه (ع): فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنه ربهم، قال: لولا ذلك لم يعلموا من ربّهم ولا من رازقهم. ﴿ مُنيبينَ﴾ راجعين ﴿ إلَيْهِ﴾ مرة بعد أخرى حال من ضمير (الزموا) المقدر ﴿ واتَّقُوهُ وأقيمُوا الصَّلاةَ ولا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكينَ﴾ ﴿ مِنَ الَّذينَ﴾ بدل بإعادة (من) ﴿ فَرَّقُوا دينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه، وقرأ حمزة والكسائي، فارقوا أي: تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿ وكانُوا شيَعاً﴾ فرقاً كل فرقة تشيع إماماً ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ظناً بأنه الحق.

---

(١) أشار القرآن الكريم الى ذلك في سورة الأعراف الآية ١٧٢.

[سورة الروم الآيات ٣٣ - ٤١]

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

﴿ وإذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ شدّة ﴿ دَعَوا ربَّهُمْ مُنيبينَ﴾ راجعين ﴿ إليْهِ﴾ من دعاء غيره ﴿ ثُمَّ إذا أذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ خلاصاً من تلك الشدة ﴿ إذا فَريقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فاجأوا الإشراك بربهم الذي عافاهم ﴿ لِيَكْفُرُوا بما آتَيْناهُمْ﴾ اللام للعاقبة أو للأمر على التهديد ﴿ فَتَمَتَّعُوا﴾ التفات ﴿ فَسَوفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تمتعكم ﴿ أمْ أنزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً﴾ حجة أو ذا سلطان، أي: مَن معه برهان ﴿ فَهُو يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ بإشراكهم ﴿ وإذا أذَقْنا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ نعمة من صحة وسعة ﴿ فَرِحُوا بِها﴾ بطروا بسببها ﴿ وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدّة ﴿ بِما قَدَّمَتْ أيديهِمْ﴾ بشؤم معاصيهم ﴿ إذا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من رحمته ﴿ أ ولَمْ يَرَوا﴾ يعلموا ﴿ أنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ﴾ يضيّقه لمن يشاء بحسب الحكمة ﴿ إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ﴾ على قدرته وحكمته ﴿ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ﴾ أقرباك فرضهم من الخُمس. وعن الصادق (ع): إنه (ص) لما نزلت أعطى فاطمة فدكاً، وقيل: أمر له ولأمّته بصلة الرحم ﴿ والْمِسْكينَ وابْنَ السَّبيلِ﴾ حقهما من الزكاة ﴿ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذينَ يُريدُونَ﴾ بمعروفهم ﴿ وجْهَ اللَّهِ﴾ جهة التقرب إليه لا جهة أخرى ﴿ وأو لَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالنعيم الباقي ﴿ وما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً﴾ زيادة محرمة في المعاملة، أو عطيّة يطلب بها أكثر منها، وقصره ابن كثير، أي: ما جئتم به من ربا ﴿ لِيَرْبُوا﴾ ليزيد ﴿ في أمْوالِ النَّاسِ﴾ أكلة الربا وقرأ نافع بالتاء مضمومة وسكون الواو أي: لتزيدوا ﴿ فَلا يَرْبُوا﴾ فلا يزكو ﴿ عِنْدَ اللَّهِ﴾ بل يمحقه ولا يثيب المكافي، وعن الصادق (ع) الربا رباءان: ربا يؤكل وربا لا يؤكل، فأما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها فذلك الربا الذي يؤكل وهو قول اللَّه عز وجل: (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند اللَّه) وأما الذي لا يؤكل فهو الذي نهى اللَّه عنه

وأوعد عليه النار﴿ وما آتَيْتُمْ مِنْ زكاةٍ تُرِيدُونَ وجْهَ اللّهِ﴾ تبتغون وجهه خالصاً ﴿ فَأولئكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ فأولئك هم المضعفون ذوو الأضعاف من الثواب في الآجل، والمال في العاجل. القمي: أي: ما بررتم به إخوانكم وأقرضتموهم لا طمعاً في زيادة﴿ اللّهُ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ الّذي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: هو فاعل لهذه الأفعال التي لا يقدر على شيء منها غيره﴿ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ﴾ ممن اشركتموهم به من الأصنام وغيرها﴿ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ﴾ المذكور ﴿ مِنْ شَيْءٍ﴾ حتى تجوز عبادتكم لهم؟ و(من) الأولى تبعيضية، والثانية ابتدائية، والثالثة زائدة، وكل منها تأكيد لتعجيز شركائهم ويجوز كون الموصول صفة والخبر: هل من شركائكم، والرابط من ذلكم إذ معناه من أفعاله﴿ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ به﴿ ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أيدِي النّاسِ﴾ القمي قال: في البر فساد الحيوان إذا لم تمطر وكذلك هلاك دواب البحر بذلك، وقال الصادق (ع): حياة دواب البحر بالمطر فإذا كفّ المطر ظهر الفساد في البر والبحر وذلك إذا كثرت الذنوب والمعاصي. وعن الباقر (ع): ذاك واللّه حين قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، أقول: المراد بسبب ذنوبهم، كما قال: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم[1] أو ظهر الشر والظلم بكسبهم إياه﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذي عَمِلُوا﴾ بعض وباله عاجلاً لأن تمامه في الآخرة، واللام للعلة أو العاقبة، وقرأ قنبل بالنون ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٠.

[سورة الروم الآيات ٤٢-٥٠]

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ

﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأرضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبلُ﴾ من تدميرهم بسوء فعلهم ﴿كانَ أكْثَرُهُمْ مُشْرِكينَ﴾ أي: دمّر أكثرهم للشرك وقليل منهم لما دونه من المعاصي ﴿فَأَقِمْ وجْهَكَ للدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ المستقيم ﴿مِنْ قَبلِ أنْ يَأتِيَ يَومٌ لا مَرَدَّ لَهُ﴾ لا يردّه أحد ﴿مِنَ اللّهِ﴾ متعلق بـ(يأتي)، أو بـ(مردّ) أي: لا يردّه اللّه بعد أن يجيء به ﴿يَومَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون أي: يتفرقون الى الجنة والنار ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ لا على غيره ﴿كُفْرُهُ﴾ أي: وباله وهو النار ﴿ومَنْ عَمِلَ صالحاً فَلأنْفُسِهِمْ﴾ لا لغيرها ﴿يَمْهَدُونَ﴾ منزلاً في الجنة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ علة لـ(يمهدون) أي: ليصّدعون ولم يقل (ليجيزهم) بل صرّح بوصفهم إيذاناً بعلّية الإيمان والصلاح لجزائهم ﴿مِنْ فَضْلِه﴾ زيادة على ثوابهم الواجب لهم أو من عطائه وهو ثوابه لهم ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ﴾ أي: يجازيهم بالعقوبة على كفرهم ﴿ومِنْ آياتِه أنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ﴾ الجنوب والصّبا والشمال[1] وهي للرحمة، وأما الدّبور[2] فللعذاب. ووحّدها ابن كثير وحمزة والكسائي إرادة للجنس ﴿مُبَشِّراتٍ﴾ بالغيث ﴿ولِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على معنى (مبشرات) أي: ليبشركم وليذيقكم ﴿مِنْ رَحْمَتِه﴾ وهي الغيث

---

(١) الجنوب: الريح التي تهب من جهة الجنوب. وكذلك الشمال: هي الريح التي تهب من جهة الشمال. وأما الصّبا ـ بالفتح ـ: فهي ريح مهبها من مشرق الشمس اذا استوى الليل والنهار.

(٢) الدّبور ـ بالفتح ـ هي ريحٌ تهب من جهة المغرب . أي: من الجهة المقابلة لريح الصّبا.

المسبب عنها، أو الخصب التابع له، أو الروح الحاصل لهبوبها ﴿ولِتجريَ الفُلكُ بأمرِه﴾ بإرادته ﴿ولتَبتغوا من فَضْله﴾ بتجارة البحر ﴿ولعلَّكُمْ تَشكُرُونَ﴾ هذه النعمة فتوحدونه ﴿لَقَدْ أرسَلْنا منْ قَبلكَ رُسُلاً إلى قَومِهِمْ فجاؤُهُمْ بالْبيِّنات﴾ فكذبوهم ﴿فانتقَمْنا منَ الَّذينَ أجْرَمُوا﴾ بالإهلاك ﴿كانَ حقًّا عَلَيْنا نَصْرُ المُؤْمنينَ﴾ في جعلهم مستحقين عليه أن ينصرهم، تعظيمٌ لهم وإظهارٌ لكرامتهم ﴿اللهُ الَّذي يُرْسِلُ الرِّياحَ﴾ بالقراءتين ﴿فتُثيرُ سَحاباً﴾ يهيجه ﴿فَيَبسُطُهُ في السَّماء﴾ في جهتها ﴿كَيفَ يَشاءُ﴾ من قلة وكثرة وغيرهما ﴿ويَجْعَلُهُ كِسَفاً﴾ قطعاً متفرقة، وسكنه ابن عامر ﴿فَتَرى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ من فجاجه، وعن علي (ع): من خلله ﴿فإذا أصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ أي: بلادهم وأراضيهم ﴿إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمجيء الخصب ﴿وإنْ كانُوا منْ قَبلِ أنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ المطر ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ تكرير للتأكيد ﴿لَمُبْلِسينَ﴾ لآيسين ﴿فانظُرْ﴾ إلى آثار ﴿رَحْمَتِ اللهِ﴾ أثر المطر من النبات والخصب. وجمعه ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي ﴿كَيفَ يُحْيِ الأرْضَ بَعْدَ مَوتِها إنَّ ذلكَ﴾ المحيي للأرض برحمته ﴿لَمُحْيِ الْمَوتى وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ ومنه إحياء الموتى.

[سورة الروم الآيات ٥١ - ٦٠]

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ

قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ
ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ
كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ
لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ
وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ولئِنْ﴾ لام قسم ﴿أرْسَلْنا ريحاً﴾ ضارّة ﴿فرأوهُ﴾ أي: الأثر وهو النبات ﴿مُصْفَرًّا﴾ وقيل: الهاء للسحاب لأنه إذا اصفرّ لم يمطر ﴿لَظَلُّوا﴾ جواب سد مسدّ الجزاء ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد أن رأوه مصفراً ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ذمّهم بأنهم إذا حبس عنهم المطر قنطوا ولم يستغفروا، وإذا أمطروا فرحوا ولم يشكروا، أو إذا ضرب زرعهم الصّفار كفروا نعمته ولم يصبروا ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوتى﴾ وهم مثلهم لما سدّوا عن الحق مشاعرهم ﴿ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولّوا مُدْبِرِينَ﴾ فإنهم حينئذ أبعد عن الأسماع لأن الأصمّ المقبل وإن لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات وقرأ ابن كثير

بالياء ورفع الصمّ﴿ وما أنتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ أي: ما تبعدهم عنها بالهدى، وقرأ حمزة (تهدي)﴿ إنْ ما تُسْمِعُ ﴾ سماع قبولٍ﴿ إلاّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتنا﴾ لأنه الذي يتلقى اللفظ ويتدبر المعنى﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لأمره﴿ اللَّهُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي: ابتدأكم أطفالاً ضعافاً، أو من أصل ضعيف وهو النطفة ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وهو بلوغ الأشدّ وقوة الشباب، أو تعلّق الرّوح ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوةٍ ضَعْفاً وشَيْبَةً﴾ أي: في حال الشيخوخة والهرم. وفتح عاصم وحمزة ضاد الثلاث﴿ يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ من ضعف وقوة وشيبة ﴿ وهُو الْعَليمُ﴾ بكل شيء﴿ الْقَديرُ﴾ على ما يشاء﴿ ويَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا﴾ في القبور، أو في الدنيا، أو فيما بين فنائها والبعث وهو وقت انقطاع عذابهم﴿ غَيْرَ ساعَةٍ﴾ يستقصرون مدة لبثهم بالنسبة الى مدة عذاب الآخرة، أو ينسونها﴿ كَذلكَ﴾ الصرف عن الصدق﴿ كانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون في الدنيا﴿ وقالَ الَّذينَ أوتُوا الْعِلْمَ والإيمانَ﴾ من الملائكة وغيرهم. عن الرضا (ع): إنهم الائمة (ع). وقيل: من الملائكة وغيرهم﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ﴾ في علمه، أو اللوح، أو ما كتبه أي: أوجبه، أو القرآن من قوله: (ومن ورائهم برزخ...)[1]﴿ إلى يَومِ الْبَعْثِ ﴾ ردّوا قولهم واطلعوهم على الحقيقة﴿ فَهذا يَومُ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه﴿ ولَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه لترككم النظر وإلغاء جواب شرط مقدر، أي: إن كنتم منكرين البعث، فهذا يومه وقد أبطل إنكاركم. القمي: هذه الآية مقدّمة ومؤخرة وإنما هو (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان في

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٠.

تاب الله لقد لبثتم الى يوم البعث)[1] ﴿فَيَومَئِذٍ لا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ وقرأ الكوفيون بالياء لأن تأنيث المعذرة غير حقيقي وقد فصل بينهما ﴿ولا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى أي: الرجوع الى رضى الله ﴿ولَقَدْ ضَرَبْنا للنّاسِ في هذا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ منبّه على التوحيد والبعث وصدق الرّسول ﴿ولَئِنْ﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُمْ بآيةٍ﴾ من القرآن أو مما اقترحوه ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ يعنون الرسول والمؤمنين ﴿إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ مزورون ﴿كَذلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ الحق لتركهم النظر أي: يمنعهم ألطافه لعلمه بأنها لا تجدي فيهم ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ وعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرتك وإظهار دينك على الدين كلّه حق لابد من إنجازه ﴿ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ لا يحملنّك على الخفّة والضجر بتكذيبهم وإيذائهم فإنهم شاكون ضالون لا يستبعد منهم ذلك والقمي أي: لا يغضبنّك.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الروم وتفسيرها.

---

(١) هذا القول باطل. حيث لم يقع التحريف في القرآن الكريم لا بالزيادة ولا بالنقيصة ولا بتقديم كلمة ولا بتأخير أخرى. (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وللإطلاع على تفاصيل البحث راجع كتاب (البيان) للسيد أبو القاسم الخوئي (قده) في القسم المختص بالتحريف.

سورة لقمان

ثلاث أو أربع وثلاثون آية، مكيّة.

وقيل: ثلاثا من (ولو أنّ ما في الأرضِ)

[الآيات ١ - ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾

عن الباقر (ع): من قرأ سورة لقمان في ليله وكّل اللّه به في ليلته ملائكة يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح، وإذا قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يمسي ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الم تِلْكَ﴾ الآيات ﴿آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو ذي الحكمة ﴿هُدىً ورَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ حالان من (آيات) والعامل الإشارة، ورفعهما حمزة خبر محذوف أو خبر بعد خبر ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان لإحسانهم، أو تخصيص لهذه الثلاثة اعتداداً بها ﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لإستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح، ومرّ ما فيه في البقرة ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ ما يلهي عن الخير كالغناء والأحاديث الكاذبة والمضاحك وفضول القول، والإضافة بيانية. القمي قال: الغناء وشرب الخمر وجميع الملاهي، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم فكان يحدث بها ويقول: ان محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم والأكاسرة ﴿عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ عن دينه وطريقه، أو قراءة كتابه، وفتح ابن كثير وابوعمرو الياء أي: يثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بحال ما يشتريه حيث يشتري الباطل بالحق ﴿ويَتَّخِذَها﴾ أي: السبيل، ونصبه حفص وحمزة والكسائي عطفاً على (ليضل) ﴿هُزُواً﴾ سخرية ﴿أو لئكَ لَهُمْ

عَذابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة﴿ وإِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا ولّى مُسْتَكْبِراً﴾ متكبراً ﴿ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها﴾ يشبه من لم يسمعها﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وقْراً﴾ مشبهاً الاصمّ والأولى حال من (مستكبراً) والثانية من (لم يسمعها) أو الأحوال الثلاث مترادفة من (ولّى) وجوّز كونهما استئنافين وسكن نافع الذّال﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ أعلمه بأنه مصيبه وذكره البشارة تهكم. عن الباقر (ع): هو النضر بن الحارث وكان ذا رواية لأحاديث الناس وأشعارهم يقول اللّه: (وإذا تتلى... الآية) وعن الصادق (ع): هو الطعن في الحق والإستهزاء به وما كان أبوجهل وأصحابه يجيئون به إذ قال: يا معشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم، ثم أرسل الى زبد وتمر فقال: هذا هو الزقوم الذي يخوّفكم به، قال: ومنه الغناء﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتُ النَّعِيمِ خالِدِينَ﴾ مقدراً خلودهم﴿ فِيها ﴾ إذا دخلوها﴿ وعْدَ اللّهِ حَقًّا﴾ مصدران، أولهما مؤكد لنفسه وثانيهما لغيره لأن لهم جنات وعد، وما كلّ وعد حقاً ﴿ وهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا مانع له عن إنجاز وعده و وعيده﴿ الْحَكِيمُ﴾ الذيلا يفعل إلاّ مقتضى حكمته﴿ خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ فسّر في الرعد وعن الرضا (ع): ثمّ عمد ولكن لا ترونها﴿ وأَلْقى فِي الأَرْضِ رَواسِيَ﴾ جبالاً شوامخ﴿ أَنْ﴾ كراهة أن﴿ تَمِيدَ بِكُمْ وبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وأَنْزَلْنا﴾ التفات إلى التكلم﴿ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ صنف ذي منافع هذا الذي ذكر﴿ خَلْقُ اللّهِ﴾ مخلوقه﴿ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: إلهتكم حتى أشركتموها به. و(ماذا) مفعول (خلق) أو (ما) مبتدأ و(ذا) موصول وهو بصلته خبره و(أروني) معلق عنه ﴿ بَلِ الظّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم الضلال البيّن، ودلّ على ظلمهم بإشراكهم بوضع الظاهر موضع ضميرهم.

[سورة لقمان الآيات ١٢ - ١٩]

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾

﴿ ولَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ﴾ قيل: هو ابن باعورا ابن أخت أيوب أو خالته، وعمّر حتى أدرك داود وأخذ منه العلم﴿ الْحِكْمَةَ﴾ عن الكاظم (ع): الفهم والعقل، وعن الصادق (ع): أوتي معرفة إمام زمانه﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ومَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِه﴾ لأن نفعه عائد إليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها﴿ ومَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لا يحتاج إلى الشكر﴿ حَمِيدٌ﴾ حقيق بالحمد حمد أو لم يحمد، أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته﴿ وإِذْ﴾ واذكر إذ﴿ قالَ لُقْمانُ لابْنِه﴾ (أنعم) أو (أشكم)﴿ وهُوَ يَعِظُه يا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق وسكن ابن كثير ياءه، وقنبل ياء الأخير، وفتح حفص ياء الثلاثة، ومثله البزّي في الأخير، وكسرها الباقون في الثلاثة﴿ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل: كان كافراً فما زال به حتى أسلم﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنه تسوية بين من لا نعمة إلاّ منه ومن لا نعمة منه﴿ ووَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْه حَمَلَتْه أُمُّه وَهْناً﴾ تهن وهناً﴿ عَلى وَهْنٍ﴾ أي: تضعف ضعفاً فوق ضعف إذ كلما ازداد الحمل ازدادت ضعفاً، والجملة في محل الحال وجملته استئناف يؤكد التوصية في حقها خصوصاً﴿ وفِصالُه فِي عامَيْنِ﴾ فطامه في انقضائهما وهما مدّة رضاعه﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي ولِوالِدَيْكَ ﴾ تفسير لـ(وصيّنا) وشكرهما: برّهما﴿ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فأحاسبك على شكرك وكفرك. عن الرضا (ع): أمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله﴿ وإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِه عِلْمٌ﴾ أريد بنفي العلم به نفسه أي: ما ليس بشيء يعني: الأصنام﴿ فَلا تُطِعْهُما﴾ في ذلك﴿ وصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾ صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع والعرف﴿ واتَّبِعْ سَبِيلَ

مَنْ أنابَ إِلَيَّ﴾ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة. عن الباقر (ع): أتبع سبيل محمد (ص) ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعا﴿ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازات[1] كلٍ بعمله، والآيتان معترضتان في تضاعيف وصيّة لقمان تأكيداً لما فيهما من النهي عن الشرك حتى أنه يلزم فيه مخالفة من يجب طاعته تلو طاعة الله ﴿ يا بُنَيَّ إِنَّها﴾ أي: الخصلة من الإساءة والإحسان﴿ إِنْ تَكُ مِثْقالَ زنة حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ ورفعه نافع على أن الهاء للقصة، و(كان) تامة وتأنيثها لإضافة (مثقال) إلى (الحبّة)﴿ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَو فِي السَّماواتِ أو فِي الأرضِ﴾ في أخفى موضع كجوف الصخرة أو أعلاه كالسماوات، أو أسفله كالأرض﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يحضرها ويحاسب عليها، والقمي قال: من الرزق يأتيك به الله﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ نافذ القدرة﴿ خَبِيرٌ ﴾ بكل خفيّ﴿ يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ واصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ﴾ من المصائب في ذلك، أو مطلقاً﴿ إِنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الامُورِ﴾ من معزوماتها التي عزمها الله أي: قطعها قطع إيجاب﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك من الناس تكبراً ولا تعرض عمن يكلمك استخفافاً به ـ كما عن الصادق (ع) ـ وقيل: هو من (الصّعر) وهو داء يعتري البعير ويلوي عنقه أي: لا تذل للناس طمعاً فيما عندهم. وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي (تصاعر)﴿ ولا تَمْشِ فِي الأرضِ مَرَحاً﴾ تمرح مرحاً، أو لأجل المرح وهو البطر﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾ علة النهي والمختال مقابل للماشي مرحاً، والفخور للمصعّر خدّه، وعكس الترتيب للفاصلة﴿ واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع بسكينة و وقار﴿ واغْضُضْ﴾ أقصر واخفض﴿ مِنْ صَوتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْواتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوتُ الْحَمِيرِ﴾ قيل: الحمار ونهاقه مثلان في الذم

---

(١) الصحيح أن تكتب: (مجازاة) بالتاء المدوّرة.

فتمثيل الصوت المرتفع بنهاقه وإخراجه مخرج الاستعارة مبالغة في الذم، و وّحد الصوت قصداً للجنس لا إفراده، وفي الروايات: إنها العطسة المرتفعة القبيحة، والرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحاً إلاّ أن يكون داعياً أو يقرأ القرآن.

[سورة لقمان الآيات ٢٠ - ٢٨]

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ

يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿ أَلَمْ تَرَوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماوات﴾ بأن جعله أسبابا لمنافعكم ﴿ وما فِي الأرضِ﴾ بأن مكّنكم من الانتفاع به ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وباطِنَةً﴾ محسوسة ومعقولة، معلومة وغير معلومة، وعن الباقر(ع): أما النعمة الظاهرة فالنبي (ص) وما جاء به من معرفة اللّه وتوحيده، وأما النعمة الباطنة: فولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا. وعن الكاظم (ع): النعمة الظاهرة: الإمام الظاهر، والباطنة: الامام الغائب. وعن النبي (ص): أمّا (ما ظهر) فالإسلام وما سوى اللّه من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق، وأمّا (ما بطن) فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به. ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ﴾ في توحيده وصفاته ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفاد من برهان ﴿ ولا هُدىً﴾ راجع الى رسول أو وصيّ رسول ﴿ ولا كتابٍ مُنيرٍ﴾ أنزله اللّه بل بتقليد من لا يجوز تقليده ﴿ وإذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ ذمهم على التقليد ﴿ أ ولَو﴾ إنكار، أي: أ يتبعونه والحال (لَو) ﴿كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إلى عَذاب السَّعِيرِ﴾ إلى ما يوجبه ﴿ ومَنْ يُسْلِمْ وجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يفوض أمره إليه ويقبل بكلّه عليه، وعدى بـ(اللام) لتضمنه معنى: أخلص ﴿ وهُو مُحْسِنٌ﴾ في عمله ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَة الْوُثْقى﴾ المحكمة، وهو تمثيل للمعلوم بالمحسوس القمي: قال: بالولاية ﴿ وإِلَى اللَّه عاقِبَةُ الأمُورِ﴾ إذ الكل صائر إليه ﴿ ومَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾ فإنه لا يضرّك ﴿ إِلَيْنا

مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا﴾ بالعقاب عليه﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها﴿ نُمَتِّعُهُمْ﴾ بدنياهم زماناً﴿ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة﴿ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد ثقيل عليهم﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ مقرّين بأنه خالقها بوضوح البرهان بحيث اضطرّوا الى التوحيد، وفي النبوي: كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن اللّه خالقه فذلك قول اللّه (ولئن سألتهم...) الآية. وسئل الجواد (ع) ما معنى الواحد؟ فقال: اجتماع الألسن عليه بالتوحيد، كما قال (ولئن سألتهم....) الآية.﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إلزامهم والجائهم إلى الإعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ان ذلك يلزمهم﴿ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين﴿ الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد وان لم يحمد﴿ وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ والْبَحْرُ ﴾ الأعظم مداد وأغنى عن ذكره ﴿ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لأنه من مدّ الدواة وأمدّها، ورفع (البحر) عطفاً على محل أنّ ومعمولها ويمدّه حال أو مبتدأ و(الواو) للحال ونصبه أبو عمرو عطفاً على إسم (أن) ﴿ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ﴾ الدالة على علمه وحكمه يكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد، وجمع القلّة يشعر بأن ذلك لا يفي بقليلها دون كثيرها﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء﴿ حَكِيمٌ﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته شيء. نزلت جواباً لقول اليهود: أوتينا التوراة وفيها كل الحكم، أو لقول قريش: سينفد الوحي﴿ ما خَلْقُكُمْ ولا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ ﴾كخلقها وبعثها في قدرته فيكفي فيها إرادته عن الباقر (ع): بلغنا ـ واللّه أعلم ـ أنهم قالوا: يا محمد (ص) خلقتنا أطواراً نطفاً ثم علقاً ثم أنشأنا خلقاً آخر كما تزعم، وتزعم أنّا نبعث في ساعة واحدة، فقال اللّه: (ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة فإنما يقول له

كن فيكون)[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يسمع كلَ مسموعٍ ويبصر كلَ مبصرٍ، لا يشغله شيءٌ عن شيءٍ.

[سورة لقمان الآيات ٢٩ - ٣٤]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى

---

(١) سورة غافر الآية ٦٨.

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿ أ لَمْ تَرَ أنَّ اللّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله﴿ فِي النَّهارِ ويُولِجُ النَّهارَ﴾ يدخله ﴿ فِي اللَّيْلِ﴾ القمي: يقول: ما ينقص من الليل يدخل في النهار وما ينقص من النهار يدخل في الليل﴿ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ﴾ من النَيّرين﴿ يَجْرِي﴾ في ملكه ﴿ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الى وقت معلوم، للشمس الى آخر السنة وللقمر إلى آخر الشهر، أو إلى يوم القيامة القمي يقول: كل واحد منهما يجري إلى منتهاه ولا يقصر عنه ولا يجاوزه﴿ وأنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بكنههم﴿ ذلِكَ﴾ المذكور من قدرته وحكمته﴿ بِأنَّ اللّهَ هُو الْحَقُّ﴾ بسبب أنه الثابت﴿ وَأنَّ ما تَدْعونَ مِنْ دونِه الباطِلَ﴾ الزائل وقرأ أبوعمرو وحفص وحمزة والكسائي بالياء﴿ وأنَّ اللّهَ هُو الْعَلِيُّ﴾ على كل شيء﴿ الْكَبِيرُ﴾ عن أن يعدله شيء﴿ أ لَمْ تَرَ أنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللّهِ﴾ بفضله ورحمته﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِه﴾ الدالة على تفرده بالالهية والقدرة والحكمة﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ﴾ دلالات﴿ لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ على بلائه﴿ شَكُورٍ﴾ على نعمائه، أو لكل من حبس نفسه على النظر في آيات اللّه، والتفكر لآلائه، والشكر لنعمائه. القمي قال: الذي يصبر على الفقر والفاقة ويشكر اللّه على جميع أحواله ﴿ وإِذا غَشِيَهُمْ﴾ علاهم وغطاهم في البحر﴿ مَوجٌ كَالظُّلَلِ﴾ كما يظل من جبل، أو سحاب، أو غيرهما ﴿ دَعَوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء، لا يدعون سواه﴿ فَلَمّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ متوسط في الكفر منزجر بعض الإنزجار، أو ثابت على الطريق القصد وهو الإيمان، والقمي: أي: صالح﴿ وما يَجْحَدُ بِآياتِنا﴾ ومنها

الإنجاء من البحر﴿ إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدّار شديد الغدر، والقمي: الخَتّار[١] الخدّاع ﴿ كَفُورٍ﴾ لنعم الله﴿ يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوا يَوماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ لا يقضي عنه شيئاً فيه﴿ ولا مَوْلُودٌ﴾ مبتدأ وسوّغه النفي، وخبره ﴿ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً﴾ وغير النظم لعدم نفع المولود وحسماً لأن يطمع في نفع مؤمن أباه الكافر ﴿ إنَّ وعْدَ اللّهِ﴾ بالبعث والجزاء﴿ حَقٌّ﴾ لا خلف فيه﴿ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ عن السّجاد (ع): الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا معلومة﴿ ولا يَغُرَّنَّكُمْ باللّه الْغَرُورُ﴾ الشيطان بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجنبكم عن المعاصي﴿ إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علم وقت قيامها﴿ ويُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ بوقته المعيّن له في علمه وتشدّده نافع وعاصم وابن عامر﴿ ويَعْلَمُ ما فِي الأرْحامِ﴾ أذكرٌ أم أنثى؟[٢] تام أم ناقص؟﴿ وما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً﴾ من خير أو شرّ﴿ وما تَدْرِي نَفْسٌ بأي أرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله، وجعل العلم لله والدّراية للعبد للمحها معنى الحيلة، فيفيد أنه ـ وان اعمل حيلته ـ لم يعرف ما يخصه من كسبه وعاقبته فضلاً عن غيره﴿ إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء﴿ خَبِيرٌ﴾ بباطنه عن الصادق (ع): هذه الخمسة أشياء لم يطلع عليها مَلَكٌ مقرّب ولا نبي مرسل وهي من صفات اللّه. وفي النهج: هذا هو علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلاّ اللّه، وعنهم (ع): إن هذه الأشياء الخمسة لايعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى.

تمّت ـ وللّه الحمد ـ سورة لقمان وتفسيرها.

---

(١) الختّار: هو الغدار.

(٢) استطاع العلم اليوم أن يحدد جنس الجنين هل هو ذكر أو أنثى. وقد ورد عن الامام علي(ع) في تفسير هذه الآية: يعلم أنه شقي أم سعيد، ويعلم أنه من أهل الجنان أو من حطب النيران.

سورة السّجدة

ثلاثون، أو تسع وعشرون آية، مكية.

[الآيات ١ - ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠ ۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾

عن الصادق (ع): من قرأ سورة السجدة في كل ليلة جمعة أعطاه اللّه كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه، وكان من رفقاء محمد وأهل بيته صلى اللّه عليه وآله وسلّم ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الم﴾ إن كان اسماً للسورة فمبتدأ خبره: ﴿تَنْزِيلُ الْكتابِ﴾ وإن كان تعديد حرف فـ(تنزيل) خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لا رَيْبَ فيهِ﴾ وقوله ﴿مِنْ رَبِّ الْعالَمينَ﴾ حال من الهاء، إذ لا عمل للمصدر فيما بعد خبره، أو هو الخبر ولاريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض، والهاء لمضمون الجملة، أي: في تنزيله منه ويعضده ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ﴾ لأنه إنكار لكونه منه وكذا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ لأنه تقرير له ﴿لِتُنْذِرَ﴾ علة التنزيل ﴿قَوماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسول بشريعة، ولا ينفي وجود وصي منهم حافظ شرع رسول سابق ظاهرا أو مستتراً لامتناع خلو الزمان من حجة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك ﴿اللّهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والارْضَ وما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فسرّ في الأعراف ويجوز كونه صفة والخبر ﴿ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ إذا جاوزتم رضاه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ ينصركم ﴿ولا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بذلك ﴿يُدَبِّرُ الامْرَ﴾ أمر الدنيا مدّة أيامها فينزله ﴿مِنَ السَّماءِ إِلَى الأرضِ ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر كله ﴿إِلَيْهِ﴾ بعد فنائها ﴿فِي يَومٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا وهو يوم القيامة وقيل: ينزل الوحي مع جبرئيل ثم يرجع إليه ما كان من قبوله أو ردّه

مع جبرئيل وذلك في وقت هو كألف سنة لأن مسافة نزوله وعروجه مسير ألف سنة إذ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر والقمي: يعني الأمور التي يديرها والأمر والنهي الذي أمر به كل هذا يظهر يوم القيامة فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدنيا﴿ ذلِكَ﴾ الخالق المدبّر﴿ عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾ ما غاب عن الخلق وماحضر﴿ الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه﴿ الرَّحِيمُ﴾ بعباده﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أحكمه وأتقنه أو علم كيف يخلقه من قولهم فلان يحسن كذا أي: يعلمه﴿ خَلَقَهُ﴾ بدل اشتمال من كل شيء، وفتح نافع والكوفيون اللام على الوصف، فالشيء مخصوص بمتصل وعلى الأوّل بمنفصل﴿ وبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسانِ مِنْ طِينٍ﴾ القمي: هو آدم (ع)﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ ما أنسل منه وانفصل أي: ذريته﴿ مِنْ سُلالَةٍ﴾ صفوة، انسلّت من الصّلب﴿ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾ حقير، أي: النطفة وهو بدل من سلالة أو صلتها فيراد بها العلقة﴿ ثُمَّ سَوّاهُ﴾ قومه بتصوير أعضائه على ما ينبغي﴿ ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ أضافه إلى نفسه تشريفاً وإظهاراً بأنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلاّ الله كآية: (ويسألونك عن الرّوح)[1]﴿ وجَعَلَ لَكُمُ﴾ عدل إلى الخطاب تنبيهاً على جسامة نعم الجوارح﴿ السَّمْعَ﴾ أي: الأسماع﴿ والأبْصارَ والأفْئِدَةَ﴾ القلوب﴿ قَلِيلاً ما﴾ (ما) زائدة أي: شكراً قليلاً ﴿ تَشْكُرُونَ وقالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ﴾ أي: صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز عنه، أو غبنا فيها، وعن علي (ع) وابن عباس كسر اللام، وقرأ ابن عامر (إذا) خبراً وناصبها ما دلّ عليه ﴿ أَ إِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: نبعث، وقرأ نافع والكسائي (إنا) خبراً﴿ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث﴿ كافِرُونَ﴾

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥

جاحدون﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئاً ولا يبقي منها أحداً ﴿ مَلَكُ الْمَوتِ الَّذي وكِّلَ بِكُمْ﴾ بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم﴿ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب والجزاء، روي أنه قال: ما الدنيا كلها عندي فيما سخّرها الله لي ومكّنني منها إلاّ كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء.

[سورة السجدة الآيات ١٢ -٢٠]

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ

فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ ولَوترى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من الحياء والخزي قائلين: ﴿ رَبَّنا أَبْصَرْنا﴾ ما وعدتنا ﴿ وسَمِعْنا﴾ منك تصديق رسلك﴿ فَارْجِعْنا﴾ إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن ولم يبق لنا شك مما شاهدنا. القمي: أبصرنا وسمعنا في الدنيا ولم نعمل به﴿ ولَوشِئْنا لآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها﴾ بالإلجاء والقسر، القمي: لوشئنا أن نجعلهم كلهم معصومين لقدرنا﴿ ولكِنْ﴾ بنينا الأمر على الإختيار فلذلك ﴿ حَقَّ الْقَولُ مِنِّي﴾ وعيدي لمن اختاروا الضّلال وهو: ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ باختيارهم نسيان العاقبة وترك التفكر فيها بقرينة: ﴿ فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَومِكُمْ هذا﴾ بفعلكم ما أذهلكم عنه من الإنهماك في المعاصي، أو بترككم التفكر فيه، وهذا مفعول (ذوقوا) أو صفة (يومكم) والمفعول مقدّر أي: العذاب﴿ إِنَّا نَسِيناكُمْ﴾ جازيناكم بنسيانكم، أو تركناكم من الرّحمة. وفي استينافه وبناء الفعل على(أنّ) واسمها مبالغة﴿ وذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي﴿ إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا وعظوا بِها خَرُّوا سُجَّداً﴾ خشية وتواضعا لله﴿ وسَبَّحُوا﴾ نزّهوه عما لا يليق به متلبسين﴿ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ شكراً على نعَمه﴿ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته﴿ تَتَجافى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع وتنحني ﴿ عَنِ الْمَضاجِعِ﴾ الفرش ومواضع النوم، وعنهما (ع): هم المتهجدون بالليل الذين يقومون عن نومهم للصلاة﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ داعين إياه﴿ خَوفاً﴾ من سخطه

﴿ وطَمَعاً﴾ فيرحمته﴿ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الخير. عن الباقر (ع) لعلّك ترى أن القوم لم يكونوا ينامون لا بدّ لهذا البدن أن تريحه حتى يخرج نفسه فإذا خرج نفسه استراح البدن ورجع الروح. وعنه (ع): نزلت في أمير المؤمنين (ع) وأتباعه من شيعتنا ينامون في أوّل الليل، فإذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء اللّه فزعوا إلى ربهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده. وعن الصادق (ع) ـ في الآية ـ قال: لا ينامون حتى يصلّوا العتمة﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ لا ملك ولا نبي﴿ ما﴾ الذي، أو أي: شيء ﴿ أُخْفِيَ﴾ وادّخر ﴿ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تقرّ به أعينهم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر﴿ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ علة لا خفي، أو مصدر أي: أجزوا جزاء عن الصادق (ع): ما من عمل حسن يعمله العبد إلاّ وله ثواب في القرآن إلاّ صلاة الليل، فإن اللّه لم يبين ثوابها لعظم خطره عنده، فقال: تتجافى جنوبهم... إلخ﴿ أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً﴾ إنكار بمعنى النفي ويؤكده صريحاً: ﴿ لا يَسْتَوُونَ﴾ عند اللّه وجمع لمعنى: من﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى﴾ يأوون إليها، أو هي نوع من الجنان﴿ نُزُلاً﴾ النزل ما يعدّ للنازل من طعام وشراب وصلة﴿ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾ كناية عن خلودهم﴿ وقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ إهانة لهم وزيادة في غيظهم. القمي: قال: إن جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا أسفلها زفرت بهم جهنم، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد فهذه حالهم.

[سورة السجده الآيات ٢١ -٣٠]

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ ولَنُذيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ﴾ الأدنى مصائب الدنيا والقتل والأسر والقحط ﴿ دُونَ الْعَذابِ الاكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة. القمي:العذاب الأدنى الرجعة بالسيف ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال فإنهم يرجعون في الرجعة حتى يعذبوا. وعن الصادق (ع): إن العذاب الأدنى عذاب القبر.وعنهما (ع): أنه الدّابة والدّجال ﴿ ومَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها﴾ فلم يتدبرها و(ثم) لاستبعاد الأعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكر بها ﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ فكيف بمن كان أظلم من كل ظالم؟ ﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾ كما آتيناك ﴿ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿ مِنْ لِقائِهِ﴾ من لقائك الكتاب، ونحوه: (وإنك لتلقى القرآن)[1] أي: لقيناك مثل ما لقيناه من الكتاب، أو من لقائك موسى ليلة الإسراء ﴿ وجَعَلْناهُ﴾ أي: كتاب موسى ﴿ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ وجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس إلى ما فيه من الدين ﴿ بِأَمْرِنا﴾ إياهم أو بتوفيقنا ﴿ لَمَّا صَبَرُوا﴾ وخففه حمزة والكسائي وكسر لامه، أي: بصبرهم على الدين، أو عن الدنيا ﴿ وكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ لإمعانهم فيها النظر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ فيميز المحق من المبطل ﴿ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ﴿ أَ ولَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يتبين لقريش ﴿ كَمْ أَهْلَكْنا﴾ كثرة من أهلكنا ﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿ يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير (لهم) ﴿ فِي مَساكِنِهِمْ﴾ ويرون آثارهم في أسفارهم ﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ﴾ لعبراً ﴿ أَ فَلا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ إعتبارٍ ﴿ أَ ولَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي جرز بناؤها، أي: قطع وأذهب ـ لا ما تنبت ـ بدليل: ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزرع ﴿ أَنْعامُهُمْ﴾ كالعصف ﴿ وأَنْفُسُهُمْ ﴾ كالحب ﴿ أَ فَلا يُبْصِرُونَ﴾

---

(١) سورة النمل الآية ٦٠.

فيعلمون كمال قدرتنا ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْفَتْحُ ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة بيننا وبينكم ﴿ إِنْ كُنتُمْ صادِقِينَ ﴾ في أنه كائن ﴿ قُلْ يَومَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمانُهُمْ ولا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ لا يمهلون وهم يوم القيامة، قيل: قصدوا بسؤالهم عن وقت الإستعجال استهزاء فأجيبوا بما يمنع الاستعجال فينطبق الجواب على ما عرف من غرضهم، وقيل: يوم بدر، أو فتح مكة ويراد بـ(الذين كفروا) من قتل منهم فيه إذ لم يمنعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ تكرماً، وقيل: نسخ بآية السيف ﴿ وانْتَظِرْ ﴾ الغلبة عليهم ﴿ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴾ الغلبة عليك.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة السجدة وتفسيرها.

سورة الأحزاب

ثلاث وسبعون آية، مدنية.

[الآيات ١ – ٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ

ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾

عن الصادق (ع): من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يا أيها النَّبيُّ﴾ ناداه بالنبي تعظيماً له ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ اثبت على تقواه ﴿ولا تُطعِ الكافِرِينَ والمُنافقينَ﴾ فيما يخالف دينك. قيل: قدم عليه أبو سفيان وأشاعه أيام الصلح، وقام معهم ابن أبي وأضرابه فقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وربك، فنزلت ﴿إنّ اللَّهَ كانَ عَليماً﴾ بالصواب ﴿حَكيماً﴾ في التدبير القمي: الخطاب من باب (إياك أعني) ﴿واتَّبعْ ما يُوحى إلَيْكَ مِنْ ربِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿إنّ اللَّهَ كانَ بما تَعْمَلُونَ خَبيراً﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والضمير للكافرين والمنافقين ﴿وتَوكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وكَفى باللَّهِ وكِيلاً﴾ حافظاً ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوفِهِ﴾ لأنهما ان اتّفقا في الفعل

كان أحدهما عبثا زائداً، وان اختلفا فيه اتصف الشخص بالضدّين في وقت واحد. قيل: هو ردّ لما زعمت العرب أن الأديب اللبيب له قلبان، ولقول بعض الكفّار: انّ له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد، وعن الباقر (ع): لا يجتمع حبّنا وحبّ عدونا في جوف إنسان ان الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه، ونحوه غيره ﴿ وما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللاّئي ﴾ بهمزة وياء، وقالون وقنبل بهمزة بلا ياء، والبزّي وأبوعمرو بـ(ياء بلا همزة) ﴿ تُظاهِرُونَ ﴾ تتظهرون، أدغمت التاء الثانية في الظاء، وعاصم تظاهرون من ظاهر وابن عامر تظّاهرون بالإدغام من تظاهر وكذا حمزة والكسائي لكن بحذف إحدى التاءين ﴿ مِنْهُنَّ أُمَّهاتكُمْ ﴾ أي: ما جمع الزوجيّة والأمومة في امرأة والظهار قول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، ولتضمنه معنى التجنب عدّي بـ(من) ﴿ وما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ ﴾ جمع (دعيّ) وهو من يدعي إبناً لغير أبيه ﴿ أَبْناءَكُمْ ﴾ أي: وما جمع الدعوة والبنوّة في رجل، والمراد: نفي البنوة عن المتبنّى إذ كانوا يسمون زيد بن حارثة عتيق النبي (ابن محمد)، ونفي القلبين وأمومة المظاهرة تمهيد لذلك والمعنى: كما لم يجعل قلبين في جوف ولا زوجة امّا لم يجعل الدعي ابنا لمن تبنّاه، والغرض منه دفع قالة الناس عنه (ص) حين تزوج زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد: انه تزوج امرأة إبنه ﴿ ذلِكُمْ ﴾ النسب ﴿ قَولُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ ﴾ لا حقيقة له ﴿ واللّهُ يَقُولُ الحَقَّ وهُو يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ سبيل الحق ثم بيّن ما هو الحق والهدى فقال: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ ﴾ انسبوهم إليهم ﴿ هُو ﴾ أي: دعاؤهم لهم ﴿ أَقْسَطُ ﴾ أعدل ﴿ عِنْدَ اللّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ ﴾ لتنسبوهم إليهم ﴿ فَإِخْوانُكُمْ ﴾ فهم إخوانكم ﴿ فِي الدِّينِ ومَوالِيكُمْ ﴾ أولياؤكم فيه فقولوا: أخي ومولاي ﴿ ولَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ ﴾ إثم ﴿ فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ ﴾ من ذلك قبل النهي، أو لسبق اللسان ﴿ ولكِنْ ﴾ (ما) أي: فيما ﴿ تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ الجناح ﴿ وكانَ اللّهُ غَفُوراً ﴾ للمخطئ ﴿ رَحِيماً ﴾

بالعفو عن العامد إن شاء ﴿ النَّبِيُّ أولى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ في أمور الدين والدنيا، إذ لا يريد لهم إلا ما فيه صلاحهم بخلاف أنفسهم، فيجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم منها وحكمه أنفذ عليهم من حكمها. عن النبي (ص) أنه لما أراد غزوة تبوك، وأمر الناس بالخروج قال قوم: نستأذن آباءنا وأمهاتنا، فنزلت. وعن الباقر والصادق (ع) أنهما قرءا وأزواجه أمهاتهم وهوأب لهم. والقمي: نزلت وهو أب لهم. قيل: في الدين والدنيا جميعا أما في الدين فان كل نبي أب لأمته من جهة أنّه أصل فيما به الحياة الأبديّة ولذلك صار المؤمنون أخوة. وعنه (ص): أنا وعلي أبوا هذه الأمة، وأمافي الدنيا فلالتزامه بمئونتهم وتربية أبنائهم ومن يضيع منهم﴿ وأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ ﴾ كامهاتهم في التحريم مطلقاً وفي التعظيم ما دمن على طاعة الله. وعن الباقر (ع): أزواج رسول الله (ص) في الحرمة مثل أمهاتهم﴿ وأولُوا الارْحامِ﴾ ذوو القرابات ﴿ بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث، نسخ التوارث بالهجرة والموالاة في الدين ﴿ فِي كِتابِ اللّهِ﴾ في حكمه، أو اللوح أو القرآن﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُهاجِرِينَ﴾ بيان لـ(أولي الأرحام)، أو صلة أولي أي: الأقارب بالقرابة أولى بالإرث من المؤمنين بالإيمان والمهاجرين بالهجرة﴿ إلاّ﴾ لكن ﴿ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أولِيائِكُمْ مَعْرُوفاً﴾ بوصيته جائز﴿ كانَ ذلِكَ﴾ المذكور ﴿ فِي الْكِتابِ﴾ اللوح، أو القرآن﴿ مَسْطُوراً﴾ مثبتاً. القمي: قال نزلت في الإمامة وسئل الباقر (ع) عن هذه الآية فيمن نزلت؟ قال: نزلت في إمرة جرت في ولد الحسين من بعده فنحن أولى بالأمر وبرسول الله (ص) من المؤمنين والمهاجرين والأنصار، وسئل الصادق (ع): أيُّ شيء للموالي؟ فقال: ليس لهم من الميراث الا ما قال الله: (الا ان تفعلوا إلى أوليائكم معروفا).

[سورة الأحزاب الآيات ٧ - ١٥]

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا

يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

﴿ وإذْ﴾ واذكر إذ ﴿ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ ميثاقَهُمْ﴾ عهودهم بتبليغ الرسالة ﴿ ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ وإبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ حضوا بالذكر لفضلهم، وقدّم نبينا (ص) لأفضليته ﴿ وأَخَذْنا منهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ شديداً أو مؤكداً باليمين. وكرّر لبيان وصفه وفعلنا ذلك ﴿ لِيَسْئَلَ اللّٰه الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ الأنبياء عن تبليغ الرسالة تبكيتاً لمكذبيهم، أو المصدّقين لهم عن تصديقهم، إذ مصدّق الصادق صادق ﴿ وأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً﴾ كأنه قيل: فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين ﴿ يا إيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار، وحين علم (ص) قتالهم ضرب الخندق على المدينة، ثم خرج في ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم وبقوا قريب شهر لا حرب بينهم إلاّ رمياً بنبل وحجارة، إلاّ أن عمرو بن عبد ودّ وفوارس من قريش اقتحموا الخندق وطلب عمرو مبارزاً، فبرز إليه علي (ع) فقتله وانهزم أصحابه، فقمع اللّٰه شوكتهم بقتله، وبعث عليهم ريح الصّبا باردة في ليلة شاتية سفت التراب في وجوههم وقلعت خيامهم وملائكة تكبّر في جوانب عسكرهم وماج بعضهم ببعض وقذف في قلوبهم الرّعب فانهزموا كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾ ملائكة ﴿ وكانَ اللّٰهُ بما تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ من حفر الخندق وقرأ أبوعمرو بالياء والضمير للكفرة ﴿ إِذْ جاؤُكُمْ﴾ بدل من (إذ جاءتكم) ﴿ مِنْ فَوقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ من أعلى الوادي قبل المشرق غطفان، ومن أسفله قبل المغرب قريش ﴿ وإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ﴾ مالت عن مقرّها دهشاً وشخوصاً ﴿ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ﴾ فزعاً إذ عند شدّته تنتفخ الرّية فيرتفع القلب إلى الحنجرة وهي:

منتهى البلعوم﴿ وتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة فظن المخلصون النصر، أو أن الله مبتليهم فخافوا ضعف الاحتمال، والمنافقون وضعفت القلوب ما حكي عنهم وحذف الألف حمزة وابوعمرو مطلقاً وابن كثير وحفص والكسائي وصلاً وأثبتها الباقون مطلقاً﴿ هُنالكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا. فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل﴿ وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً﴾ من شدة الفزع﴿ وإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف يقين ﴿ ما وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ﴾ بالنصر والفتح ﴿ إلاَّ غُرُوراً﴾ وعداً باطلاً﴿ وإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ ابن أبيّ وأضرابه﴿ يا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي: المدينة، أو أرضها﴿ لا مُقامَ لَكُمْ﴾ لا موضع قيام لكم هاهنا. وضمه حفص أي: إقامة أو مكانها﴿ فَارْجِعُوا﴾ الى منازلكم هاربين﴿ ويَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ للرجوع ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَورَةٌ﴾ غير حصينة وأصلها الخلل﴿ وما هِيَ بِعَورَةٍ﴾ عن الصادق (ع): بل هي رفيعة السمك حصينة. وعن الباقر (ع): كان بيوتهم في أطراف البيوت حيث ينفرد الناس، فأكذبهم وقال: وما هي بعورة...﴿ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً من القتال﴿ ولَو دُخِلَتْ﴾ المدينة، أو بيوتهم﴿ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ﴾ نواحيها، أي: لودخلها هؤلاء العساكر أو غيرهم بنهب وسبي﴿ ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الشرك أو قتل المسلمين﴿ لآتوها﴾ لأعطوها. وقصرها الحرميان أي: لفعلوها﴿ وما تَلَبَّثُوا بِها﴾ بالفتنة، أو المدينة﴿ إِلاَّ﴾ زماناً﴿ يَسِيراً ولَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ عند فرارهم بأحد أن لا يفرّوا﴿ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ وكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً﴾ عن الوفاء به.

[سورة الأحزاب الآيات١٦ - ٢٢]

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ

سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾

﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوتِ﴾ حتف الأنف[1] ﴿ أو الْقَتْلِ﴾ إذ لابد لكل أحد من أحدهما ﴿ وإذاً﴾ وان نفعكم الفرار فرضاً ﴿ لا تُمَتَّعُونَ﴾ بالدنيا ﴿ إلاَّ﴾ تمتيعاً، أو زماناً ﴿ قَليلاً قُلْ مَنْ ذَا الَّذي يَعْصِمُكُمْ﴾ يمنعكم ﴿ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً﴾ ضراً ﴿ أو أرادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ نفعاً ﴿ ولا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وليًّا﴾ ينفعهم ﴿ ولا نَصيراً﴾ يدفع الضر عنهم ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوقينَ مِنْكُمْ﴾ المثبطين عن الرسول (ص) ﴿ والْقائِلينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ﴾ أقبلوا ﴿ إِلَيْنا﴾ ومرّ في الأنعام ﴿ ولا يَأْتونَ الْبَأْسَ﴾ القتال ﴿ إلاَّ﴾ إتيانا أو زماناً ﴿ قَليلاً﴾ رياءً وتثبيطاً ﴿ أَشِحَّةً﴾ بخلاء، جمع (شحيح) حال من (يأتون) ﴿ عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة والنفقة في سبيل اللّه ﴿ فَإِذا جاءَ الْخَوفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في أحداقهم ﴿ كَالَّذي﴾ كدوران الذي ﴿ يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوتِ﴾ من معالجة سكراته خوفاً ولواذاً بك ﴿ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿ سَلَقُوكُمْ﴾ خاصموكم ﴿ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ﴾ ذربة[2] ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يطلبون الغنيمة، حال أو صفة ذم ﴿ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ باطناً ﴿ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ﴾ الباطلة أي: أظهر بطلانها ﴿ وكانَ ذلِكَ﴾ الإحباط ﴿ عَلَى اللَّهِ يَسيراً﴾ هيّناً ﴿ يَحْسَبُونَ﴾ أي: هؤلاء لجبنهم ﴿ الأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ منهزمين وقد ذهبوا فانصرفوا إلى المدينة خوفاً ﴿ وإِنْ يَأْتِ الأَحْزابُ﴾ كرّة ثانية ﴿ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الاعْرابِ﴾ تمنوا انهم خارجون إلى البدو وحاملون بين الأعراب ﴿ يَسْئَلُونَ

---

(١) الموت حتف الأنف: هو الموت على الفراش من غير قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق. وخص الأنف لأنهم يتخيلون ان الروح تخرج من الأنف.

(٢) حادة.

عَنْ أَنبائِكُمْ﴾ أخباركم ﴿ولو كانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكرّة ولم ينصرفوا إلى المدينة وكان قتال ﴿ ما قاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ رياءً وخوفاً من التعيير ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هو قدوة يحسن التأسّي به في الثبات في الحرب وغيره. وضمّ عاصم الهمزة ﴿لِمَنْ﴾ صلة حسنة، أو بدل من (لكم) ﴿كانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يأمل ثوابه أو يخافه ﴿والْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ أي: المقتدي بالرسول هو الراجي المواظب على الذكر ﴿ولَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذا ما وعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ﴾ بآية (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم)[1]، وقوله (ص): (سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم) ﴿وصَدَقَ اللَّهُ ورَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وما زادَهُمْ﴾ ما رأوا ﴿إِلاَّ إِيماناً﴾ بوعد الله ﴿وتَسْلِيماً﴾ لأمره.

[سورة الأحزاب الآيات ٢٣ - ٣٠]

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٤.

فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع الرسول ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ﴾ نذره والنذر النحب أستعير للموت لأنه كنذر لازم للرّقبة ﴿ ومِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ الشهادة ﴿ وما بَدَّلُوا﴾ العهد وما غيّروه ﴿ تَبْدِيلاً﴾ شيئاً من التبديل فيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل، عن الباقر (ع) ـ في الآية ـ (رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه)قال: أن لا يفرّوا أبداً فمنهم من قضى نحبه أي: أجله وهو: حمزة وجعفر بن أبي طالب، ومنهم من ينتظر أجله يعني: عليّاً (ع). وعن علي (ع) قال: فينا نزلت: رجال صدقوا... فأنا واللّه المنتظر وما بدلت تبديلاً ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ويُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ﴾ المبدلين ﴿ إِنْ شاءَ﴾ إذا لم يتوبوا، جعل المنافقون كأنهم قصدوا بتبديلهم العقوبة كما قصد الصّادقون بوفائهم المثوبة ﴿ أو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا، أو يوفقهم للتوبة ﴿ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً

رَحيماً﴾ لمن تاب﴿ وردّ اللّهُ الّذينَ كَفرُوا﴾ أي: الأحزاب﴿ بغَيْظهِمْ﴾ متغيظين ﴿ لَمْ يَنالُوا خَيْراً﴾ غير ظافرين حال أخرى متداخلة، أو مترادفة﴿ وكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنينَ الْقتالَ﴾ بعلي (ع) والريح والملائكة. عن الصادق (ع): بعلي (ع) وقتله عمرو بن عبد ود فكان ذلك سبب هزيمة القوم﴿ وكانَ اللّهُ قَويًّا﴾ على إحداث ما يريده﴿ عَزِيزاً﴾ غالباً على كل شيء﴿ وأنْزَلَ الّذينَ ظاهَرُوهُمْ﴾ عاونوا الأحزاب، القمي: نزلت في بني قريظة﴿ مِنْ أهْلِ الْكتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ﴾ من حصونهم. جمع (صيصية) وهي: ما تحصّن به، ومنه قرن الثور والظبي وشوكة الديك﴿ وقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف وضمّه ابن عامر والكسائي﴿ فَريقاً تَقْتُلُونَ وتَأسِرُونَ فَريقاً﴾ قيل: أتى جبرئيل النبي (ص) صبيحة ليلة انهزام الأحزاب فقال: ان الملائكة لم تضع السلاح ان اللّه يأمرك بالسير إلى قريظة، فحاصرهم خمساً وعشرين حتى جهدوا فقال لهم: انزلوا على حكمي فأبوا فقال: على حكم سعد بن معاذ فرضوا، فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم، فقال النبي (ص): حكمت بحكم اللّه ففعل كما حكم﴿ وأورَثَكُمْ أرْضَهُمْ﴾ مزارعهم ﴿ ودِيارَهُمْ﴾ قلاعهم﴿ وأمْوالَهُمْ﴾ من صامت وناطق﴿ وأرْضاً لَمْ تَطَؤُها﴾ خيبر، أو فارس والرّوم، أو كل أرض تفتح إلى يوم القيامة﴿ وكانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديراً﴾ فيفعل ما يشاء﴿ يا أيهَا النَّبيُّ قُلْ لأزْواجِكَ﴾ وكنّ تسعاً وسألنه ثياب زينة وزيادة نفقة، فنزلت﴿ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا﴾ التنعم فيها﴿ وزِينَتَها﴾ زخارفها﴿ فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطيكن المتعة ـ كما مرّ في البقرة ـ ﴿ وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَميلاً﴾ طلاقاً بلا ضرار﴿ وإنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ ورَسُولَهُ والدّارَ الآخرَةَ﴾ أي: الجنة﴿ فَإنَّ اللّهَ أعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أجْراً عَظيماً﴾ نعيم الجنة، و(من) للتبعيض إذ لم يثبت بعضهن على الإحسان. واختلف أصحابنا في وقوع الفرقة

بالتخيير من غير النبي (ص) لو اختارت نفسها، بائناً أو رجعياً، وعدمه لإختلاف الأخبار ظاهراً واتفق الجمهور على وقوعه واختلفوا في كونه بائناً أو رجعياً﴿ يا نساءَ النَّبيِّ مَنْ يَأْتِ منْكُنَّ بفاحشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهر قبحها، أو مظهر وفتح الياء ابن كثير وابو بكر﴿ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مثلي عذاب غيرهن لأن الذنب منهن أقبح لزيادة النعمة عليهن، ونزول الوحي في بيوتهن، وليس العالم كغيره. وقرأ ابوعمرو (يضعّف) وابن عامر وابن كثير (نضعف) بالنون وبناء الفاعل ونصب (العذاب) ﴿ وكانَ ذلكَ عَلَى اللَّهِ يَسيراً ﴾ فلا يجديهن كونهن نساء كيف وهو سبب ذلك.

[سورة الأحزاب الآيات ٣١-٣٥]

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ ٱلصَّٰبِرَٰتِ و وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿ ومَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ ومن يدم على الطاعة﴿ للّهِ ورَسُولِه وتَعْمَلْ صالحاً نُؤْتِها أجْرَها مَرَّتَينِ﴾ أي: مثلي أجر غيرهن، مرّة على الطاعة، ومرّة على طلبهن رضاء النبي (ص) بالقناعة وحسن المعاشرة وغير ذلك. وقرأ حمزة والكسائي ويعمل (ويؤتها) بالياء﴿ وأعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً﴾ في الجنة زيادة. عن الباقر (ع): كل ذلك في الآخرة حيث يكون الأجر يكون العذاب﴿ يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ﴾ كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل، وأصل أحد (واحد) وهو الواحد وفي النفي العام يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد وغيره﴿ إنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ معصية اللّه ورسوله ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَولِ﴾ فلا تجئن بقولكن خاضعاً ليناً مثل قول المريبات﴿ فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ ريبة وفجور﴿ وقُلْنَ قَولاً مَعْرُوفاً﴾ حسناً بعيداً عن الريبة غير لين﴿ وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بالكسر، من (قرّ يقرّ) وفتحه نافع وعاصم وهو لغة فيه ثقلت كسرة الراء من أقررن وفتحها الى القاف وحذفت مع همزة الوصل﴿ ولا تَبَرَّجْنَ﴾ لا تظهرن زينتكن للرجال﴿ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الأولَى﴾ تبرجاً مثل تبرج نساء الجاهلية القديمة وهي زمن ولادة ابراهيم (ع) أو ما بين آدم ونوح، والأخرى ما بين عيسى

ومحمد (ص)، وقيل: الأولى: جاهلية الكفر، والأخرى: جاهلية الفسق في الإسلام. وروي: أن الجاهلية الأولى صفراء بنت شعيب. والقمي: عن الباقر (ع): ستكون جاهلية أخرى ﴿ وأَقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكاةَ وأَطِعْنَ اللَّهَ ورَسُولَهُ ﴾ في سائر ما أمركن به ونهاكنّ عنه ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ الذنب ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ نداء، أو مدح ﴿ ويُطَهِّرَكُمْ ﴾ من جميع المآثم ﴿ تَطْهِيراً ﴾ نزلت في أهل البيت باتفاق المفسرين وتظافر روايات العامة والخاصة ويدل على اختصاصها بأهل البيت دون الأزواج ـ مضافاً إلى النصوص المستفيضة ـ ان إذهاب الرجس وتطهيرهم من فعله تعالى، وقد أراده إرادة مؤكدة بالحصر واللام فلابدّ من وقوعه، ولام الرجس ليست عهدية إذ لا معهود فهي استغراقية، فينتفي جميع أفرادها، أو جنسية فكذلك إذ نفي الماهية نفي لكل افرادها وهو معنى العصمة ولا واحدة من الأزواج معصومة إجماعاً وذلك يثبت حجية قول كل واحد منهم (ع) فضلاً عن إجماعهم (ع) وينبغي حمل تذكير الضميرين على التغليب في غير فاطمة (ع) عليها، ويدفع إيهام السوق دخولهنّ إذ كثيراً ما يورد الفصحاء كلاماً في أثناء كلام آخر ﴿ واذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ ﴾ من القرآن الجامع بين الأمرين فاشكرن الله إذ جعلكن في هذه البيوت وأطعنه فيما أمركن ونهاكن ﴿ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً ﴾ في تدبير خلقه ﴿ خَبِيراً ﴾ بمصالحهم ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ﴾ المنقادين لأمر الله ﴿ والْمُسْلِماتِ والْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدّقين بما جاء به النبي (ص) ﴿ والْمُؤْمِناتِ والْقانِتِينَ ﴾ الدائمين على الطاعة ﴿ والْقانِتاتِ والصَّادِقِينَ والصَّادِقاتِ ﴾ في قولهم وفعلهم ﴿ والصَّابِرِينَ والصَّابِراتِ ﴾ عن المعاصي وعلى البلاء والطاعات ﴿ والْخاشِعِينَ والْخاشِعاتِ ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارهم ﴿ والْمُتَصَدِّقِينَ والْمُتَصَدِّقاتِ ﴾ من مالهم ابتغاء مرضاة الله ﴿ والصَّائِمِينَ والصَّائِماتِ ﴾ لله بنية صادقة ﴿ والْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والْحافِظاتِ ﴾ عن

الحرام﴿ والذّاكرينَ اللّهَ كَثيراً والذّاكراتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم﴿ أعَدَّ اللّهُ لَهُمْ مَغفرةً﴾ لذنوبهم﴿ وأجْراً عَظيماً﴾ روي: لمّا رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء رسول اللّه (ص) فقالت: هل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول اللّه (ص) فقالت: ان النساء لفي خيبة وخسار، فقال: وممّ ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال، فنزلت. قيل: وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين فلابدّ منه، بخلاف عطف الزوجين على الزوجين الأ انه يفيد أن إعداد ذلك لهم لجمعهم بين هذه الخصال.

[سورة الأحزاب الآيات٣٦ - ٤٣]

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ

يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

﴿ وَما كانَ﴾ ما صحّ ﴿ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللّهُ ورَسُولُهُ أمْراً﴾ ذكر الله تفخيماً لشأن رسوله (ص) بأن قضاءه قضاء الله. قيل: نزلت في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله، أو في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها له (ص) فزوجها من زيد ﴿ أنْ تَكونَ﴾ وقرأ الكوفيون بالياء ﴿ لَهُمُ الْخيَرَةُ﴾ أن يختاروا ﴿ مِنْ أمْرِهِمْ﴾ شيئاً خلاف مختار الله ورسوله، قيل: وهذا بالنسبة إلى أمر جزئي فكيف بالكلي كالإمامة مع اعتراف من تغلب فيها بأن الرسول أراد أمراً فخالفناه للمصلحة ﴿ ومَنْ يَعْصِ اللّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾ عن الباقر (ص) ان رسول الله (ص) خطب على زيد بن حارثة زينب بنت جحش الأسدية بنت عمة النبي (ص) فقالت: حتى أوامر نفسي[1] فانظر، فنزلت فقالت: يا رسول الله (ص) أمري بيدك فزوجها إياه ﴿ وإذْ تَقُولُ لِلّذي أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ﴾

---

(١) أوامر نفسي: أي: اراجعها واستشيرها. والمعنى: امهلني حتى أفكر في الامر.

بالتوفيق للإسلام﴿ وأنعمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه النبي (ص) قبل مبعثه وأعتقه وتبنّاه﴿ أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوجَكَ﴾ زينب. روي: انه (ص) رآها بعد ما زوجها منه فسبّح، فسمعته فأخبرت زيداً، فظن أنها وقعت في نفسه فكره صحبتها فأتاه وقال: أريد فراقها لتكبّرها عليّ، فقال: أمسك عليك زوجك ﴿ واتّقِ اللّهَ﴾ في مفارقتها ومضارّتها﴿ وتُخْفي فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيه﴾ وهو أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها﴿ وتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يعيروك به﴿ واللّهُ أحَقُّ أنْ تَخْشاهُ﴾ لو كان موضع خشية والعتاب على الإخفاء مخافة الناس وإظهار ما يخالف ضميره في الظاهر. وعن السجّاد (ع): ان الذي أخفاه في نفسه هو أن اللّه أعلمه انها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال له: أريد أن أطلق زينب قال له: أمسك عليك زوجك، فقال سبحانه: لمَ قلت (أمسك عليك زوجك) وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك؟﴿ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وطَراً﴾ حاجة بحيث ملّها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها﴿ زَوجْناكَها﴾ أذنا لك بتزويجها، أو جعلناها زوجتك بلا واسطة عقد فدخل عليها من غير إذن وأوْلَمَ عليها[١] لحماً وخبزاً كثيراً وكانت تفتخر بأن اللّه تولى نكاحها دون غيرها، وعن أهل البيت (ع): زوجتكها﴿ لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أزْواجِ أدْعِيائِهِمْ إذا قَضَوا مِنْهُنَّ وطَراً﴾ علّة للتزويج ويفيد اتحاد حكمه وحكم أمته الا ما خصّه دليل﴿ وكانَ أمْرُ اللّهِ﴾ الذي يريده﴿ مَفْعُولاً﴾ مكوناً كتزويج زينب﴿ ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللّهُ لَهُ﴾ قسم وأوجب له﴿ سُنَّةَ اللّهِ﴾ سنّ نفي الحرج سنة ﴿ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء و وسع لهم في النكاح﴿ وكانَ أمْرُ اللّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ قضاء

---

(١) أوْلَمَ عليها: دعا الناس الى وليمة لشرفها.

مقضياً﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ﴾ صفة (الذين خلوا) أو مدح لهم ﴿ ويَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ﴾ قيل: تعريض بعد تصريح﴿ وكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ كافياً للمخاوف، أو محاسباً فهو أحق بأن يخشى﴿ ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾ فليس أباً لزيد فيثبت بينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة، ولا نقص[1] بكونه أبا القاسم والطاهر والطيب لعدم بلوغهم مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم، وكذا الحسنان (ع) حينئذٍ مع ان المراد ولده خاصة لا ولد ولده﴿ ولكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ والرسول أبو أمته في وجوب تعظيمهم له ونصحه لهم وليس بينه وبينهم ولادة وزيد منهم﴿ وخاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الذي ختمهم. وفتحه حفص أي: الذي ختموا به فلا يكون له ابن بلا واسطة وإلا لكان نبياً بعده. ولا ينافيه نزول عيسى بعده لأنه نبي قبله وينزل تابعاً لدينه﴿ وكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ فيعلم من يليق أن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ على كل حال وبكل ما هو أهله من تقديس وتحميد وتهليل وتكبير ﴿ وسَبِّحُوهُ﴾ أفرد من الذكر لأفضليته كإفراد﴿ بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾ أول النهار وآخره من جملة أوقاته لفضله على سائرها ويجوز توجّه الفعلين إليهما، وقيل: أريد بالتسبيح الصّلاة﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ يرحمكم﴿ ومَلائِكَتُهُ﴾ بالإستغفار لكم والإهتمام بما يصلحكم، جعلوا لإستجابة دعوتهم كأنهم فاعلو الرحمة أو أريد بالصلاة المشترك وهو العناية بحالهم﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ﴾ من الجهل بالله﴿ إِلَى النُّورِ﴾ الى معرفته، أو من الكفر إلى الإيمان﴿ وكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ حيث اعتنى بصلاح أمرهم وفيه إشعار بإرادة الرحمة من الصلاة.

---

(١) كذا وردت في النسخة الخطية. والظاهر أنها: (ولا نقض) أي: لا ينقض علينا ...الى آخره.

[سورة الأحزاب الآيات ٤٤ - ٥٠]

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مصدر مضاف إلى مفعوله ﴿ يَومَ يَلْقَونَهُ ﴾ عند الموت، أو البعث، أو في الجنة ﴿ سَلامٌ ﴾ بشارة بالسلامة من كل شر ﴿ وأعَدَّ لَهُمْ أجْراً كَرِيماً ﴾ هو الجنة ﴿ يا أيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أرْسَلْناكَ شاهِداً ﴾ على أمتك بطاعتهم ومعصيتهم حال مقدّرة ﴿ ومُبَشِّراً ﴾ للمطيع بالجنة ﴿ ونَذِيراً ﴾ للعاصي بالنار ﴿ وداعِياً إِلَى اللَّهِ ﴾ الى توحيده وطاعته ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بأمره، أو بتيسيره فان الدعوة لصعوبتها لا تتأتى الا بتسهيله تعالى ﴿ وسِراجاً مُنِيراً ﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر ﴿ وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ زيادة على ما يستحقونه من الثواب ﴿ ولا تُطِعِ الْكافِرِينَ والْمُنافِقِينَ ﴾ تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ﴿ ودَعْ أذاهُمْ ﴾ إيذاءهم إياك واعرض عنه، أو إيذاءك إياهم بقتل أو ضرب حتى تؤمر به ﴿ وتَوكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ فهو كافيك ﴿ وكَفى بِاللَّهِ وكِيلاً ﴾ مفوضاً إليه الأمور. القمي: نزلت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين قال: فهذا دليل على خلاف التأليف ﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ تجامعوهن. وقرأ حمزة والكسائي (تماسوهن) ﴿ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها ﴾ تستوفون عددها ويفيد إسناده إليهم مع قوله (فما لكم) أنّ العدّة حق للأزواج، وتخصيص المؤمنات اما لمنع نكاح المؤمن غيرهن أو لأولوية أن يختار المؤمنة ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ أي: إذا لم تفرضوا لهن مهراً إذ مع فرضه يجب لها نصفه لا المتعة ـ كما مرّ في البقرة ـ ﴿ وسَرِّحُوهُنَّ ﴾ خلوا سبيلهن إذ لا عدة لكم عليهن ﴿ سَراحاً جَمِيلاً ﴾ من غير إضرار ﴿ يا أيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْواجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن وقيد الإحلال له بسوقهن معجلاً لاختيار الأفضل له، كتقييد إحلال الأمة

له بالسبي في: ﴿ وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ إذ المشتراة لا يعلم حالها وتقييد القرائب بالمهاجرة﴿ وبَنات عَمِّكَ وبَنات عَمّاتكَ وبَنات خالكَ وبَنات خالاتكَ اللاّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ﴾ وقيل: كانت الهجرة شرطاً في الحل ثم نسخ﴿ وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ﴾ أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة تهب لك نفسها بلا أمر إن اتفق ذلك، واختلف في اتفاقه﴿ إنْ أرادَ النَّبِيُّ أنْ يَسْتَنْكِحَها﴾ يطلب نكاحها وهو شرط للشرط الأول في الإحلال إذ لا تتم الهبة إلا بالقبول وارادته قبول وعدل عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكرراً ثم عاد إليه في:﴿ خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ﴾ إيذاناً بأنه مما خصّ به لنبوته وباستحقاقه الكرامة لأجلها وخالصة مصدر خلص لك إحلال ذلك خلوصاً أو حال من (وهبت)﴿ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أزْواجِهِمْ﴾ من الأحكام في العقد الدائم والمنقطع﴿ وما مَلَكَتْ أيمانُهُمْ﴾ من الإماء بشراء وغيره انه كيف ينبغي أن يفرض﴿ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في باب النكاح متصل بخالصة وما بينهما اعتراض لبيان أن المصلحة اقتضت مخالفة حكمه لحكمهم ذلك ﴿ وكانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لمن يشاء﴿ رَحِيماً﴾ بالتوسعة لعباده.

[سورة الأحزاب الآيات ٥١ -٥٤]

تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ

مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

﴿ تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ﴾ تؤخرها ولم تنكحها أو تطلقها، وقريء بغير همز ﴿ وتُؤْوِي﴾ وتضم ﴿ إِلَيْكَ﴾ وتمسك ﴿ مَنْ تَشاءُ﴾ عنهما (ع): من أوى فقد نكح ومن أرجى فلم ينكح. والقمي: من أرجى فقد طلق ﴿ ومَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿ ممَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ﴾ في شيء من ذلك ﴿ ذلكَ أَدْنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ولا يَحْزَنَّ ويَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ ذلك التفويض إلى مشيّتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً لأنه حكم كلّهن فيه سواء، ثم ان سوّيت بينهن وجدن ذلك تفضّلاً منك وإن رجّحت بعضهن علمن أنه بحكم اللّه فتطمئن نفوسهن ﴿ واللّهُ يَعْلَمُ

ما فِي قُلُوبِكُمْ وكانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بذات الصدور ﴿حَلِيماً﴾ لا يعاجل بالعقوبة فهوحقيق بأن يبقى. عن الصادق (ع): تزوج رسول اللّه (ص) بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وقبض عن تسع فأما اللتان لم يدخل بهما قمرة والشنباء، وأما الثلاث عشرة اللواتي دخل بهن فأولهن خديجة بنت خويلد، ثم سودة بنت زمعة، ثم أم سلمة واسمها هند بنت ابي اميّة، ثم أم عبد اللّه عائشة بنت أبي بكر، ثم حفصة بنت عمر، ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين، ثم زينب بنت جحش، ثم أم حبيب رملة بنت أبي سفيان، ثم ميمونة بنت الحارث، ثم زينب بنت عبس، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي ابن أخطب، والتي وهبت نفسها للنبي خولة بنت حكيم السلمي، وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه مارية القبطية وريحانة الخندقية، والتسع اللواتي قبض عنهن عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وأم حبيب، وصفيّة، وجويرية، وسودة، وأفضلهن خديجة ثم أم سلمة ثم ميمونة ﴿لا يَحِلُّ﴾ بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي. وقرأ أبوعمرو بالتاء ﴿لَكَ النِّساءُ﴾ المحرمات في سورة النساء ﴿مِنْ بَعْدُ﴾ بعد النساء اللاتي أحللناهن لك بالآية السابقة ﴿ولا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ﴾ منع من فعل الجاهلية، قيل: كان الرجلان منهم يتبادلان فينزل كل منهما عن زوجته للآخر ﴿ولَو أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حسن المحرمات عليك ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ فيحل لك وقيل: لا يحل لك النساء بعد التسع وهن في حقه كالأربع في حقنا، وقيل: بعد اليوم حتى لو متنّ لم يحل لك غيرهن ولا أن تطلق واحدة وتنكح الاخرى بدلها ولو أعجبك حسن المستبدلة والا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لشموله الإماء أو منقطع. واختلف في كون الآية محكمة أو منسوخة بالآية السابقة لتأخرها نزولاً، وعن الباقر (ع): انما عنى به لا يحل لك النساء التي حرّم اللّه عليك في هذه الآية: (حرمت عليكم أمهاتكم

وبناتكم...) إلخ، ولو كان الأمر كما تقولون كان قد احلّ لكم ما لـم يحـل لـه لأن أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن الأمر ليس كما يقولون ان اللّه أحلّ لنبيه (ص) أن ينكح من النساء ما أراد إلاّ ما حرّم في هذه الآية في سورة النساء، ونحوه عن الصادق (ع) في عدة روايات، وفي بعضها: أراكم وأنتم تزعمون يحلّ لكم ما لم يحل لرسول اللّه (ص) ﴿ وكانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِـيِّ إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إلا وقت الإذن والا مأذوناً لكم ولتضمّن (يؤذن) معنى يدعى تعلق به ﴿ إلى طَعامٍ﴾ فادخلوا حينئذٍ ﴿ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ﴾ منتظرين إدراكه. مصدر (أني يأني) أي: لا تدخلوا قبل نضجه فيطول لبثكم ﴿ ولكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ بالخروج ﴿ ولا مُسْتَأْنسينَ لِحَديثٍ﴾ يحدث به بعضكم بعضاً. عطف على (ناظرين) أو مقدر بـ(لا تمكثوا) ﴿ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذي النَّبِيَّ﴾ لتضييقكم عليه وعلى أهله المنزل ﴿ فَيَسْتَحْيي مِنْكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿ واللّهُ لا يَسْتَحْيي مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: لا يترك بيان الحق وهو إخراجكم ترك المستحيي ﴿ وإذا سَألْتُمُوهُنَّ ﴾ أي: نساء النبي متاعاً يحتاج إليه ﴿ فَسْئَلُوهُنَّ﴾ المتاع ﴿ مِنْ وراءِ حِجابٍ﴾ ستر. القمي: لما تزوج رسول اللّه (ص) بزينب بنت جحش وكان يحبها فأولَمَ[1] ودعا أصحابه، وكان أصحابه إذا أكلوا يحبون أن يتحدثوا عند رسول اللّه (ص) وكان يحب أن يخلو مع زينب، فنزلت، وذلك انهم كانوا يدخلون بلا إذن. وعن الصادق (ع): كان جبرئيل إذا أتى النبي (ص) قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه ﴿ ذلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وقُلُوبِهِنَّ من خواطر الريبة ﴿ وما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ﴾ بشيء حياً وميتاً لإطلاقه ويعضده ﴿ وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً﴾ بعد وفاته أو فراقه

---

(١) أوْلَمَ: أحضر وليمة.

من دخل بها أو غيرها لصدق الزوجية عليها، وللأخبار. القمي: كان سبب نزولها انه لما أنزل الله: (النبي أولى بالمؤمنين...)إلخ وحرّم الله نساء النبي على المسلمين غضب طلحة فقال: يحرم محمد علينا نساءه ويتزوج هو بنسائنا لئن أمات الله محمداً لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا فأنزل الله: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...)إلخ ﴿ إِنَّ ذلِكُمْ﴾ الإيذاء والنكاح ﴿ كانَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ذنباً ﴿ عَظِيماً إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً﴾ في نكاحهن ﴿ أو تُخْفُوهُ﴾ في قلوبكم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ فيجازيكم به، وفيه تهديد بليغ.

[سورة الأحزاب الآيات ٥٥ -٦٢]

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ في آبائِهِنَّ ولا أَبْنائِهِنَّ ولا إِخْوانِهِنَّ ولا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ﴾ إستثناء لمن لا يجب الإحتجاب عنهم، روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله أو نكلمهنّ أيضاً من وراء حجاب، فنزلت﴿ ولا نِسائِهِنَّ﴾ يعني: النساء المؤمنات﴿ ولا ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾ من الإماءأو يعمها والعبيد ـ كما مرّ في النورـ﴿ واتَّقِينَ اللَّهَ﴾ فيما أمرتن به ﴿إنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ لا تخفى عليه خافية﴿ إنَّ اللَّهَ ومَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ عظموه بالثناء عليه والدعاء له واستدل بها على وجوب الصلاة عليه (ص) فقيل بوجوبها في الصلاة في التشهد، وقيل بوجوبها في كل مجلس، وقيل: في العمر مرّة، وقيل: كلما ذكر، وتدل الاخبار على الأخير. وسئل الكاظم (ع): ما معنى صلاة اللّه وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن؟ قال: صلاة اللّه:

رحمة من اللّه، وصلاة الملائكة: تزكية منهم، وصلاة المؤمنين: دعاء منهم له. وعن الصادق (ع): الصلاة من اللّه: رحمة، ومن الملائكة: تزكية، ومن الناس: دعاء، واما قوله: (سلموا تسليماً) يعني: التسليم فيما ورد عنه... الخبر. وعنه (ع): اثنوا عليه وسلموا له وكيفيتها ـ على ما روى العامة والخاصة ـ: اللهم صل على محمد وآل محمد، ونحوه﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ﴾ بارتكاب ما لا يرضيان به من كفر ومعصية، أو يؤذون رسوله وذكر اللّه تعظيماً له وإيذاناً بأن إيذاء رسوله (ص) إيذاء اللّه ومن إيذائه إيذاء أهل بيته لما استفاض من قوله (ص): فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا والاخِرَةِ﴾ أبعدهم عن رحمته﴿ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً﴾ يهينهم مع الإيلام﴿ والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية استحقوا بها﴿ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإِثْماً مُبِيناً﴾ ظاهراً. قيل: نزلت في منافقين كانوا يؤذون علياً (ع) وقيل: في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات، وخصوص السبب لا يخصص. والقمي: يعني علياً وفاطمة وهي جارية في الناس كلهم. وعن الصادق (ع) إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذون لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْواجِكَ وبَناتِكَ ونِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ يرخين على وجوههن وأبدانهن بعض ملاحفهن الفاضل من التلفع[1]﴿ ذلِكَ أَدْنى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ أنهن حرائر﴿ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ يتعرض أهل الريبة لهن كتعرضهم للإماء ﴿ وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ لعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها.

---

(١) الفاضل من التلفع: أي: الزائد من الثوب بعد التغطية.

القمي: كان سبب نزولها أن النساء كن يخرجن إلى المسجد ويصلين خلف رسول الله(ص) فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة يقعد الشباب لهن في طريقهن فيؤذونهن ويتعرضون لهن فانزل الله: (يا أيها النبي...) إلخ ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك أو ضعف إيمان أو فجور عمّا هم فيه ﴿والْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ بأخبار السوء كقولهم: قتل سراياكم وأتاكم عدوكم عن إرجافهم، من الرجفة الزلزلة سمّي بها الخبر الكاذب لتزلزله ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنأمرنّك بقتالهم وإجلائهم ﴿ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ﴾ عطف بـ(ثم) على (لنغرينك) لأن الجلاء عن أوطانهم أعظم ما يصيبهم ﴿فِيها﴾ في المدينة ﴿إِلاَّ﴾ زماناً أو جواراً ﴿قَلِيلاً﴾ القمي: نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله (ص) إذا خرج في بعض غزواته يقولون: قتل أو أسر، فيغتم المسلمون لذلك ويشكون إلى رسول الله (ص) فنزلت ﴿مَلْعُونِينَ﴾ شتم أو حال داخل في الإستثناء، أي: لا يجاورونك إلا ملعونين ﴿أَيْنَما ثُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا وقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ عن الباقر (ع): فوجبت عليهم اللعنة يقول الله بعد اللعنة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سنّ الله ذلك سنة ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين للمؤمنين ﴿ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ عما جرت عليه.

[سورة الأحزاب الآيات ٦٣ -٧٣]

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ

وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾
وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ
ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ
ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ
ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

﴿يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم استهزاءً أو امتحاناً ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ﴾ استأثر به كما مرّ ﴿وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ شيئاً قريباً، أو توجد في وقت قريب تهديد للمستهزئين وإسكات للممتحنين ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكافِرِينَ وأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾ ناراً تلتهب ﴿خالِدِينَ﴾ مقدار خلودهم ﴿فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾

يمنعها منهم﴿ ولا نَصِيراً﴾ يدفعها عنهم﴿ يَومَ تُقَلَّبُ وجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ تصرف من جهة إلى جهة، أو من حال إلى حال، أو تنكس رؤوسها وناصب يوم﴿ يَقُولُونَ يا﴾ للتنبيه﴿ لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ فلا نعذب، وفيه وفي (السبيلا) من القراءة ما مرّ في (الظنونا)﴿ وقالُوا﴾ أي: الأتباع منهم﴿ ربَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنا﴾ وهم قادتهم في الكفر وقرأ ابن عامر (ساداتنا) جمع الجمع﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾ سبيل الحق﴿ ربَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ﴾ مِثلَيّ عذابنا إذ ضلّوا وأضلّوا﴿ والْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ عدده. وقرأ عاصم بالموحدة أي: عظيماً، القمي: هي كناية عن الذين غصبوا آل محمد حقهم﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ آذَوا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا﴾ فأظهر براءته من مقولهم﴿ وكانَ عِنْدَ اللَّهِ وجِيهاً﴾ ذا قرابة ووجاهة. عن الصادق (ع): ان بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال وكان موسى إذا أراد الإغتسال ذهب[1] لا يراه فيه أحد من الناس، فكان يوماً يغتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة، فأمر اللّه عز وجل الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر إليه بنو إسرائيل فعلموا أن ليس كما قالوا: فأنزل اللّه الآية[2]﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في إيذاء رسوله وغيره﴿ وقُولُوا قَولاً سَدِيداً﴾ قاصداً إلى الحق لا ما لا قصد فيه كحديث زينب وغيره﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ﴾ يتقبلها، أو يوفقكم بلطفه للأعمال الصالحة﴿ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ باستقامتكم بالقول والعمل، عن الصادق (ع): أنه قال لعبّاد: ويحك غرّك أن عفّ بطنك وفرجك إن اللّه يقول في

---

(١) الظاهر سقوط: (إلى مكان) من العبارة.

(٢) تسربت كثير من هذه الروايات الى كتبنا الحديثة من التلمود والكتب الإسرائيلية. وبعضها يسيء الى كرامة الأنبياء(ع) وتجد كثيراً من هذه الروايات في (تفسيرالطبري) وغيره من مصادر التفسير والحديث.

كتابه: (يا أيها الذين آمنوا...) إلخ، أعلم أنه لا يقبل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً﴿ ومَنْ يُطعِ اللّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوزاً عَظيماً﴾ ظفر ببغيته﴿ إنَّا عَرَضْنَا الأمانَةَ ﴾ قيل: هي الطاعة المُعلّق بها الفوز فإنها واجبة الأداء كالأمانة﴿ عَلَى السَّماواتِ والأرضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحمِلْنَها﴾ أي: هي لعظمتها بحيث لوعرضت على هذه العظام وكان لها شعور لأبين حملها﴿ وأشْفَقْنَ﴾ خفن﴿ مِنْها وحَمَلَهَا الإنْسانُ﴾ مع ضعفه﴿ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً﴾ حيث لم يؤدها﴿ جَهُولاً﴾ لعظمة شأنها. وقيل: أريد بـ(الأمانة) ما يعم الطاعة الطبيعية والإختيارية، وعرضُها على السماوات وإباؤها عن حملها مجازٌ وحملها خيانتها وعدم أدائها من قولهم: حامل الأمانة لمن لم يؤدّها، فالاباء عنه أداؤها وهو الإنقياد لإرادته تعالى. وعن الرضا (ع) في الآية قال: الأمانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر، قيل: أراد (ع) بالولاية الإمرة والإمامة. ويحتمل إرادة القرب من الله. وعن الصادق (ع): هي ولاية امير المؤمنين (ع) والقمي: الأمانة هي الإمامة والأمر والنهي وعن علي (ع) كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن فيقال له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴿ لِيُعَذِّبَ اللّهُ﴾ تعليل للتعرض أو الحمل المترتب عليه﴿ الْمُنافقينَ والْمُنافقاتِ والْمُشْرِكينَ والْمُشْرِكاتِ﴾ الخائنين الأمانة﴿ ويَتُوبَ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ والْمُؤْمِناتِ﴾ المؤدين للأمانة﴿ وكانَ اللّهُ غَفُوراً﴾ للمؤمنين﴿ رَحِيماً﴾ بهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الأحزاب وتفسيرها.

سورة سبأ

أربع، أو خمس وخمسون آية، مكيّة.

وقيل: إلاّ آية (ويرى الذين أوتوا العلم)

[الآيات ١ – ٧]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ

﴿وَيَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾

عن الصادق (ع): من قرأ الحمدين جميعاً حمد سبأ وحمد فاطر في ليلة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلاءته، فان قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه وأعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ﴾ لا لغيره ﴿ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ كله من نعمة الله ﴿ولَهُ الْحَمْدُ فِي الدُّنيا وَفي الآخِرَةِ﴾ خصّت بالتصريح بها لفضل نعمها الباقية على نعم الدنيا الزائلة ﴿وهُوَالْحَكِيمُ﴾ في تدبيره ﴿الْخَبِيرُ﴾ في خلقه ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الأَرْضِ﴾ من مطر، أو كنز، أو ميت ﴿وما يَخْرُجُ مِنْها﴾ من ماء، أو فلز، أو نبات، أو حيوان ﴿وما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ من مطر، أو مَلَك، أو رزق ﴿وما يَعْرُجُ فِيها﴾ من عمل، أو مَلَك ﴿وهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ للمقصرين في شكر نعمه ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ إنكار لمجيئها، أو استبطاء استهزاء بالوعد به ﴿قُلْ بَلى ورَبِّي﴾ ردّ لكلامهم واثبات لما نفوه ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ﴾ تكرير لإيجابه مؤكداً بالقسم مقرراً له بوصف القسم به بصفات تقرر إمكانه ونفي استبعاده. وقرأ حمزة والكسائي (علاّم) مبالغة، ونافع وابن عامر (عالم) بالرفع خبر محذوف، أو مبتدأ خبره: ﴿لا يَعْزُبُ﴾ لا يغيب، وكسره الكسائي ﴿عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ﴾ زنة أصغر نملة ﴿فِي السَّماواتِ ولا فِي الأَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ ولا أَكْبَرُ﴾ رفعاً بالإبتداء لا بالعطف على (مثقال) لقوله: ﴿إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ بيّن هو اللوح. وقريء بالفتح على نفي الجنس. عن الصادق (ع): أوّل ما خلق الله القلم فقال له: اكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾

علة لإتيانها وبيان لما تقتضيه﴿ أولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تعب فيه ولا منّ عليه﴿ والَّذِينَ سَعَوا فِي آياتنا﴾ بالإبطال وتزهيد الناس فيها﴿ مُعاجِزِينَ﴾ مسابقين كي يفوتونا. وقرأ ابن كثير وأبوعمرو (معجّزين) مشدداً حيث جاء أي: مثبطين من أراد﴿ أولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ سيء العذاب﴿ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. ورفعه ابن كثير وحفص﴿ ويَرَى﴾ يعلم﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الصحابة، أو مؤمني أهل الكتاب، أو الأعم منهما﴿ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ القرآن﴿ هُوَ﴾ ضمير فصل﴿ الْحَقَّ﴾ ثاني مفعولي (يرى) و(هو) مستأنف أو عطف على (ليجزي) أي: وليعلموا إذا أتت الساعة حقيقة عياناً كما علموها نظراً﴿ ويَهْدِي إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الذي هو التوحيد والتدرّع بلباس التقوى﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعضهم لبعض﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ﴾ يعنون النبي (ص)﴿ يُنَبِّئُكُمْ﴾ يحدثكم بأعجب الأحاديث﴿ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقت أوصالكم كل تفريق، وعامل (إذا) ما دلّ عليه﴿ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: تبعثون، لا ما بعد (إنّ) لعدم عمله فيما قبلها.

[سورة سبأ الآيات٨-١٤]

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝١٤﴾

﴿أفترى عَلَى اللَّه كَذِباً﴾ استغنى بهمزة الإستفهام عن همزة الوصل ﴿أمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون يخيل له ذلك فيهذي به، واحتج بمقابلتهم إياه بالإفتراء مع عدم إعتقادهم صدقه على ثبوت واسطة بين الصّدق والكذب وردّ: بأن الكذب أعمّ من الإفتراء﴿بَلِ الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرَةِ في العَذابِ والضَّلالِ البَعيد﴾ عن الحق لترديدهم خبره بين قسمين باطلين وتركهم قسماً ثالثاً حقاً بالبرهان القاطع وهو أنه عاقل صادق، وقدّم العذاب على موجبه وهو الضلال مبالغة في استحقاقهم ﴿أفَلَمْ يَرَوا﴾ أعموا فلم ينظروا﴿إلى ما بَيْنَ أيديهِمْ وما خلْفَهُمْ﴾ ما أحاط بجوانبهم

﴿ مِنَ السَّماءِ والأرضِ﴾ فيستدلون بهما على قدرته﴿ إنْ نَشأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْضَ﴾ وأدغم الكسائي الفاء بالباء﴿ أو نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً﴾ وفتحه حفص، قطعة ﴿ مِنَ السَّماءِ﴾ لكفرهم وقرأ حمزة والكسائي (يشأ ويخسف ويسقط) بالياء﴿ إنَّ في ذلكَ﴾ الذي يرونه﴿ لآيَةً﴾ لدلالة﴿ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ﴾ راجع إلى ربه على قدرته على البعث وما يشاء﴿ ولَقَدْ آتَيْنا داودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ على غيره من الناس من النبوة والكتاب وغيرهما، أو على كثير من الأنبياء وهو:﴿ يا جِبالُ أوِبي﴾ ارجعي ﴿ مَعَهُ﴾ التسبيح وذلك إما بخلق صوت فيها، أو ببعثها له على التسبيح إذا تفكّر فيها، أو سيري معه حيث سار فهو بدل من (فضلاً) بتقدير (قولنا) والقمي: أي: سبحي للّه﴿ والطَّيْرَ﴾ عطف على محل (جبال) أي: ودعوناها تسبح معه، أو على (فضلاً) أو مفعول معه لـ(أوبي)﴿ وألَنَّا لَهُ الْحَديدَ﴾ جعلناه في يده كالشمع يصرّفه كيف يشاء من غير إحماء وطَرْق. القمي: كان داود (ع) إذا مرّ بالبراري يقرأ الزبور تسبح الجبال والطير معه والوحوش، وألان اللّه له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما أحب، وقال: أعطي داود وسليمان ما لم يعط أحد من أنبياء اللّه من الآيات علّمهما منطق الطير وألان لهما الحديد والصّغر من غير نار وجعلت الجبال يسبحن مع داود (ع) ﴿ أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ﴾ دروعاً تامّات، وهو اول من عملها﴿ وقَدِّرْ في السَّرْدِ﴾ في نسجها بحيث تتناسب حلقها﴿ واعْمَلُوا صالِحاً﴾ أي: أنت وأهلك﴿ إنِّي بما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ فأجازيكم به﴿ ولِسُلَيْمانَ وسخرنا له الرِّيحَ﴾ ورفعه أبو بكر، أي: له الريح مسخرة﴿ غُدُوها شَهْرٌ ورَواحُها﴾ سيرها بالغداة مسيرة﴿ شَهْرٌ﴾ وبالعشي كذلك. القمي: كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير بها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر﴿ وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس المذاب فأجرى الماء ثلاثة أيام وعمل الناس إلى اليوم من ذلك﴿ ومِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عطف على (الريح)

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بأمره﴿ وَمَنْ يَزِغْ يعدل مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا﴾ له بطاعته﴿ نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، أو في الدنيا يضربه ملك بسوط من نار فيحرقه﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ﴾ قصوراً حصينة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذبّ عنها ويحارب عليها﴿ وَتَماثِيلَ﴾ وصوراً عن الصادق (ع): هي ـ كما قيل ـ الرجال والنساء، ولكنها الشجر وشبهه﴿ وَجِفانٍ﴾ صحاف﴿ كَالْجَوابِ﴾ الحياض. جمع (جابية) من الجباية﴿ وَقُدُورٍ راسِياتٍ﴾ ثابتات على الأثافي[1] لا تنزل عنها لعظمها ﴿ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لأنّ توفيقه للشكر نعمة يستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية، ولذا قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر. وسكن حمزة الياء﴿ فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ أي: على سليمان. قيل: أسّس داود بيت المقدس فمات قبل تمامه فأوصى به إلى سليمان فاستعمل فيه الجن، فأعلم بدنوّ أجله ولم يتم بعد، فقال: اللهم غمّ عليهم موتى ليتمّوه، فأمرهم فبنوا عليه قبة من قوارير لا باب لها فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات وبقي متكئاً سنة وهم يعملون ولا يشعرون بموته حتى أكلت الأرضة عصاه﴿ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر يقال: (أرضت الخشبة) بالبناء للمفعول (أرضاً) أي: أكلتها الأرضة﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ عصاه، من (نسأت البعير) زجرته لأنها يزجر بها. وأبدل نافع وأبو عمرو الهمزة ألفاً وسكنها ابن ذكوان وفتحها الباقون﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ علمت﴿ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ كما يزعمون لعلموا موته ولو علموه ﴿ ما لَبِثُوا﴾ بعده سنة﴿ فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق، أو ظهرت الجن. و(إن) بصلتها بدل اشتمال منه أي: ظهر أنهم

---

(١) الأثافي: هي الأحجار الثلاثة التي يوضع عليها القدر.

لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب. وعن الرضا (ع): الجن تشكر الأرضة بما فعلت بعصا سليمان فما كاد تراها في مكان إلاّ وعندها ماء وطين، وفي قراءتهم (ع) (فلما خرّ تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) وعن النبي (ص): عاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثنتي عشرة سنة.

[سورة سبأ الآيات ١٥ -٢٢]

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ

مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ﴾ بالتنوين اسم للحي، أو لأبيهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنع صرفه أبوعمرو والبزّي إسماً للقبيلة ﴿في مَساكِنِهِمْ﴾ باليمن في مدينة مأرب، وكانوا بعد عيسى. ووحده حمزة وحفص بفتح الكاف والكسائي بكسره ﴿آيةٌ﴾ دالة على كمال قدرة الله وسبوغ قدرته ﴿جَنَّتانِ﴾ بدل من (آية) أو خبر محذوف أي: الآية جنتان جماعتان من البساتين ﴿عَنْ يَمِينٍ وشِمالٍ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله، كأنّ كل جماعة لتدانيها جنة واحدة، أو بستاناً كلّ رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله ويقول لهم لسان حالهم، أو أنبياؤهم وهم ثلاثة عشر ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ واشْكُرُوا لَهُ﴾ نعمته ﴿بَلْدَةٌ﴾ هذه بلدة ﴿طَيِّبَةٌ﴾ نزهة[1] لا أسياخ بها[2] ولا هوام مؤذية ﴿ورَبٌّ﴾ وربكم الذي رزقكم وطلب شكرهم رب ﴿غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا﴾ عن الشكر ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ سيل المطر الشديد، أو الجرذ لأنه نقلب سداً عملته بلقيس لمنع الماء، أو واد أتى السيل منه، أو المسناة التي تمسك الماء. جمع (عرمة) وهي: الحجارة المركومة ﴿وبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ولامه ياء ﴿أُكُلٍ﴾ ثمر ﴿خَمْطٍ﴾ هو كل نبت فيه مرارة، أو كل شجر لا شوك فيه، أو الأراك وهو بدل، أو عطف بيان لـ(أكل)

---

(١) الأرض النَزِهَة: هي الأرض المتزينة بالنبات والخضرة.

(٢) لا أسياخ بها: أي: ليست رخوة ولينة بحيث تسيخ وتغوص بها الأرجل.

بتقدير مضاف، أي: أكل أكل خمط، أو صفة له بتأويل: بشع، وقرأ أبوعمرو (أكل خمط) بالإضافة ﴿ وأَثْلٍ وشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ معطوفان على الأكل لا على (خمط) إذ لا أكل للأثل وهو: الطرفا، وتقليل السدر لطيب ثمره وهو النبق وسمي البدل جنتين مشاكلة، أو تهكماً ﴿ ذلكَ ﴾ الإرسال والتبديل مفعول ﴿ جَزَيْناهُمْ ﴾ وقدم تعظيماً لا قصراً ﴿ بِما كَفَرُوا ﴾ النعمة، أو الرسل ﴿ وَهَلْ يُجازي ﴾ هذا الجزاء ﴿ إِلاَّ الْكَفُورَ ﴾ للنعم أو بالرسل، وقرأ حفص وحمزة والكسائي (نُجازي) بالنون ونصب الكفور ﴿ وجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها ﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يتجرون إليها. والقمي: قال: مكة ﴿ قُرىً ظاهِرَةً ﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض ﴿ وقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت في أخرى ﴿ سِيرُوا فِيها ﴾ على إرادة القول ﴿ لَيالِيَ وأَيّاماً ﴾ متى شئتم من ليل أو نهار ﴿ آمِنِينَ ﴾ من المخاوف والمضار في جميع الأوقات فبطروا النعمة ﴿ فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا ﴾ سألوه أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز[1] ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرّواحل وتزود الأزواد، فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة، وقرأ ابن كثير (بعّد) مشدداً، وعن الباقر (ع): ربنا باعَدَ. بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطاً في الترفيه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه ﴿ وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ حيث بطروا النعمة ﴿ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ ﴾ يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون: تفرقوا أيدي سبأ ﴿ ومَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ فرّقناهم غاية التفريق حتى لحق غسّان منهم بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان ﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ ﴾ فيما ذكر ﴿ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ ﴾ عن المعاصي ﴿ شَكُورٍ ﴾ على النعم. عن الصادق (ع): هؤلاء قوم كانت لهم

---

(١) مفاوز: مسافات.

قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض وأنهار جارية وأموال ظاهرة فكفروا نعم اللّه وغيروا ما بأنفسهم فأرسل اللّه عليهم سيل العرم، ففرق قراهم وخرّب ديارهم وذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل. وعن القائم (ع): نحن واللّه القرى التي بارك فيها وأنتم القرى الظاهرة﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بني آدم، أو أهل سبأ﴿ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ في ظنّه أو يظن ظنّه، وشدّد الكوفيون الدال أي: حقق ظنّه، أو وجده صادقاً وهو قوله: (لأضلنّهم ولأمنينهم) ﴿ فَاتَّبَعُوهُ إِلاّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنينَ﴾ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه﴿ وما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ تسلط بوسوسة﴿ إِلاّ لِنَعْلَمَ﴾ علماً يترتب عليه الجزاء﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها في شَكٍّ﴾ أو إلاّ ليتميز المؤمن من الشاك فنجازي كُلاً منهما﴿ وربُّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفيظٌ﴾ رقيب وعن الباقر (ع) قال: كان تأويل هذه الآية لما قبض رسول اللّه (ص) والظن من إبليس حين قالوا لرسول اللّه (ص): إنه ينطق عن الهوى فظن إبليس بهم ظناً فصدقوا ظنّه﴿ قُلِ﴾ للمشركين﴿ ادْعُوا الَّذينَ زَعَمْتُمْ آلهة مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضرّ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شرّ﴿ فِي السَّماواتِ ولا فِي الأرضِ﴾ في أمرهما﴿ وما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾ من شركة لا خلقاً ولا ملكاً ﴿ وما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ معين على شيء.

[سورة سبأ الآيات ٢٣ -٣١]

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ

لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿ولا تَنفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ﴾ ولا تنفعهم شفاعة أيضاً ـ كما يزعمون ـ ﴿إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ أن يشفع، أو أذن أن يشفع له. وضم الهمزة أبو عمرو وحمزة والكسائي ﴿حَتَّى إذا فُزِّعَ عَنْ قُلوبِهِمْ﴾ غاية لما أفهم الكلام من أن الشافعين والمشفوع لهم ينتظرون الاذن، فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بالإذن، وقيل: الضمير

للملائكة. وقرأ ابن عامر فزع ببناء الفاعل﴿ قالُوا﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿ ما ذا قالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة﴿ قالُوا الْحَقَّ﴾ أي: قال القول الحق وهو الإذن بها لمن ارتضى ﴿ وهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بقهره﴿ الْكَبِيرُ﴾ بعظمته. عن الباقر (ع): وذلك أن أهل السماوات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمداً (ص) فلما بعث اللّه جبرئيل إلى محمد (ص) سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصّفا فصعق أهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبرئيل، كلما مرّ بأهل سماء فزع عن قلوبهم، يقول: كشف عن قلوبهم فقال بعضهم: (لبعض ماذا قال ربكم...) إلخ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماوات والأرضِ﴾ إلزاماً لهم فإن تلعثموا ﴿ قُلِ اللَّهُ﴾ إذ لا جواب غيره ولا يسعهم إنكاره﴿ وإنَّا أو أياكُمْ﴾ وإن أحد الفريقين من الموحدين اللّه والمشركين به الجماد﴿ لَعَلى هُدىً أو فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن والإبهام إنصاف مع الخصم وتلطف به مسكت له، وهو أبلغ من التصريح بمن هو على هدى ومن هو في ضلال. قيل: اختلاف الحرفين لأن الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلع عليها، أو ركب حيواناً يركضه حيث يشاء والضّال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصّى منها﴿ قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا ولا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قيل: هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات[1] حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا يوم القيامة ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ﴾ يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار﴿ وهُوَالْفَتَّاحُ الحاكم الفاصل﴿ الْعَلِيمُ﴾ بما ينبغي أن يقضى به ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ﴾ في استحقاق العبادة، تبكيت لهم وتنبيه على

(١) الإخبات: الإطمئنان.

خطأهم في الإشراك ﴿ كَلاَّ ﴾ ردع لهم عن مذهبهم بعد تزييفه ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: الله، أو الشأن ﴿ اللَّهُ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب بقدرته ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبيره فلا إله غيره ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً ﴾ إلا رسالة عامة ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ من الكف فإنها إذا عمّتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، أو إلا جامعاً لهم في الدّعوة، فهوحال من الكاف والتاء للمبالغة، أو حال من الناس ﴿ بَشِيراً ﴾ بالثواب للمطيعين ﴿ وَنَذِيراً ﴾ بالعقاب للعاصين ﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك. عن الصادق (ع): أن الله أعطى محمداً (ص) شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى...إلى أن قال... وأرسله إلى الأبيض والأسود، والجن والإنس. وفي آخر: لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض من الجن والإنس ﴿ وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ ﴾ الموعود بقوله: (يجمع بيننا ربنا) أو بالبعث والجزاء ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ يخاطبون به رسول الله (ص) والمؤمنين ﴿ قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ ﴾ مصدر، أو اسم زمان إضافته بيانية ﴿ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً ولا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ إذا فاجأكم جواب تهديد في مقابلة تعنتهم وإنكارهم ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من أهل مكة ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ ولا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: مقدمة كالتوراة والإنجيل المتضمنين للبعث، أو صفة محمد (ص) إذ سألوا أهل الكتاب عنه فأخبروهم أن صفته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك ﴿ ولَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ للحساب ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ ﴾ يتحاورون ويرجعون القول ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ﴾ الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ للرؤساء ﴿ لَوْلا أَنْتُمْ ﴾ لولا إضلالكم وصدكم إيّانا عن الإيمان ﴿ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ باتباع الرسول.

[سورة سبأ الآيات ٣٢-٣٩]

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿ قالَ الَّذينَ استَكبَرُوا للَّذينَ استُضعِفُوا أ نَحنُ﴾ إنكار، أي: ما نحن ﴿ صَدَدْناكُمْ عَنِ الهُدى بَعْدَ إذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمينَ﴾ بإعراضكم عن الهدى فأنتم الصّادون لأنفسكم عنه﴿ وقالَ الَّذينَ استُضعِفُوا﴾ عطف على قولهم الأول ﴿ للَّذينَ استَكبَرُوا بَلْ مَكرُ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ إضراب عن إضرابهم أي: لم يكن إجرامنا الصّاد بل مكركم لنا دائباً ليلاً ونهاراً حتى أغرتم علينا رأينا﴿ إذْ تَأمُرُونَنا أنْ نَكفُرَ باللّه ونَجعَلَ لَهُ أنداداً﴾ شركاء. وأضيف (مكر) إلى الظرف اتساعاً﴿ وأسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأوا العَذابَ﴾ أضمر الفريقان الندامة على الضلالة والإضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير. القمي قال: يسرّون الندامة في النار إذا رأوا وليّ اللّه فقيل: يا ابن رسول اللّه وما يغنيهم إسرارهم الندامة وهم في العذاب؟ قال: يكرهون شماتة الأعداء﴿ وجَعَلنا الاغلالَ في أعناقِ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ أي: في أعناقهم وجاء بالظاهر تنويهاً بذمهم وإشعاراً بموجب أغلالهم﴿ هَلْ يُجزَونَ إلاّ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ أي: لا يفعل بهم ما يفعل إلاّ جزاء على أعمالهم﴿ وما أرسَلنا في قَريَةٍ مِنْ نَذيرٍ إلا قالَ مُترَفُوها﴾ رؤساؤها المتنعمون خصّوا بالذكر لأنهم أصل في العناد، وهو تسلية للرسول (ص)﴿ إنّا بِما أُرسِلتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ تسلية له (ص) ممّا مني به من قومه وتخصيص المترفين بالتكذيب لأن الداعي المعظم إلى التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا وانهماك الشهوات ولذا ضمّوا المفاخرة والتهكم إلى التكذيب﴿ وقالُوا نَحنُ أكثَرُ أموالاً وأولاداً﴾ فنحن أكرم عند اللّه منكم﴿ وما نَحنُ بِمُعَذَّبينَ﴾ بعد أن أكرمنا﴿ قُلْ﴾ رداً عليهم﴿ إنَّ رَبّي يَبسُطُ الرِّزقَ﴾ يوسّعه﴿ لِمَنْ يَشاءُ ويَقدِرُ﴾ ويضيقه لمن يشاء بحسب المصلحة وليس ذلك لكرامة وهوان﴿ ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمُونَ﴾ أن ذلك كذلك﴿ وما أموالُكُمْ ولا أولادُكُمْ﴾ جماعتهما﴿ بِالَّتي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنا زُلفى﴾ قربى أي: تقريباً﴿ إلاّ﴾ لكن ﴿ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالِحاً﴾ أو استثناء من

مفعول (تقربكم) أي: ما يقرب أحد إلاّ المؤمن الصالح المنفق ماله في البر والمعلم ولده الخير، أو من فاعله بحذف مضاف ﴿فَأولئكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ﴾ أي: يجازون الضعف إلى العشر فأكثر من إضافة المصدر إلى مفعوله ﴿وهُمْ فِي الغُرُفاتِ آمِنُونَ﴾ وقرئ بالتوحيد، وعن الصادق (ع) وقد ذكر رجل الأغنياء ووقع فيهم فقال (ع): أسكت فإن الغني إذا كان وصولاً برحمه باراً بإخوانه أضعف الله له الأجر ضعفين لأن الله يقول: (وما أموالكم...) الآية ﴿والَّذِينَ يَسْعَونَ فِي آياتِنا﴾ بالإبطال ﴿مُعاجِزِينَ﴾ مسابقين لنا ظانين أن يفوتونا، أو معجزين مثبطين عن الخير ﴿أولئكَ فِي العَذابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ من عباده ﴿ويَقْدِرُ لَهُ﴾ يوسعه ويضيقه لشخص واحد في حالين، وما سبق لشخصين فلا تكرير ﴿وما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُو يُخْلِفُهُ﴾ عاجلاً أو آجلاً ﴿وهُو خَيْرُ الرّازِقِينَ﴾ لأنه الرازق حقيقة وغيره واسطة عن النبي (ص): من صدق بالخلف جاد بالعطية وقال رجل للصادق (ع): إني أنفق ولا أرى خلفاً، قال: أفترى الله أخلف وعده، قيل: لا، قال: فممّ ذلك، قال: لا أدري، قال: لوأن أحدكم اكتسب المال من حلّه لم ينفق درهماً إلاّ أخلف عليه. وقال الرضا (ع) لمولى له: هل أنفقت اليوم شيئاً؟ فقال: لا والله؛ فقال (ع): فمن أين يخلف الله علينا.

[سورة سبأ الآيات ٤٠-٥٤]

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ

وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ۝ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ۝ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ۝

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ﴾ المستكبرين والمستضعفين، وقرأ حفص بالياء فيه وفي ﴿ ثُمَّ نَقولُ لِلمَلائكَةِ أَهؤُلاءِ إياكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ تقريعاً للمشركين وتبكيتاً وإقناطاً لهم عمّا يتوقعون من شفاعتهم، وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحين للخطاب منهم ﴿ قالُوا سُبْحانَكَ ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنا ﴾ الذي نواليه ﴿ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ لا موالاة بيننا وبينهم ولا نرضى بعبادتهم ولم يعبدونا حقيقة ﴿ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ أي: الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله ﴿ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ مصدقون فيما يزيّنون لهم ﴿ فَالْيومَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً ولا ضَرّاً ﴾ إذ الأمر فيه كله له، لأن الدار دار جزاء وهو المجازي وحده ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ ﴾ عناداً ﴿ وإذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هَذا ﴾ أي: القرآن ﴿ إِلاَّ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ مُفْتَرىً ﴾ على الله ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ ﴾ ما ﴿ هذا إِلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ بيّن، وفي التصريح بكفرهم وحصرهم الحق في السحر، مبادهة لمجيّه بلا تأمل أبلغ إنكار وتعجيب ﴿ وما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها ﴾ تدعوهم إلى ما هم عليه من الإشراك ﴿ وما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴾ ينذرهم على تركه فمن أين وقع لهم هذه الشبهة؟ ﴿ وكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كما كذبوا ﴿ وما بَلَغُوا ﴾ أي: هؤلاء ﴿ مِعْشارَ ما

آتَيْناهُمْ﴾ عشر ما أعطينا أولئك من القوة والنعمة والتعمير، أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من الدلالة. والقمي قال: كذب الذين من قبلهم رسلهم وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمداً وآل محمد (ص)﴿ فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ لا تكرير فيه لأن الأوّل مطلق، والثاني مقيّد﴿ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثله﴿ قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ﴾ أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أن تهتموا بالأمر لأجل الله مجانبين للهوى. مجرور بدلاً، أو بياناً، أو مرفوع، أو منصوب بتقدير (هو) أو (أعني)﴿ مَثْنى وفُرادى﴾ اثنين اثنين وواحداً واحداً فإن الكثرة تشوش البال﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر محمد (ص) فتعلموا ﴿ ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ جنون، أو استئناف منبه على كيفية النظر فإنهم عرفوا وفور عقله المقتضي لصدقه، وقيل: (ما) استفهامية أي: تفكروا أيُّ شيء به من الجنون؟﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قدام ﴿ عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ في القيامة فإن مبعثه قرينها﴿ قُلْ ما﴾ أي: شيء﴿ سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على التبليغ ﴿ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أسألكم عليه أجراً، كما تقول لمن لم يعطك شيئاً: ما أعطيتني فخذه﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع يعلم صدقي. وسكن الياء ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه، أو يرمي به الباطل فيدمغه﴿ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ثان، أو لمحذوف، أو صفة (ربي) على المحل، أو بدل من فاعل (يقذف)﴿ قُلْ جاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام﴿ وما يُبْدِئُ الْباطِلُ وما يُعِيدُ﴾ أي: زهق الباطل ولم يبق له أثر وهو مَثَلٌ في الهلاك فإن الحي إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة. وقيل: الباطل إبليس، أو الصّنم، أي: لا ينشئ خلقاً ولا يعيد، وقيل: (ما) استفهامية مفعول مقدم﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحق﴿ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي﴾ فإن وبال ضلالي عليها﴿ وإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من الهدى تفضلاً منه

عليّ. وفتح نافع وأبوعمرو الياء﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للأقوال﴿ قَرِيبٌ﴾ لا تخفى عليه الأحوال﴿ ولوتَرى إِذْ فَزِعُوا﴾ عند الموت، أو البعث، أو يوم بدر لرأيت فظيعاً﴿ فَلا فَوتَ﴾ فلا يفوتون الله بهرب، أو حصن. عن الباقر (ع): إذا فزعوا من الصوت وذلك الصوت من السماء﴿ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: من تحت أقدامهم خسف بهم. وعنه (ع): لكأني أنظر إلى القائم وقد أسند ظهره إلى الحجر... إلى أن قال... فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفياني فيأمر الله الأرض فتأخذ بإقدامهم وهو قوله: ولوترى إذ فزعوا فلا فوت...﴿ وقالُوا آمَنَّا بِهِ وأَنَّى لَهُمُ التَّناوشُ﴾ من أين لهم تناول الإيمان بسهولة﴿ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني بعد انقضاء زمان التكليف، قال: إنهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال وقد كان لهم مبذولاً من حيث ينال﴿ وقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: أوان التكليف﴿ ويَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم﴿ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ من جانب بعيد من أمره﴿ وحِيلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: يعني: أن لا يعذبوا﴿ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: يعني: من كان قبلهم من المكذبين هلكوا﴿ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ موجب للريب. عن السجّاد والحسن بن علي (ع) في هذه الآية: هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة سبأ وتفسيرها.

سورة فاطر

[الآيات ١ - ١١]

خمس أو ست وأربعون آية، وقد مرّ فضلها في السورة السابقة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ والأَرضِ﴾ مبدعهما. من (الفطر) بمعنى الشق كأنه شق العدم بإخراجهما منه ﴿جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ وسائط بينه وبين أوليائه يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ﴾ ينزلون بها ويعرجون، أو يسرعون بها إلى ما أمروا به. وعن النبي (ص): الملائكة على ثلاثة أجزاء: جزء له جناحان وجزء له ثلاثة أجنحة، وجزء له أربعة أجنحة. ويحتمل إرادة التعدد دون خصوصية العدد لما روي أنه (ص)

رأى جبرئيل في المعراج وله ستمائة جناح، ويشير إليه قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرهم ﴿ما يَشاءُ﴾ من حسن الوجه والصوت ونحوهما، وعن النبي (ص): هو الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإذا أراده كان ﴿ما يَفْتَحِ اللَّهُ﴾ ما يطلق ﴿لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق وصحة وعلم ونبوة ﴿فَلا مُمْسِكَ لَها وما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ يطلقه بعد إمساكه، بيّن المطلق بالرحمة فأنّث ضميره وأطلق الممسك لتعمّها والغضب إيذاناً بسبقها إياه فذكّر ضميره ﴿وهُوَالْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ احفظوها بمعرفة حقها، والإعتراف بها، وطاعة منعمها ﴿هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ﴾ رفع (غير) صفة، أو بدلاً لـ(خالق) على محله وجرّه حمزة والكسائي على لفظه وخبره مقدر، و(يرزقكم) صفة (خالق) أو خبره أو مستأنف، وعلى الأخيرين يفيد منع اطلاق الخلق على غير الله ﴿لا إِلهَ إِلاَّ هُو فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فمن أي: وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به ﴿وإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: فتأسّ بهم في الصبر على تكذيبهم ﴿وإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وعْدَ اللَّهِ﴾ بالحشر والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ فيذهلكم التمتّع بها عن طلب الآخرة والسعي لها ﴿ولا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية ﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌ﴾ عداوة عامة قديمة ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ لعقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ النار المسعرة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه ﴿أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾

زينه له الشيطان فغلب هواه على عقله ﴿ فَرَآهُ حَسَناً﴾ وخبر (من) كمن اهتدى بهدى الله بدلالة أو كمن لم يزين له بدلالة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ يخذل من لا ينفعه اللطف ويلطف بمن ينفعه، وسئل الكاظم (ع) عن العجب الذي يفسد العمل؟ فقال: العجب درجات منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً ﴿ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ تهلكها على المزين لهم ﴿ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾ اغتماماً بكفرهم وغيّهم، و(عليهم) صلة (تذهب) لا (حسرات) لأن صلة المصدر لا تتقدمه ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ﴾ وأفردها ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾ تهيجه. حكاية حال ماضية ﴿ فَسُقْناهُ﴾ التفات إلى التكلم يفيد الإختصاص ﴿ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ وشدّده نافع وحفص وحمزة والكسائي ﴿ فَأَحْيَيْنا بِهِ﴾ بمائه ﴿ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ يبسها ﴿ كَذلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: مثل إحياء الأرض إحياء الأموات ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ أي: فليطلبها من عنده فإنها كلها له. وفي النبوي: إن ربكم يقول: كل يوم أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطلب العزيز. ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هوالتوحيد ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قبل الصعود، والرفع مجاز عن قبوله، وفاعل (يرفعه) الله، أو الكلم أي: لا يقبل عمل إلاّ من موحّد، أو العمل أي: هو يقوي الإيمان فيقبل به، وقيل: الكلم الطيب يعم الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، والقمي: كلمة الإخلاص والإقرار بما جاء به من عند الله من الفرائض والولاية ترفع العمل الصالح إلى الله. وعن الصادق (ع): الكلم الطيب: قول المؤمن (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله) والعمل الصالح: الاعتقاد بالقلب إن هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه من رب العالمين ﴿ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ السَّيِّئاتِ﴾ بالنبي (ص) في دار الندوة من حبسه، أو قتله، أو إخراجه ﴿ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ جزاء مكرهم ﴿ وَمَكْرُ أُولئِكَ هُوَ

يَبُورُ﴾ يفسد ولا ينفذ وفي العاقبة يحيق لهم ﴿واللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُراب﴾ بخلق آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ بخلق نسله منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وما تَحْمِلُ مِنْ أُنثى ولا تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ﴾ إلاّ معلومة له ﴿وما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ ما يزاد في عمر من يطول عمره ﴿ولا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ من عمر المعمّر لغيره أي: يعطي غيره عمراً ناقصاً من عمره، أو لا ينقص من عمر غير المعمّر فأضمر ولم يذكر لدلالة مقابله عليه، وقيل: التعمير وضدّه لشخص واحد بأن يعلم الله أن تصدّق عمّر ستين وإلاّ فثلاثين، أو يراد بالمنقوص ما يذهب من عمره فإنه يكتب في الصحيفة يوماً فيوماً ﴿إِلاّ فِي كِتابٍ﴾ اللوح، أو علمه تعالى ﴿إِنَّ ذلِكَ﴾ المذكور ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ هيّن.

[سورة فاطر الآيات ١٢ -١٨]

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿ وما يَسْتَوي الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿ سائِغٌ شَرابُهُ﴾ في الحلق هنيء ﴿ وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾ شديد الملوحة. وعن الباقر (ع): الأجاج: المرّ. قيل: هذا مثل للمؤمن والكافر ﴿ ومِنْ كُلٍّ﴾ منهما ﴿ تَأْكُلونَ لَحْماً طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿ وتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح، أو منهما ﴿ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ذكر ما فيهما من النعم استطراداً، أو إتماماً للتمثيل بتفضيل الأجاج على الكافر بمشاركته للعذب في بعض المنافع ولا نفع في الكافر ﴿ وتَرَى الْفُلْكَ فيهِ﴾ في كل منهما ﴿ مَواخِرَ﴾ تمخر الماء أي: تشقّه بجريها. القمي: يقول الفلك مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه﴾ تعالى بركوبه للتجارة ﴿ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هومنتهى دوره، أو مدته، أو يوم القيامة ﴿ ذلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ والَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونه ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْميرٍ﴾ القمي قال: الجلدة الرقيقة التي على ظهر النوى[1] ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ﴾ لأنهم

---

(١) القطمير: مثل يضرب للشيء الهيّن الحقير، يقال: ما أصبت منه قطميراً. وليس المقصود هنا خصوص قشرة النواة.

جماد﴿ ولَوسَمِعُوا﴾ فرضاً﴿ مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ﴾ لعدم قدرتهم عليها﴿ ويَومَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم أي: يبرؤون من عبادتكم إياهم﴿ ولا يُنَبِّئُكَ﴾ يخبرك بحقيقة الحال﴿ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: مثل خبير به أخبرك وهو الله فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين، والمراد به: تحقيق ما أخبر به عن حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم﴿ يا أيهَا النَّاسُ أنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ﴾ في أنفسكم وأحوالكم ﴿ واللَّهُ هُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ المستغني به على الإطلاق، المنعم على سائر الموجودات﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بقوم آخرين أطوع منكم ﴿ وما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمتعذر، أو متعسر﴿ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾ لا تحمل نفس آثمة وزر أخرى وأما قوله: (وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم)[٢] ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم، وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم﴿ وإِنْ تَدْعُ ﴾ نفس﴿ مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿ إِلى حِمْلِها﴾ إلى وزرها أحداً ليحمل بعضه﴿ لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ولَو كانَ﴾ المدعوّ ﴿ ذا قُرْبى﴾ قرابة﴿ إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ غائبين عن عذابه، أو عن الناس في خلواتهم﴿ وأَقامُوا الصَّلاةَ﴾ فهم المنتفعون بالإنذار﴿ ومَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر عن دنس المعاصي﴿ فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ إذ نفعه لها﴿ وإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازيهم على تزكيتهم.

[سورة فاطر الآيات ١٩ - ٣٠]

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٣.

يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾

﴿ وما يَسْتَوي الأعمى والبَصيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ ولا الظُّلماتُ ولا النُّورُ﴾ ولا الباطل ولا الحق ﴿ ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ﴾ ولا الثواب ولا العقاب، وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد، والحرور: من الحر غلب على السموم. القمي: (الظل) الناس و(الحرور) البهائم ﴿ وما يَسْتَوي الاحياءُ ولا الاموات﴾ تمثيل آخر للمؤمنين

والكافرين أبلغ من الأول، ولذلك كرّر الفعل، وقيل: للعلماء والجهلاء ﴿إِنَّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ﴾ ممن هو أهل اللطف فيوفقه لتدبّر آياته ﴿وما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ المصرّين على الكفر ﴿إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلاّ الإنذار، وأما الإسماع فلا ﴿إِنَّا أَرْسَلْناكَ﴾ متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ أو محقاً ﴿بَشِيراً﴾ لمن أطاعك ﴿وَنَذِيراً﴾ لمن عصاك ﴿وإِنْ﴾ وما ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أهل عصرٍ ﴿إِلاَّ خَلا﴾ مضى ﴿فِيها نَذِيرٌ﴾ نبي أو وصي ينذرها. القمي: لكل زمان إمام. وعن الباقر (ع): لم يمت محمد (ص) إلاّ وله بعيث نذير، فإن قيل: لا، فقد ضيّع رسول اللّه (ص) من في أصلاب الرجال من أمته، قيل: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلى، إن وجدوا له مفسراً، قيل: وما فسّره رسول اللّه (ص)؟ قال: بلى قد فسّره لرجل واحد، وفسّر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي (ع) ﴿وإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ المعجزات المصدّقة لهم ﴿وبِالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وبِالْكِتابِ الْمُنِيرِ﴾ كالتوراة والإنجيل، أو أريد بهما واحد، والعطف لاختلاف الوصفين ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري بتدميرهم وأثبت ورش الياء وصلاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا﴾ التفات إلى التكلم ﴿بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها﴾ أصنافها وهيآتها من حمر وصفر وغيرهما ﴿ومِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ﴾ جمع جدّه الخطة والطريقة أي: خطط وطرائق ﴿بِيضٌ وحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها﴾ بالشدة والضعف ﴿وغَرابِيبُ﴾ عطف على (جدد) أي: ومنها شديدة السواد لا خطط فيها وهي تأكيد لمضمر يفسره: ﴿سُودٌ﴾ إذ التأكيد متأخر عن المؤكد ﴿ومِنَ النّاسِ والدَّوابِّ والأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم بها كان أخشى، ولذا قال النبي (ص): إني أخشاكم للّه وأتقاكم له. وعن الصادق (ع):

يعني بالعلماء من صدّق قوله فعله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم. وفي الحديث: أعلمكم بالله. أخوفكم لله وتقديم المفعول للحصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل الوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه، غفور للتائب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يقرءون القرآن، أو يتبعونه بالعمل بما فيه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ المسنون والمفروض ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ لن تكسد ولن تهلك بالخسران، والتجارة تحصيل الثواب بالطاعة ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ على ما استحقوه. وعن النبي (ص): هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممّن صنع إليه معروفاً في الدنيا ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لسيئاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ لحسناتهم أي: مثيبهم عليها.

[سورة فاطر الآيات ٣١ - ٣٨]

وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا

يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

﴿والَّذي أوحَيْنا إلَيْكَ منَ الْكتاب﴾ جنسه. ومن تبعيضية، أو القرآن و(من) تبيّنية ﴿هُو الْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ حال مؤكدة أي: أحقه مصدقاً ﴿لما بَيْنَ يَدَيْه﴾ لما تقدمه من الكتب السماوية ﴿إنَّ اللَّهَ بعباده لَخَبيرٌ بَصيرٌ﴾ عالم بالبواطن والظواهر ﴿ثُمَّ أورَثْنا الْكتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا منْ عبادنا﴾ أي: العترة الطاهرة من أولاد علي وفاطمة (ع). وعبّر بالماضي لتحقق وقوعه ﴿فَمنْهُمْ ظالمٌ لنَفْسه﴾ لا يعرف إمام زمانه ﴿ومنْهُمْ مُقْتَصدٌ﴾ يعرف الإمام ﴿ومنْهُمْ سابقٌ بالْخَيْرات بإذْن اللَّه﴾ هو الإمام، كذا عنهم (ع) فعن الباقر (ع): هي في ولد علي وفاطمة (ع). وعنهم (ع): السابق بالخيرات: الإمام (ع) والمقتصد: العارف للإمام، والظالم لنفسه: الذي لا يعرف الإمام. ونحوه أخبار أخر، وفي بعضها: ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى ضلال، فقيل: أيّ شيء الظالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حق الإمام، والمقتصد: العارف بحق الإمام، والسابق بالخيرات: الإمام. وسئل الصادق (ع) عنها فقال: الظالم: يحوم حول نفسه والمقتصد: يحوم حول قلبه، والسابق: يحوم حول ربّه. وعن الباقر (ع): أما

الظالم لنفسه منا: فمن عمل عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأما المقتصد: فهو المتعبد المجتهد، وأما السابق بالخيرات: فعلي والحسن والحسين، ومن قتل من آل محمد شهيداً. ﴿ ذلكَ هُو الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى الإيراث، أو السبق ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها﴾ مبتدأ وخبر، والضمير للثلاثة، أو للأخيرين، أو جنسهما، أو للذين وبناه أبو عمرو للمفعول، وعن الصادق (ع): يعني: المقتصد والسابق، وعن النبي (ص) أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴿ يُحَلَّونَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾ عطف على ذهب أي: مكلل بلؤلؤ ونصبه نافع عطفاً على محل أساور ﴿ ولِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ وقالُوا الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ الهمّ للدّنيا والدين ﴿ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿ شَكُورٌ﴾ للمطيعين ﴿ الَّذي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ﴾ الإقامة ﴿ مِنْ فَضْلِه﴾ من إنعامه وتفضله بتكليفنا بما استوجبنا به ذلك ﴿ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ﴾ تعب ﴿ ولا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾ كلال، إذ لا تكليف فيها والقمي قال: النصب: العناء، واللغوب: الكسل والضجر، ودار المقامة: دار البقاء ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى﴾ لا يحكم ﴿ عَلَيْهِمْ﴾ بموت ﴿ فَيَمُوتُوا﴾ ويستريحوا ﴿ ولا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾ شيء ﴿ كَذلِكَ﴾ الجزاء ﴿ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ شديد الكفر، أو الكفران. وقرأ أبو عمرو بالياء وبناء المفعول ورفع (كل) ﴿ وهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها﴾ يستغيثون بصراخ أي: صياح قائلين ﴿ رَبَّنا أَخْرِجْنا﴾ منها ﴿ نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نحسبه صالحاً فقد تحقق لنا الآن خلافه فيقال لهم توبيخاً: ﴿ أَ ولَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ ما عمرا ﴿ يَتَذَكَّرُ فِيه مَنْ تَذَكَّرَ﴾ يعم كل عمر تمكن المكلف فيه من التذكر. عن الصادق (ع): توبيخ لابن ثماني عشرة سنة. وفي النهج: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وفي النبوي: مَن عمّره

الله ستين سنة فقد أعذر إليه ﴿ وجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرسول، أو الكتاب أو الشيب، أو العقل، أو موت الأهل ﴿ فَذُوقُوا فما لِلظَّالِمينَ مِنْ نَصيرٍ﴾ يدفع العقاب عنهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماوات والأرضِ﴾ لا تخفى عليه خافية فلا تخفى عليه أحوالهم ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ بمضمراتها فغيرها أولى بأن يعلمه.

[سورة فاطر الآيات ٣٩ -٤٥]

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

﴿هُوَالَّذي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ في الأرضِ﴾ جمع (خليف) أي: تخلفون من قبلكم بالتصرّف فيها، أو يخلف بعضكم بعضا ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال[1] كفره ﴿ولا يَزيدُ الكافرينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إلاّ مَقْتاً﴾ أشد البغض ﴿ولا يَزيدُ الكافرينَ كُفْرُهُمْ إلاّ خَساراً﴾ للآخرة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: أصنامكم التي أشركتموها بالله تعالى ﴿أَرُوني ما ذا خَلَقُوا مِنَ الأرضِ﴾ بدل اشتمال من (أرأيتم)، أي: أخبروني أيّ شيءٍ منها خلقوه؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿في السَّماواتِ﴾ في خلقها ﴿أَمْ آتَيْناهُمْ﴾ أي: الأصنام، أو المشركين ﴿كتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ﴾ حجّة. وقرأ نافع وابن عامر وأبوبكر والكسائي (بيّنات) ﴿مِنْهُ﴾ بأن جعلناهم شركاء ﴿بَلْ إنْ يَعِدُ الظّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾ الرؤساء ﴿بَعْضاً﴾ أي: الأتباع

---

(١) عاقبة.

﴿ إلاَّ غُرُوراً﴾ باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم﴿ إنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماوات والأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾ كراهة زوالهما، أو يمنعهما من الزوال﴿ ولَئِنْ زالَتا إِنْ ما أمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِه﴾ بعد اللّه، أو بعد زوالهما﴿ إِنَّهُ كانَ حَليماً﴾ لا يعاجل بالعقوبة ﴿ غَفُوراً﴾ للذنوب وفيه إشارة إلى أنهما جديران بالسقوط لولا الإمساك كما قال تعالى: (تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض)[1]﴿ وأَقْسَمُوا﴾ أي: قريش قبل بعث محمد (ص) حين سمعوا أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم﴿ باللّهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ﴾ غاية جهدهم فيها﴿ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذيرٌ لَيَكُونُنَّ أهْدى مِنْ إِحْدَى الاُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذيرٌ﴾ هومحمد (ص)﴿ ما زادَهُمْ﴾ النذير، أو مجيئه﴿ إلاَّ نُفُوراً﴾ تباعداً عن الحق﴿ اسْتِكْباراً فِي الأَرْضِ﴾ مفعول له، أو بدل من (نفوراً)﴿ ومَكْرَ السَّيِّئِ﴾ مصدر أضيف إلى صفة معموله أي: وأن مكروا المكر السيء، وسكن حمزة الهمزة وصلاً﴿ ولا يَحيقُ﴾ يحيط﴿ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِه﴾ وهو الماكر﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون﴿ إلاَّ سُنَّتَ الأَولينَ﴾ سنة اللّه فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْديلاً ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْويلاً﴾ فلا يبدّلوا بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه﴿ أَ ولَمْ يَسيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مما يشاهدونه من آثار إهلاكهم﴿ وكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وما كانَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ ليسبقه ويفوته ﴿ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماوات ولا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَليماً﴾ بكل شيء﴿ قَديراً﴾ على ما يشاء﴿ ولَو يُؤاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا﴾ من الذنوب﴿ ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها﴾ ظهر الأرض﴿ مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدبّ عليها بشؤم معاصيهم، أو لأن ما عدا الإنسان إنما خلق لأجله فإذا هلك الإنسان ذهب كل

---

(١) سورة مريم الآية ٩٠.

شيء﴿ ولكن يُؤَخِّرُهُمْ إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة﴿ فإذا جاءَ أجَلُهُمْ فإنَّ اللهَ كانَ بعبادِهِ بَصيراً﴾ فيجازيهم على أعمالهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة فاطر وتفسيرها.

سورة يس

اثنتان أو ثلاث وثمانون آية، مكية.

وقيل: إلاّ آية: (وإذا قيل لهم أنفقوا...)

[الآيات ١ -١٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ

وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

عن الباقر (ع) من قرأ سورة يـس في عمره مرّة واحدة كتب اللّه له بكل خلق في الدنيا وبكل خلق في الآخرة، وفي السماء بكل واحد ألفي ألف حسنة ومحا له مثل ذلك، ولم يصبه فقر ولا غرم ولا هدم ولا نصب ولا جنون ولا جذام ولا وسواس ولا داء يضرّه، وخفّف اللّه عنه سكرات الموت وأهواله، وتولى قبض روحه، وكان ممن يضمن اللّه له السعة في معيشته والفرح عند لقائه... الخبر﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يـس﴾ قيل معناه: يا إنسان، وقيل: يا سيّد، وعن أهل البيت (ع): هو اسم للنبي (ص). وعن الباقر(ع): إن للنبي (ص) خمسة أسماء في القرآن: (محمد) و(أحمد) و(عبد اللّه) و(يس) و(نون)﴿ والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم، أو الجامع للحكم، (الواو) للقسم، أو عاطفة إن كان (يـس) مقسماً به﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أرسلوا ﴿ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو التوحيد، وعن الصادق (ع): الطريق الواضح﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ خبر محذوف ونصبه حفص وعامر وحمزة والكسائي بتقدير: أعني ﴿ لِتُنْذِرَ قَوماً﴾ متعلق بـ(تنزيل)﴿ ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ﴾ لم ينذرهم في الفترة رسول بشريعة وإن كان فيها أوصياء لعيسى لامتناع الخلومن الحجة، أو الذي، أو شيئاً أنذر به آباؤهم، فـ(ما) مفعول ثان لـ(تنذر)، أو إنذار آبائهم فهي مصدرية﴿ فَهُمْ غافِلُونَ﴾ ولذلك أرسلناك إليهم لتنذرهم، وعن الصادق (ع): لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أنذر آباؤهم فهم غافلون عن اللّه وعن رسوله وعن وعيده﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَولُ عَلى أَكْثَرِهِمْ﴾ قال: ممّن لا يقرّون بولاية علي والأئمة (ع)﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ قال بإمامة أمير المؤمنين والأوصياء من بعده﴿ إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً﴾ مثلوا في تصميمهم

على الكفر وإعراضهم عن الإيمان بمن غلّت أعناقهم﴿ فَهِيَ﴾ أي: فالأيدي المدلول عليها بالغل مجموعة﴿ إِلَى الاذْقانِ﴾ جمع (ذقن) وهو مجمع اللحيين أو فالأغلال واصلة إلى أذقانهم لغلظها﴿ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ مرفوعة رؤوسهم لا يستطيعون خفضها ﴿ وجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أيديهِمْ سَدًّا ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ وفتحه حفص وحمزة والكسائي فيهما﴿ فَأغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ ومثلوا في تعاميهم عن الدلائل الواضحة بمن منعهم سدّان أن يبصروا قدامهم وخلفهم، وعن الباقر (ع): يقول فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى، أخذ الله بسمعهم وأبصارهم وقلوبهم فأعماهم عن الهدى. وعن الصادق (ع) قال: هذا في الدنيا وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون. القمي: نزلت في أبي جهل بن هشام ونفر من أهل بيته، وذلك أن النبي (ص) قام يصلي وقد حلف أبو جهل لئن رآه يصلي ليدمغنه[1] فجاءه ومعه حجر، والنبي (ص) قائم يصلي فجعل كلما رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه ولا يدور الحجر، فلما رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده، ثم قام رجل آخر وهو من رهطه أيضاً فقال: أنا أقتله فلما دنا منه فجعل يسمع قراءة رسول الله (ص) فأرعب فرجع إلى أصحابه فقال: حال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه فخفت أن أتقدم﴿ وسَواءٌ عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ فهم لا يُؤْمِنُونَ﴾ مرّ في البقرة ﴿ إِنَّما تُنْذِرُ﴾ ينفع إنذارك﴿ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن تدبّره وعمل به. وروي أنه علي (ع)﴿ وخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ﴾ خافه فيما غاب عنه من أمر الآخرة فإنه مع رحمته شديد العقاب﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وأجْرٍ كَرِيمٍ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوتى﴾ للبعث ﴿ ونَكْتُبُ ما قَدَّمُوا﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة

---

(١) يدمغنه: يضربه بحجرٍ حتى يشج رأسه أي: يحدث فيه جرحاً.

﴿وآثارَهُمْ﴾ كعلم علّموه وخطوة مشوا بها إلى المساجد، وكإشاعة باطل وتأسيس ظلم﴿وكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب بفعل يفسّره: ﴿أحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، أو علي (ع).

[سورة يس الآيات١٣ -٢٧]

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ

فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿ واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية، بحذف مضاف أي: مثلهم وهما مفعولا (اضرب) بتضمينه معنى: اجعل﴿ إِذْ جاءَهَا ﴾ بدل اشتمال من (أصحاب) ﴿ الْمُرْسَلُونَ﴾ رسل الله، أو عيسى بأمر الله﴿ إِذْ أَرْسَلْنا﴾ بدل من (إذ) الأولى، وأسنده إلى نفسه لأنه بأمره﴿ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ قيل: هما صادق ومصدّق، أو غيرهما، ولما قربا من مدينتهم وكانوا عبدة أصنام رأيا حبيب النجار، فسألهما فأخبراه فقال: ما آيتكما؟ قالا: نبرئ المريض والأكمه والأبرص، وكان ابنه مريضاً، فمسحاه فآمن حبيب، وفشى الخبر، وشفيا خلقاً كثيراً، وبلغ خبرهما الملك وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: من أوجدك وآلهتك، فحبسهما﴿ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا﴾ قوّينا، وخففه أبو بكر من (عزه) غلبه، وحذف مفعوله للعلم به ولأن الغرض ذكر بثالث هو شمعون، فدخل متنكراً وعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به، فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت قوليهما؟ قال: لا، فدعاهما فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء ولا شريك له، قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بغلام مطموس فدعوا الله فانقشع موضع بصره فوضعا فيه نبقتين فصارتا مقلتين يبصر بهما، فقال له شمعون: لوسألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا فنغلبهما قال: لا أخفي عليك إنها لا تضرّ ولا تنفع، ثم اقترح عليهما إحياء ابنه فأحياه فقال: رأيت رجلين ساجدين يسألان الله أن يحييني، قال: أتعرفهما؟ قال: هذان، يشير إليهما، فآمن الملك وجمع وكفر آخرون، وعن الباقر (ع) نحوه ﴿ فَقالُوا﴾ أي: الرسل للكفرة﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ أتوا بالجملة مؤكدة مقابل

إنكارهم وتشكيكهم ﴿ قالُوا ما أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا ﴾ لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدّعون ﴿ وما أَنزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وحي ورسالة ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴾ في دعوى الرسالة ﴿ قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ زيد تأكيداً على ما قبله بما يجري مجرى القسم، واللاّم لزيادة إنكارهم ﴿ وما عَلَيْنا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ البيّن بالحجج الواضحة ﴿ قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا ﴾ تشائمنا ﴿ بِكُمْ ﴾ إذ ادعيتم كذباً وحلفتم عليه. والقمي: تطيرنا بأسمائكم ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ قالُوا طائِرُكُمْ ﴾ شؤمكم ﴿ مَعَكُمْ ﴾ بكفركم ﴿ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ ﴾ ووعظتم، وجواب (إن) مقدر كتطيرتم، وسهّل الحرميّان وأبوعمرو ثانية الهمزتين ومدّ هشام بينهما ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ متجاوزون الحدّ في الكفر فمن ثم أتاكم الشؤم ﴿ وجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى ﴾ يعدو، وهو حبيب النّجار لما سمع بتكذيب قومه للرسل وكان قد آمن بهم حين وردوا، وآمن بمحمد (ص) قبل مجيئه، وعنه (ص): تساق الأمم إلاّ ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب (ع)، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون ﴿ قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا ﴾ تأكيداً للأول بوصف يوجب اتباعهم وهو: ﴿ مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً ﴾ على النصح ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ إلى الحق، فقيل له: أنت تتبعهم، فقال: ﴿ وما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه، وإمحاض النصح[١] حيث أراد لهم ما أراد لنفسه، والمراد: تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره، ولذا قال: ﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ مبالغة في التهديد، ثم عاد إلى المساق الأول فقال: ﴿ أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً ولا يُنْقِذُونِ ﴾ بالنصر والمظاهرة ﴿ إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ

---

(١) امحاض النصح: جعله محضاً خالصاً من دون أية دوافع او مصالح.

مُبِينٍ﴾ بيّن لا يخفى على عاقل﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الذي خلقكم، وهو خطاب للرسل بعد ما أراد القوم أن يقتلوه﴿ فَاسْمَعُونِ﴾ فاسمعوا إيماني، أو قولي، فوثب عليه قومه فقتلوه، ثم كأنه قيل: كيف كان حاله عند ربه؟ فقيل: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وذلك بعد موته، أو قبله بشّره الرسل به، أو حين همّوا بقتله فرفع إلى الجنة حيّاً وحذف المفعول له للعلم به، ولأن الغرض ذكر المقول، ثم كأنه قيل: فما قال في الجنة؟ فقيل:﴿ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه، أو بالذي غفره، أو بأيّ شيء غفره يعني: المصابرة في نصرة الدين﴿ وجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ تمنى علمهم بحاله ليرغبوا في مثله فيتوبوا، أو ليتنبهوا على خطأهم في أمره وصواب رأيه وروي أنه نصح قومه حيّاً وميتاً.

[سورة يس الآيات٢٨ -٤٠]

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ

وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿ وما أنزَلْنا عَلى قَومِهِ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد موته، أو رفعه ﴿ مِنْ جُنْدٍ منَ السَّماء ﴾ ملائكة لإهلاكهم كما أنزلناهم لنصرك، وفيه تعظيم للنبي (ص) ﴿ وما كُنَّا مُنْزِلينَ ﴾ وما صحّ في حكمنا أن ننزلهم إذ قدّرنا لكل شيء سبباً، وجعلنا ذلك سبباً لانتصارك من قومك. وقيل: (ما) موصولة معطوفة على (جند) أي: وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة ﴿ إنْ ما كانَتْ الأخذة إلاّ صَيْحَةً واحدَةً ﴾ صاح بها جبرئيل (ع) ﴿ فَإذا هُمْ خامِدُونَ ﴾ ميتون كأنهم كانوا ناراً فصاروا رماداً ﴿ يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ﴾ تعالي فهذا أوانك، وعن السجّاد (ع): (يا حسرة العباد) على الإضافة إليهم لاختصاصهم بهم من حيث أنها موجهة إليهم ﴿ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴾ بيان أنهم أحقاء بأن تتحسر عليهم الملائكة والثقلان بسبب استهزائهم الموجب لإهلاكهم ﴿ أَلَمْ يَرَوا ﴾ ألم يعلم أهل مكة ﴿ كَمْ ﴾ خبرية، معلّقة (يروا) مفعول ﴿ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ ﴾ كثيراً ﴿ مِنَ القُرُونِ ﴾ الأمم ﴿ أَنَّهُمْ إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ بدل من (كم أهلكنا) على معنى: ألم يروا الأمم الكثيرة المهلكة قبلهم كونهم غير راجعين

إليهم﴿ وإنْ كُلٌّ لَمَّا﴾ (إن) المخففة، واللاّم فارقة، و(ما) زائدة، وشدّد (لما) عاصم وابن عامر وحمزة بمعنى: إلاّ، و(إن) نافية﴿ جَمِيعٌ﴾ خبر كل أي: مجموع﴿ لَدَيْنا﴾ ظرفه، أو ظرف ﴿ مُحْضَرُونَ﴾ للحساب خبر ثان﴿ وآيةٌ لَهُمُ﴾ على البعث خبر مقدّم، أو مبتدأ خبره: ﴿ الأرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ وشدّدها نافع﴿ أَحْيَيْناها﴾ صفة الأرض لأنها غير معينة، أو خبرها والجملة، خبرية أو استئناف يوضح كونها آية﴿ وأَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا﴾ جنسه﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قدم الجار إيذاناً بأنه معظم القوت﴿ وجَعَلْنا فيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنابٍ﴾ من أنواعهما وخصّا بالذكر لكثرة منافعهما، وذكر النخيل دون التمر لما في النخلة من الإمتياز والمنافع[1]﴿ وفَجَّرْنا فيها مِنَ الْعُيُونِ﴾ بعضها﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ثمر المذكور من الجنات، أو (الهاء) للّه التفات يفيد أنه بخلقه، وقرأ حمزة والكسائي بضمتين لغة فيه، أو جمع ثمار﴿ وما عَمِلَتْهُ أيدِيهِمْ﴾ منه كالدقيق ونحوه، أو ولم تعمله أيديهم وإنما هو بخلق اللّه. وحذف الهاء أبو بكر وحمزة والكسائي ﴿ أَ فَلا يَشْكُرُونَ﴾ إنكار لترك الشكر أي: فليشكروا نعمه﴿ سُبْحانَ الَّذي خَلَقَ الأزْواجَ﴾ الأصناف﴿ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ﴾ من أزواج النبات﴿ ومِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث﴿ ومِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ من أزواج لم يروها ولم يسمعوا بها ﴿ وآيةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ﴾ نزيل ونفصل عن مكانه﴿ النَّهارَ﴾ مستعار من سلخ الشاة﴿ فَإذا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام﴿ والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها﴾ لمنتهى دورها كمستقر المسافر يقطع مسيره، أو لمنتهى مشارقها ومغاربها كل يوم من السنة وهي ثلاثمائة وستون مشرقاً ومغرباً، أو لوسط السماء فإنها قبة ترى كالواقفة،

---

(١) قرأت في بعض الكتب المختصة أن النخلة هي الشجرة الوحيدة التي ينتفع بجميع أجزاءها من سعف وليف وساق وغير ذلك بالإضافة الى التمر طبعاً.

أو لمنقطع جريها وهو يوم القيامة ﴿ ذلكَ ﴾ الجري ﴿ تَقْديرُ الْعَزيزِ ﴾ في ملكه ﴿ الْعَليمِ ﴾ بخلقه ﴿ والْقَمَرَ ﴾ ونصبه الكوفيون وابن عامر بفعل يفسره: ﴿ قَدَّرْناهُ ﴾ من حيث سيره ﴿ مَنازِلَ ﴾ ثمانية وعشرين ينزل كل ليلة منزلاً منها حتى يتم الدور في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ﴿ حَتّى عادَ ﴾ في آخر منازله للرائي ﴿ كَالْعُرْجُونِ الْقَديمِ ﴾ كالعذق العتيق في الدقة والتقوس والاصفرار، وفي جملة من الروايات: ما كان لستة أشهر. وهو فعلون من الإنعراج ثم يخفى ليلة، أو ليلتين ثم يبدو هلالاً ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغي ﴾ يتأتى ﴿ لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ في سرعة مسيره لا خلال ذلك بالنظام ﴿ وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ ﴾ لا يدخل في وقته بل يتعاقبان. عن الباقر (ع) يقول: الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل، ولا يسبق الليل النهار يقول: لا يذهب الليل حتى يدركه النهار ﴿ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يقول: يجيء إدراك الفلك على الاستدارة، قيل: يعني: يجيء تابعاً لسير الفلك على الإستدارة، وعن الصادق (ع): خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء، وخلق النور قبل الظلمة. وسئل الرضا (ع): عن الليل والنهار أيهما خلق قبل؟ فقال: أما من الحساب فإن طالع الدنيا السرطان والكواكب في شرقها، فالشمس في الحمل في العاشر من الطالع وسط السماء، فالنهار قبل الليل، وأما من القرآن فـ(ولا الليل سابق النهار) أي: قد سبقه النهار ﴿ وكُلٌّ ﴾ من الشمس والقمر والنجوم، وتنوينه عوض عن المضاف إليه ﴿ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1] يسيرون، نزلت منزلة من يعقل، أو لها أنفس تعقل.

---

(١) كان العلم الحديث يعتقد إلى زمن قريب ان المجرات التي تحتوي الكواكب ثابتة والكواكب تتحرك بداخلها. حتى أرسلوا مركباتهم الفضائية الى أماكن بعيدة في الكون الفسيح فاكتشفوا ان المجرات الكبيرة أيضاً تتحرك وليست ثابتة. فانظر الى عظمة القرآن الكريم وهو يقول وقبل ١٤ قرناً: (وكل في فلك يسبحون).

[سورة يس الآيات ٤١-٥٤]

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن
مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ
﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ
رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى
ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ
بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾
إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿ وآيةٌ لَهُمْ أنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وجمعها نافع وابن عامر، أي: صبيانهم ونساءهم إذ يقال لهن ذرية لأنهن مزارعها، وتخصيصهم لاهتمامهم بأمرهم ﴿ في الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾ المملوّ، أو أريد آباؤهم وهم في أصلابهم في سفينة نوح ﴿ وخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ مثل الفلك ﴿ ما يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل فإنها سفن البر، أو من السفن الصغار والكبار المعمولة بتعليمنا ﴿ وإِنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿ لَهُمْ ولا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾ يخلصون من الغرق ﴿ إلاَّ رَحْمَةً مِنَّا ومَتاعاً﴾ أي: لا يخلصهم إلاّ رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم ﴿ إِلى حِينٍ﴾ آجالهم ﴿ وإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أيدِيكُمْ وما خَلْفَكُمْ﴾ وقائع الأمم الماضية، وأمر الساعة، وما تقدم من ذنوبكم وما تأخّر، أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، أو عكسه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله، وجواب (إذا) (أعرضوا) بدلالة: ﴿ وما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إلاَّ كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها ﴿ وإِذا قِيلَ لَهُمْ أنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ على محاويجكم ﴿ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أنُطْعِمُ مَنْ لَوْيَشاءُ اللَّهُ أطْعَمَهُ﴾ إما تهكم بهم من إقرارهم بالله وتعليقهم الأمور بمشيئة الله، وإما إيهام بأن الله لما كان قادراً أن يطعمهم فلم يطعمهم فنحن أحق بذلك، وهذا من فرط جهالتهم فإن اللّه يطعم بأسباب منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم لهم ﴿ إِنْ أنْتُمْ إلاَّ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ إذ أمرتمونا بما ينافي معتقدكم ﴿ ويَقُولُونَ مَتى هذَا الوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ فيه فأجابهم الله ما ﴿ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿ إلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى ﴿ تَأْخُذُهُمْ وهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يختصمون في أمورهم ومعاملاتهم في غفلة عنها سكنت التاء وأدغمت وكسرت الخاء للساكنين، وفتح ابن كثير و ورش الخاء بنقل حركة التاء إليه واختلسها أبوعمرو، وسكن قالون الخاء وإن التقى ساكنان، وسكنه حمزة مع تخفيف الصاد من أخصمه: أفحمه ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ بشيء

﴿ ولا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ القمي قال: ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون، فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع أحد إلى منزله ولا يوصي بوصية. وفي الخبر: تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتى تقوم الساعة، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم، والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم ﴿ ونُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: نفخة ثانية كما يأتي -إن شاء اللّه تعالى -في سورة الزمر﴿ فَإذا هُمْ مِنَ الاجْداثِ﴾ من القبور﴿ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون﴿ قالُوا يا وِيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾ وعن علي (ع) إنه قرأ(مِنْ بَعْثِنا) على من الجارة والمصدر﴿ هذا ما وعَدَ الرَّحْمنُ وصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (ما) مصدرية، أو موصولة حذف عائدها، أو (هذا) صفة (مرقدنا) و(ما وعد) خبر محذوف، أو مبتدأ حذف خبره أي: ما وعد حق، وهو من قولهم، أو قول الملائكة، أو المؤمنين تقريعاً لهم بأنه ليس بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث بل هو البعث الأكبر الذي وعدتموه. عن الباقر (ع): فإنّ القوم كانوا في القبور فلمّا قاموا حسبوا أنهم كانوا نياماً، قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، قالت الملائكة: هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون﴿ إِنْ كانَتْ إِلاّ صَيْحَةً واحِدَةً﴾ في النفخة الأخيرة﴿ فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرد الصيحة، وفي ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغنائه عن الأسباب التي ينوط بها فيما يشاهدونه، وعن أبي ذر أنه كان يقول وما بين الموت والبعث إلاّ كنومة نمتها ثم استيقظت منها﴿ فَالْيَومَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ولا تُجْزَونَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء عملكم.

[سورة يس الآيات ٥٥ – ٧٠]

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿ إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾ متلذذون في النعمة. وإبهامه لتعظيم ما هم فيه. القمي قال: في افتضاض العذارى فاكهون، قال يفاكهون النساء ويلاعبونهن. وعن الصادق (ع): شغلوا بافتضاض العذارى، قال: وحواجبهن كالأهلة وأشفار أعينهن كقوادم النسور﴿ هُمْ وَأَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ﴾ لا تصيبهم الشمس. جمع (ظل) أو (ظلة) كظلل في قراءة حمزة والكسائي وهو مبتدأ وخبر﴿ عَلَى الارائِكِ﴾ السرر المزينة﴿ مُتَّكِؤُنَ﴾ عن الباقر (ع) قال: الأرائك السرر عليها الحجال. وعن النبي (ص): إذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً﴿ لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ﴾ افتعال من الدعاء، أو يتداعونه، أو يتمنونه، وقيل: ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ يقال لهم قولاً كافياً من جهته يعني: أن الله يسلّم عليهم. القمي قال: السلام منه هو الأمان﴿ وَامْتازُوا الْيَوْمَ أَيهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ انفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بالمؤمنين إلى الجنة كقوله: ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يتفرقون﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ﴾ آمركم على ألسنة رسلي﴿ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ﴾ أي: لا تطيعوه وعن الصادق (ع): من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده. وعن الباقر (ع): من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يروي عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق يروي عن الشيطان فقد عبد الشيطان.﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّمُبِينٌ﴾ بيّن العداوة﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ وحدي﴿ هذا﴾ أي: ما عهدت إليكم، أو عبادتي﴿ صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ نكّر للتعظيم﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ﴾ وضم يعقوب أوليه، وكذا ابن كثير وحمزة والكسائي لكن خفّفوا لامه ومثلهما ابن عامر وأبو عمرو لكن سكّنا الباء لغات، أي: خلقاً﴿ كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عدوته وإضلاله ﴿ هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ذوقوا حرّها اليوم بكفركم في الدنيا﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ﴾ نمنعها عن الكلام﴿ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ

وتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بإنطاق الله إياها، أو بظهور أمارات الذنوب عليها، عن الباقر (ع): ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقّت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله: (فأما من أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً)[1] ﴿ ولَونَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناهم طمساً ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ﴾ إلى الطريق الذي اعتادوا، فهو منصوب بنزع الخافض، أو بتضمين (استبقوا) معنى: ابتدروا ﴿ فَأَنّى﴾ فكيف ﴿ يُبْصِرُونَ﴾ أي: لا يبصرون ﴿ ولَو نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿ عَلى مَكانَتِهِمْ﴾ مكانهم لا يبرحونه، وقرأ أبو بكر مكاناتهم ﴿ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا ولا يَرْجِعُونَ﴾ أي: فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء، أي: هم أحقاء بذلك لكن أمهلناهم لحكمة ﴿ ومَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطل عمره ﴿ نُنَكِّسْهُ﴾ نقلبه، من (النكس) وشدّده عاصم وحمزة من (التنكيس) ﴿ فِي الْخَلْقِ﴾ بانتقاص بنيته وضعف قوته ﴿ أ فلا يَعْقِلونَ﴾ أن من قدر على ذلك قادر على البعث. وقرأ نافع وابن ذكوان بالتاء ﴿ وما عَلَّمْناهُ﴾ أي: النبي (ص) ﴿ الشِّعْرَ﴾ بتعليم القرآن المباين له أسلوباً ومعنى، ردّ لقولهم: أنه شاعر ﴿ وما يَنْبَغِي﴾ يتأتى ﴿ لَهُ﴾ وقوله: (أنا النبي لا كذب) (أنا ابن عبد المطّلب) اتفاقاً بلا قصد إلى وزن، أو أن مشطور الرجز ليس شعراً، مع ما روي من تحريكه الباءين وقيل: الهاء للقرآن أي: وما يصح له أن يكون شعراً وقيل: المراد بالشعر ما يتوخّاه الشعراء من التخييلات المرغبة والمنفّرة ونحوها مما لا حقيقة له ولا أصل، وإنما هو تمويه محض موزوناً كان أو غير موزون ﴿ إِنْ هُو إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿ وقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ للأحكام والدلائل، أو بين بإعجازه أنه كلام الله، أو كتاب سماوي يتلى في المعابد ﴿ لِيُنْذِرَ﴾

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧١. ولكن بداية الآية هكذا: (فمن أوتي ...) وليس (فأما من أوتي).

القرآن، أو النبي، لقراءة نافع وابن عامر بالتاء﴿ مَنْ كانَ حَيًّا﴾ عن علي (ع) أي: عاقلاً. والقمي: يعني مؤمناً في القلب﴿ ويَحِقَّ القَولُ﴾ بالعذاب﴿ عَلَى الكافِرِينَ﴾ المصرّين على الكفر.

[سورة يس الآيات ٧١ -٨٣]

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ

ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿ أ ولَمْ يَرَوا﴾ استفهام تقرير دخل على واو العطف﴿ أنّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمّا عَمِلَتْ أيدينا﴾ مما تفردنا بإحداثه أستعير عمل الأيدي للتفرد بالعمل﴿ أنعاماً﴾ إبلاً وبقراً وغنماً﴿ فَهُمْ لَها مالِكُونَ﴾ متملكون، أو ضابطون قاهرون﴿ وذَلَّلْناها لَهُمْ﴾ فصيرناها منقادة لهم فإن الإبل مع قوتها وعظمها يسوقها الطفل﴿ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿ ومِنْها يَأْكُلُونَ﴾ أي: ما يأكلون لحمه﴿ ولَهُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ كالجلود والأوصاف[1] والأوبار[2]﴿ ومَشارِبُ﴾ من ألبانها﴿ أ فَلا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله في ذلك﴿ واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أشركوها به في العبادة فوضعوا الشرك موضع الشكر﴿ لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ رجاء أن يعضدوهم، أو يمنعوهم من العذاب والأمر بخلاف ذلك إذ ﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وهُمْ لَهُمْ﴾ لآلهتهم﴿ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ معدّون لحفظهم وخدمتهم، أو محضرون معهم في النار، وعن الباقر (ع) يقول: لا تستطيع الآلهة لهم نصراً وهم للآلهة جند محضرون﴿ فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ في الله بالشرك والإلحاد، أو فيك بالتكذيب والتهجين﴿ إِنّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم عليه وكفى بذلك تسليةً لك﴿ أ ولَمْ يَرَ﴾ يعلم﴿ الإِنْسانُ﴾ المنكر للبعث﴿ أنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ثم نقلناه حالاً فحالاً حتى أكملنا عقله﴿ فَإِذا هُوَ﴾ بعد ما كان ماء مهيناً﴿ خَصِيمٌ﴾ قادر على المخاصمة﴿ مُبِينٌ﴾ معرب عمّا في نفسه، ومَن قَدر على ذلك كيف لا يقدر

---

(١) الظاهر انها (الأصواف) وهي شعر الأغنام.

(٢) الأوبار: شعر الإبل.

على إعادته؟ وهي أهون من ابتدائه، أو فإذا هو شديد الخصومة في نفي البعث مبيّن لها. والقمي: أي: ناطق عالم بليغ ﴿وضَرَبَ لَنا مَثَلاً﴾ أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على إحياء الموتى، أو وصفه بالعجز الذي هو صفة المخلوق ﴿ونَسِيَ خَلْقَهُ﴾ خلقنا إياه من النطفة ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وهِيَ رَمِيمٌ﴾ بالية. ولم يؤنث لأنه (فعيل) بمعنى: مفعول، أو (فعول) بمعنى: فاعل وصار اسماً بالغلبة، قيل: أتى ابن أبي خلف النبي (ص) بعظم بال يفتّه بيده ويقول: أترى الله يحيي هذا بعد ما رم؟ فقال: نعم، ويبعثك ويدخلك جهنّم. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أنْشَأَها أولَ مَرَّةٍ﴾ مَن قَدرَ على إنشائها ابتداء فعلى إعادتها أقدر ﴿وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ أي: مخلوق ﴿عَليمٌ﴾ فيعلم تفاصيله وأجزاءه المتفرقة في البقاع والسباع فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل والمأكول ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الاخْضَرِ ناراً﴾ المرخ والعفار[1] أو كل شجر إلاّ العنّاب بأن يحك بعضه ببعض غضين رطبين فتقدح النار. وقيل بأن يسحق المرخ على العفار، وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار. والقمي: هو المرخ والعفار يكون في ناحية من بلاد العرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثم أخذوا عوداً فحركوه فيه فيستوقدون منه النّار ﴿فَإِذا أنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ لا يشكون في أنها نار تخرج منه ﴿أَ ولَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّماوات والأرْضَ﴾ مع كبر جرميهما وعظم شأنهما ﴿بِقادِرٍ عَلى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في الصغر والحقارة، أي: يعيدهم، استفهام تقرير ثم أجاب نفسه: ﴿بَلى﴾ هو قادر على ذلك ﴿وهُوَ الْخَلّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَليمُ﴾ بكل شيء ﴿إِنَّما أمْرُهُ﴾ شأنه ﴿إذا أرادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

---

(١) المَرخُ والعَفَار: المرخ: شجر له ورق ولا شوك، سريع الوَرْي يُقْتَدح به. وأما العفار: فهو شجيرة لها ثمر لُبيّ أحمر. ويتخذ منها الزناد فيسرع الوَرْي. وفي الأمثال العربية: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار».

تكون فيتكون والمراد أن إيجاده لا يتوقف إلاّ على تعلق إرادته بالمقدور، فعبّر عنه بذلك تمثيلاً لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في امتثاله بلا توقف. ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على (يقول) وعن الرضا (ع): كن منه صنع وما يكون به المصنوع. والقمي قال: خزائنه في الكاف والنون ﴿فَسُبْحانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: ملكه بقدرته عليه، زيدت الواو والتاء للمبالغة تنزيه له عمّا نسبوا إليه ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازي كُلاً بعمله. وفتح يعقوب الياء.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة يس وتفسيرها.

سورة الصّافّات

مائة وإحدى أو اثنتان وثمانون آية، مكية.

[الآيات ١ -٢٤]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَـٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا

خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

عن الصادق (ع): من قرأها في كل يوم جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة وعاهة، مدفوعاً عنه كل بلية في الحياة الدنيا، مرزوقاً في الدنيا في أوسع ما يكون من الرزق، ولم يصبه الله في ماله وولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا من جبّار عنيد، وإن مات في يومه أو ليلته بعثه الله شهيداً وأماته شهيداً وأدخله الجنة مع الشهداء في درجته من الجنة. وعن الكاظم (ع): إنها لم تقرأ عند مكروب من موت قط إلا عجّل الله براحته. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ والصَّافَّات صَفًّا﴾ القمي قال: الملائكة والأنبياء ومن صف لله وعبده ﴿فَالزَّاجِرات زَجْراً﴾ قال: الذين يزجرون الناس. أقول: أي: عن المعاصي، أو والزاجرين السحاب يسوقونه ﴿فَالتَّاليات ذِكْراً﴾ قال: الذين يقرءون الكتاب من الناس، فهو قسم وجوابه: ﴿إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ﴾ معقباً

بدليله﴿ رَبُّ السَّماوات والأرضِ وما بَيْنَهُما ورَبُّ الْمَشارِقِ﴾ مشارق الكواكب ومشارق الشمس[١]، فان لها كل يوم مشرقاً، ولم يذكر المغارب لدلالتها عليها مع ان الشروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النعمة﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا﴾ القربى منكم ﴿ بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ﴾ بضوئها، أو بها، والإضافة للبيان كقراءة حفص وحمزة بتنوين (بزينة) وجرّ (الكواكب) بدلاً منها ونصبها أبو بكر أي: بأن زيّنا الكواكب فيها، ولا ينافي زينتها بها كون ما عدا القمر فيما فوقها إن صح ذلك﴿ وحِفْظاً﴾ نصب بتقدير فعله، أو عطف على علة دلّ عليها ما قبله أي: خلقنا الكواكب زينةً وحفظاً ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ﴾ خارج من الطاعة برمي الشهب. القمي قال: المارد الخبيث ﴿ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأعْلى﴾ الملائكة وأشرافهم. جملة مبتدأة لبيان حالهم بعد الحفظ، لا صفة كل شيطان إذ لا حفظ ممن لا يسمع و(لا) علّة للحفظ على حذف اللاّم وعدّي بـ(إلى) لتضمنه معنى الإصغاء، وشدّده حفص وحمزة والكسائي من (التسمع) تطلب السماع﴿ ويُقْذَفُونَ﴾ يرمون القمي: يعني الكواكب التي يرمون بها ﴿ مِنْ كُلِّ جانِبٍ﴾ من جوانب السماء إذا قصدوا صعودها﴿ دُحُوراً﴾ طرداً مصدر أو علة أي: للدحور، أو حال أي: مدحورين﴿ ولَهُمْ﴾ في الآخرة﴿ عَذابٌ واصِبٌ﴾ دائم عن الباقر (ع) أي: دائم. موجع قد وصل إلى قلوبهم﴿ إِلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ استثناء من واو (يستمعون) أي: اختلس خلسة من كلام الملائكة بسرعة﴿ فَأَتْبَعَهُ﴾ فتبعه﴿ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه. القمي:هو ما يرمون به

---

(١) يذهب بعضهم إلى أن هذه الآية تشير إلى تجدد الشروق والغروب في كل آنٍ باعتبار كروية الأرض ولذلك تعددت المشارق والمغارب. وبهذا يكون القرآن الكريم أشار إلى كروية الأرض قبل أن يكتشفها العلم الحديث راجع (البيان) للسيد ابوالقاسم الخوئي (ره) في بحث (إعجاز القرآن).

فيحرقون، قيل: ولا ينافيه ما قيل إنه بخار يصعد إلى كرة النار فيشتعل إن صح، إذ لم يدل على انقضاضه من الفلك وكذا (إنا زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً)[1] إذ كل مشتعل في الجو مصباح وزينة للسماء، ولا يستبعد صيرورة ذلك البخار رجماً لشيطان يسترق السمع وليس الشيطان ناراً صرفة، فإحراقه بالنار التي هي أقوى من ناريته ممكن ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل قومك محاجة ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا﴾ من الملائكة والسماوات والأرض وما فيهما، و(مَن) لتغليب العقلاء، وقيل: أريد من قبلهم من الأمم، ورجح الأول بتعقب ذكرهن بالفاء وإطلاق (خلقنا) ﴿إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ القمي: يعني يلزق باليد أبدلت الميم ياء فانه يفيد أنهم أضعف منها لا ممن قبلهم، ولأن الغرض إثبات المعاد بأن من قدر على الأشدّ فهو على الأضعف أقدر، وهم ومن قبلهم سواء في أمر المعاد ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من قدرة الله وإنكارهم البعث ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من تعجبك، وضم حمزة والكسائي التاء أي: قل يا محمد (ص) بل عجبت، أو أريد بالعجب الاستعظام اللازم فانه روعة يعتري الشخص إذا استعظم شيئاً أي: بلغ من كمال قدرتي اني استعظمها وهؤلاء بعنادهم يسخرون منها ﴿وَإِذا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا بشيء ﴿لا يَذْكُرُونَ﴾ لا يتعظون ﴿وَإِذا رَأَوْا آيَةً﴾ معجزة تدل على صدق القائل به ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية ويقولون إنه سحر، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ﴿وَقالُوا إِنْ هذا﴾ يعني: ما يرونه ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر سحريته ﴿أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بالغوا في إنكار البعث بتبديل الفعلية وهي: أنبعث إذا متنا بالإسمية وتقديم (إذا) وفي تكرير الهمزة في الاستفهامين اختلاف للقراء مرّ ذكره

---

(١) سورة الملك الآية ٥. ولكن بداية الآية الكريمة هي: (ولقد زيّنا ...) وليس: (انا زينا...).

في الرعد﴿ أوآباؤنا الأولون﴾ عطف على محل اسم (إن) أو على ضمير مبعوثون للفصل بهمزة الاستفهام للإستبعاد لقدمهم وسكن الواو قالون وابن عامر للترديد ﴿ قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون وكسره الكسائي ﴿ وأنتم داخرون﴾ صاغرون وإذا كان ذلك ﴿ فإنما هيَ﴾ أي: البعثة، أو مبهم يفسره: ﴿ زَجْرَةٌ﴾ صيحة﴿ واحدَةٌ﴾ هي نفخة البعث﴿ فإذا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أحياء يبصرون، أو ينتظرون ما يفعل بهم﴿ قالُوا يا ويْلَنا هذا يَومُ الدِّينِ﴾ يوم الحساب والمجازاة ويقول الملائكة، أو بعضهم لبعض: هذا ﴿ يَومُ الفَصْلِ﴾ الحكم، أو الفرق بين المحق والمبطل﴿ الَّذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ جواب الملائكة، أو قول بعضهم لبعض:﴿ احْشُرُوا الَّذينَ ظَلَمُوا﴾ القمي: ظلموا آل محمد (ص) حقهم﴿ وأزْواجَهُمْ﴾ عابد الوثن مع عبدته، وعابد النجم مع عبدته، أو قرناءهم من الشياطين، أو نساءهم اللاتي على دينهم﴿ وما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان﴿ فَاهْدُوهُمْ إلى صِراطِ الجَحِيمِ﴾ سوقوهم إلى طريقها﴿ وقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم قبل دخولها﴿ إنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم، وفي المستفيضة: عن ولاية علي (ع) وعن حبنا أهل البيت.

[سورة الصافات الآيات ٢٥ - ٥١]

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ

كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾
بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ
﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ
﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾
بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾
وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

﴿ ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص، وهو توبيخ وتقريع ﴿بَلْ هُمُ اليَومَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ منقادون لعجزهم، أو متسالمون يسلم بعضهم بعضاً ويخذله، القمي: يعني العذاب ﴿ وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ ﴿ قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ﴾ عن جهة النصيحة والنفع

فتبعناكم، أو عن القوة والغلبة فتحملوننا على الضلال استعير من يمين الشخص فإنه أنفع جانبيه وأقواهما، أو عن حلفكم انكم على الحق فصدقناكم ﴿ قالُوا ﴾ أي: المتبوعون ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: ما ضللناكم، وانما كنتم ضالّين مثلنا ﴿ وما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ ﴾ تسلط فنجبركم على الكفر ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوماً طاغِينَ ﴾ مختارين للطغيان ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنا ﴾ جميعاً ﴿ قَولُ رَبِّنا ﴾ وعيده كآية: (لأملأن جهنم من الجنة والناس)[1] أو هو ﴿ إِنَّا لَذائِقُونَ ﴾ حكوه على لفظ المتكلم وانما هوانكم لذائقون ﴿ فَأَغْوَيْناكُمْ ﴾ فدعوناكم إلى الغي ﴿ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ ﴾ لأنا كنا على الغي فأحببنا أن تكونوا مثلنا ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ أي: الأتباع والمتبوعون ﴿ يَومَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ لاشتراكهم في الغيّ ﴿ إِنَّا كَذلِكَ ﴾ الفعل ﴿ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ بالمشركين لقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن قبوله ﴿ ويَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ لقول محمد ﴿ بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حتى قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون ﴿ إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الأَلِيمِ ﴾ بالاشراك وتكذيب الرّسول ﴿ وما تُجْزَونَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء منقطع وما بعد إلاّ في معنى مبتدأ خبره: ﴿ أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ وقته، أو صفته كطيب طعمه وريحه ﴿ فَواكِهُ ﴾ بيان لرزق ﴿ وهُمْ ﴾ مع ذلك ﴿ مُكْرَمُونَ ﴾ معظمون ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ حال من الواو، أو خبر ثان لـ(أولئك) وكذا ﴿ عَلى سُرُرٍ ﴾ إن لم تكن صلة ﴿ مُتَقابِلِينَ ﴾ وهو حال من ضميره، وان كان صلة فمن الواو ﴿ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ ﴾ بإناء فيه خمر، أو بخمر ﴿ مِنْ مَعِينٍ ﴾ من نهر ظاهر للعيون، أو خارج من العيون يجري على وجه الأرض

---

(١) سورة هود الآية ١١٩.

﴿ بَيْضاء﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ للشّارِبينَ﴾ مصدر وصف به مبالغة، أو تأنيث (لذّ) بمعنى: لذيذ ﴿لا فِيها غَولٌ﴾ غائلة وفساد كما في خمر الدنيا ﴿ولا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾ يسكرون من نزف الشارب ببناء المفعول فهو نزيف ومنزوف أي: ذهب عقله، وخص بالعطف على ما يعمّه لعظم فساده، وكسر حمزة والكسائي الزاء من أنزف أي: أنفد عقله أو شرابه ﴿ وعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ قصرن بصرهن على أزواجهن ﴿ عِينٌ﴾ جمع (عيناء) فسّرت تارة: بواسعات العيون لحسانها، واخرى: بالشديدة بياض العين الشديد سوادها ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ شبههن ببيض النعام الذي تكنّه بريشها مصوناً من الغبار، ونحوه في الصفا والبياض المخلوط بأدنى صفرة فانه أحسن ألوان الأبدان ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا فإنه ألذ اللذات ﴿ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ﴾ في مكالمتهم ﴿ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ﴾ جليس في الدنيا.

[سورة الصافات الآيات ٥٢ - ٧٦]

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً

لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

﴿ يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ يوبخني على التصديق بالبعث ﴿أَ إِذا مِتْنا وكُنّا تُراباً وعِظاماً أَ إِنّا لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء ﴿قالَ﴾ أي: ذلك القائل لجلسائه ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ الى أهل النار لأريكم ذلك القرين، وقيل: القائل هو الله، أو بعض الملائكة يقول لهم: تحبّون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين لتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم ﴿فَاطَّلَعَ﴾ عليهم ﴿فَرَآهُ﴾ أي: قرينه ﴿في سَواءِ الْجَحِيمِ﴾ عن الباقر (ع) أي: في وسط الجحيم ﴿قالَ تَاللّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ أي: كدت تهلكني بالإغواء ﴿ولَولا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ بالهداية والعصمة ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك فيها ﴿أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ عطف على محذوف أي: نحن مخلدون منعمون فما نحن ممن شأنه الموت ﴿إِلاّ مَوتَتَنَا﴾ الأولى التي في الدنيا

وتشتمل ما بعد الأحياء لسؤال القبر ونصبت مصدراً لميتين، أو مستثنى منقطع ﴿ وما نَحْنُ بِمُعَذَّبينَ﴾ على الكفر كما زعمت أو ذلك عود إلى مخاطبة إخوانه تحدثا بنعمة ربّه وسروراً بها وتعجباً منها مع توبيخ قرينه ﴿ إِنَّ هذا لَهُو الْفَوزُ الْعَظِيمُ﴾ من قوله، أو قول الله تصديقاً له ﴿ لِمثْلِ هَذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ﴾ يدل على جواز العبادة بقصد نيل الثواب والخلاص من العقاب عن الباقر (ع): إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت فيذبح كالكبش بين الجنة والنار، ثم يقال: خلود فلا موت أبداً، فيقول أهل الجنة: أ فما نحن بميتين ﴿ أ ذلكَ﴾ المذكور لأهل الجنة ﴿ خَيْرٌ نُزُلاً﴾ تمييز وهو ما يعدّ للنازل من ضيف أو غيره ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ نزل أهل النار، قيل: هي شجرة مرّة منتنة بتهامة، وقيل: لا وجود لها في الدنيا بدليل: ﴿ إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالمينَ﴾ إختباراً لهم في الدنيا فإنهم حين سمعوا أنها في النار قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته جهلاً بقدرة الله، أو عذاباً لهم في الآخرة ﴿ إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ تنبت في قعر جهنم وفروعها ترتفع إلى دركاتها ﴿ طَلْعُها﴾ حملها استعير من طلع النخل لطلوعه، أو لشكله ﴿ كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ﴾ في القبح شبه بمتخيّل، أو بحيّات لها أعراف ورؤوس قباح تسمى شياطين ﴿ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْها﴾ من طلعها ﴿ فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ لشدة جوعهم، أو جبرهم على أكلها ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها﴾ أي: بعد ما شبعوا منها فأغلبهم العطش فطال استسقاؤهم ﴿ لَشَوباً مِنْ حَمِيمٍ﴾ لشراباً من غسّاق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ﴾ فإن الزقوم والحميم نزل يقدّم إليهم قبل دخولها. وقيل: الحميم خارج عنها لـ(هذه جهنم) التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون إليه كما يورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوا آباءَهُمْ ضالِّينَ فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع الإسراع الشديد

كأنهم يستحثون على أتباعهم فيسرعون إليه بلا تروٍ ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ ﴾ قبل قومك ﴿ أَكْثَرُ الأولينَ ولَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ أنبياء أنذروهم من العواقب ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ من الشدة والفظاعة ﴿ إلا عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله، وقريء بالفتح أي: أخلصهم الله لدينه ﴿ ولَقَدْ نادانا نُوحٌ ﴾ شروع في تفصيل القصص بعد إجمالها أي: نادى بربِّ انصرني ونحوه ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ أي: فو الله نعم المجيبون له نحن فحذف القسم والمخصوص أي: أجبناه إلى ما سأل ﴿ ونَجَّيْناهُ وأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ من الغرق وأذى قومه.

[سورة الصافات الآيات ٧٧ - ١٠٢]

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿ وجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقينَ ﴾ إذ هلك من هلك وعن الباقر (ع) الحق والنبوة والكتاب والإيمان في عقبه وليس كل من في الأرض من بني آدم من ولد نوح، قال الله في كتابه (احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل)[1] ﴿ وتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلى نُوحٍ ﴾ أي: تركنا عليه هذا القول سلام من الله عليه، ومفعول (تركنا) مقدّر أي: ثناء ﴿ فِي الْعالَمينَ ﴾ ثابت فيهم يسلمون عليه إلى يوم القيامة ﴿ إِنّا كَذلِكَ ﴾ الجزاء ﴿ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: استحق هذا الجزاء بإحسانه ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾ يعني: كفّار قومه ﴿ وإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة ﴿ لإِبْراهِيمَ ﴾ عن الباقر (ع) ليهنكم الاسم قيل: وما هو؟ قال: الشيعة، قيل: إن الناس يعيروننا بذلك قال: أما تسمع قول الله (وإن من شيعته لإبراهيم) وقوله: (فاستغاثه

---

(١) سورة هود الآية ٤٠.

الذي من شيعته) ﴿ إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك والشك خالص للّه، وعن الصادق (ع) عن كل ما سوى اللّه تعالى لم يتعلق بغيره ﴿ إِذْ قالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ ﴾ بدل من الأول، أو ظرف لـ(جاء) أو (سليم) ﴿ ما ﴾ ذا ما الذي، أو أيّ شيء ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾ إنكار ﴿ أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ إفكاً مفعول له أو حال أي: آفكين وآلهة مفعول به لـ(تريدون) وقدّما اهتماماً بتعنيفهم على شركهم وإفكهم، أو (إفكاً) مفعول به و(آلهة) بدل منه على أنها إفك في أنفسها ﴿ فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ بمن هوحقيق بالعبادة حتى أشركتم به غيره وأمنتم من عذابه ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ في أجرامها، أو علمها طلباً لعلامة يستدل بها، أو إيهاماً لهم أنه يعتمدها فإنهم كانوا منجمين سألوه أن يخرج معهم إلى عيدهم ﴿ فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ أسقم لإمارة بخصوصية نصبها اللّه، أو وحي منه، أو سقيم القلب لكفركم، أو أراد سأموت مثل: إنّك ميت، إذ لا داء أعيى من الموت، وكان الطاعون غالباً فيهم فظنوا أنه به ذلك وكانوا يخافون العدوى فتركوه، وعن الباقر (ع): واللّه ما كان سقيماً وما كذب، وعن الصادق (ع): إنما عنى سقيماً في دينه، وفي رواية: أي: سأسقم، وكل ميت سقيم. وفي آخر: سقيم لما يحل بالحين ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ إلى عيد لهم ﴿ فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ ﴾ فذهب إليها في خفية ﴿ فَقالَ ﴾ أي: للأصنام استهزاء بعد أن قدّم إليها طعاماً ﴿ أَ لا تَأْكُلُونَ ﴾ منه ﴿ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ ﴾ بجوابي ﴿ فَراغَ ﴾ فمال ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مستخفياً والتعدية بـ(على) للاستعلاء وكراهة الميل ﴿ ضَرْباً بِالْيَمِينِ ﴾ يضربهم ضرباً بها ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ﴾ إلى إبراهيم بعد ما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسّرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو ﴿ يَزِفُّونَ ﴾ يسرعون من زفيف النعام، وضمّ حمزة الياء من(أزفّ) بمعنى: زفّ، أو بتقدير (يزف) بعضهم بعضاً وحين عاتبوه على فعله ﴿ قالَ ﴾ توبيخاً لهم ﴿ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ ﴾ ما تنحتونه من الحجارة وغيره أصناماً

﴿ واللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُونَ﴾ والذي تعملونه فإن جوهرها بخلقه ونحتها بإقداره ﴿ قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ في النار الشديدة ﴿ فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً﴾ فإنه لمّا قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامّة عجزهم ﴿ فَجَعَلْناهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾ الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيّراً على علوّ شأنه حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً، وقد مرّت قصته في سورة الأنبياء ﴿ وقالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني وهو الشام ﴿ سَيَهْدِينِ﴾ إلى ما فيه صلاحي في الدارين، وقطعه به لشدة ثقته به، أو بوحي جاءه، وعن الصادق (ع): إلى بيت المقدس. وعن علي (ع): إني متوجّه إلى عبادته. ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بعضهم أي: ولداً صالحاً يعينني على الطاعة ﴿ فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ ولد ذكر بلغ، أو ان الحلم إذ الصبي لا يوصف بالحلم، أو يكون حليماً، وأي: حلم كحلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ما قال ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: بلغ أن يسعى معه في أعماله، قيل: ثلاث عشرة سنة ومعه متعلق بما دلّ عليه السعي لا به، إذ صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ إذ لم يبلغا معاً، وهو بيان كأنه قيل: فلما بلغ السعي فقيل: مع من؟ قيل: معه ﴿ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى﴾ من الرأي، قيل: وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء اللّه ليثبت قدمه إن جزع ويوطن نفسه عليه فيهون وينقاد له فيؤجر ﴿ قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ به سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على بلاء اللّه، وفتح نافع الياء.

[سورة الصافات الآيات ١٠٣ - ١٢٦]

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ استسلما لأمر الله، أو سلم الأب ابنه والابن نفسه، وقرأ علي والصادق (ع) (سلّما) من التسليم ﴿وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه عليه وهو أحد جانبي الجبهة وقيل: كبّه على وجهه باستدعائه كيلا يراه فيرقّ له فلا يذبحه﴿ونادَيْناهُ أنْ يا إبْراهيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ بالعزم والإتيان بما كان تحت قدرتك من ذلك، وجواب (لمّا) محذوف أي: كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يسعه المقال﴿إنَّا كَذلكَ نَجْزِي الْمُحْسنينَ﴾ أي: جزيناهما ذلك بإحسانهما﴿إنَّ هذا﴾ التكليف بالذّبح ﴿لَهُو الْبَلاءُ الْمُبينُ﴾ الابتلاء البيّن﴿وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ﴾ بما يذبح بدله﴿عَظِيمٍ﴾ ضخم سمين، أو عظيم القدر أفدي به ابن خليله قيل: كان كبشا من الجنة أتى به جبرئيل فذبحه إبراهيم، وفي المستفيضة: أن الذبيح إسماعيل، وفي بعض: أنه إسحاق، والأول أشهر، عنهما (ع): لما قال له: (اني أرى في المنام...)إلخ قال: (يا أبت افعل ما تؤمر ...)إلخ فلما عزم على الذبح قال يا أبت خمّر وجهي وشدّ وثاقي قال: يا بنيّ الوثاق مع الذبح والله لا أجمعهما عليك اليوم، قال الباقر (ع): فطرح له قرطان الحمار ثم أضجعه عليه وأخذ المدية[1] فوضعها على حلقه قال: فأقبل شيخ فقال: ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه فقال: سبحان الله غلام لم يعص الله طرفة عين تذبحه؟ فقال: نعم إن الله قد أمرني بذبحه، فقال: بل ربك ينهاك عن ذبحه، وإنما أمرك بهذا الشيطان في منامك فقال: ويلك الكلام الذي سمعت هو الذي ما ترى

---

(١) المدية: السكين.

لا والله لا أكلمك، ثم عزم على الذبح، فقال الشيخ: يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك فإن ذبحت ولدك ذبح الناس أولادهم فمهلاً، فأبى أن يكلمه فأضجعه عند الجمرة الوسطى ثم أخذ المدية فوضعها على حلقه، ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم انتحى عليه، فقلبها جبرئيل عن حلقه فنظر إبراهيم فإذا هي مقلوبة، فقلبها إبراهيم على حدّها وقلبها جبرئيل على قفاها، ففعل ذلك مراراً، ثم نودي من ميسرة مسجد الخيف: قد صدقت الرؤيا، وأجيز الغلام من تحته، وتناول جبرئيل الكبش من قلة ثبير فوضعه تحته ﴿ وتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ فسّر مثله لكن لم يقل (إنّا) لذكره مرّة في هذه القصة ﴿ وبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: مقدّرين أو مقدراً كونه نبياً صالحاً، فهما حالان مقدرتان عن الفاعل، أو إسحاق، ومن جعله الذبيح قال بشر بنبوته بعد ما بشّر بولادته ﴿ وبارَكْنا عَلَيْهِ وعَلى إِسْحاقَ﴾ أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، ومن ذلك جعل الأنبياء من نسلهما ﴿ ومِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿ وظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿ مُبِينٌ﴾ بيّن الظلم ويدلّ على أن البرّ قد يلد فاجراً ولا عار عليه منه، وأن الشرف بالحسب لا بالنسب ﴿ ولَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وهارُونَ﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ ونَجَّيْناهُما وقَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ من تغلّب فرعون، أو الغرق ﴿ ونَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ﴾ على فرعون وقومه ﴿ وآتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة ﴿ وهَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الطريق الموصل إلى الحق والصواب ﴿ وتَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلى مُوسى وهارُونَ إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ مرّ مثله ﴿ وإِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو من ولد هارون أخي موسى، وقيل: هو إدريس لقراءة وان إدريس وعن ابن ذكوان حذف همزته إذا ذكر ﴿ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ

بَعْلاً﴾ تعبدونه وتطلبون الخير منه، القمي قال: كان لهم صنم يسمّونه بعلاً قال: وسمي (الرب) بعلاً﴿ وتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالقينَ﴾ تتركون عبادته﴿ اللَّهَ رَبَّكُمْ وربَّ آبائِكُمُ الأَوّلينَ﴾ ونصب الثلاثة حفص وحمزة والكسائي بدلاً.

[سورة الصافات الآيات١٢٧ -١٥٤]

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ

ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذاب ﴿إلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ منقطع أو استثناء من (واو) كذبوه ﴿وتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سلام على آل ياسين﴾ في الأخبار المستفيضة: آل ياسين آل محمد (ص) وقيل: لغة لإلياس كميكال وميكائيل، أو جمع له يراد به هو ومن تبعه ﴿إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْناهُ وأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ﴾ فسرّ سابقاً ﴿وإِنَّكُمْ﴾ يا قريش ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ في منازلهم في أسفاركم إلى الشام ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح ﴿وبِاللَّيْلِ﴾ أي: نهاراً وليلاً ﴿أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ ما أصابهم فتعتبرون ﴿وإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ﴾ هرب، وأصل الإباق: الهرب من السيّد ولما كان هربه من قومه بغير إذن ربّه حَسُنَ إطلاقه عليه ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوّ ﴿فَساهَمَ﴾ فقارع أهله ﴿فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ صار من المغلوبين بالقرعة والزلق عن مقام الظفر. عن الباقر (ع) انه لما ركب مع القوم فوقفت السفينة في اللجّة[1] واستهموا[2] فوقع السهم على يونس ثلاث مرّات، فمضى يونس إلى صدر السفينة، فإذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه ﴿فَالْتَقَمَهُ

---

(١) اللّجة: معظم البحر حيث لا يدرك قعره.

(٢) استهموا: اقترعوا بالسهام.

الْحُوتُ وهُو مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة، أو آت بما يلام عليه، أو مليم نفسه﴿ فَلَولا أنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحينَ﴾ المصلّين، أو الذاكرين الله في كل حال، أو في بطن الحوت يقول: لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِه إِلى يَوم يُبْعَثُونَ﴾ ميتاً ويحشر منه، أو حيّاً﴿ فَنَبَذْناهُ﴾ ألقيناه من بطنه﴿ بِالْعَراءِ﴾ المكان الخالي من نبت يسيره من يوم، أو بعد ثلاثة أيام، أو أكثر﴿ وهُوسَقِيمٌ﴾ مما ناله كفرخ لا ريش عليه﴿ وأنبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ ما ينبسط على الأرض ولا ساق له، وفي الأخبار: أنه القرع فغطته بأوراقها، وقيل: التين، وقيل: الموز﴿ وأَرْسَلْناهُ إِلى مائَة أَلْف أو يَزِيدُونَ﴾ قيل: أريد وصفهم بالكثرة في مرأى الرائي إذا رآهم قال: هم مائة ألف، أو أكثر. وعن الصادق (ع) قرأ (ويزيدون) بالواو ، وفي آخر: يزيدون ثلاثين الفاً ﴿ فآمَنُوا﴾ فجددوا الإيمان، أو أحدثوه﴿ فَمَتَّعْناهُمْ﴾ إِلى حِينٍ آجالهم﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ سل قومك توبيخاً﴿ أ لِرَبِّكَ الْبَناتُ﴾ إذ قالوا: الملائكة بنات الله﴿ ولَهُمُ الْبَنُونَ﴾ تلك إذا قسمة ضيزى[1]﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائكَةَ إِناثاً وهُمْ شاهِدُونَ﴾ خلْقنا إياهم فيؤنثونهم ﴿ ألا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ولَدَ اللَّهُ﴾ بقولهم: الملائكة بناته﴿ وإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في قولهم:﴿ أَصْطَفَى﴾ بهمزة الاستفهام الإنكاري وحذف همزة الوصل تخفيفاً، وعن ورش كسر الهمزة على حذف همزة الاستفهام، أو الإخبار وجعله من قولهم أي: اختار ﴿ الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يرضيه عاقل.

---

(١) ضيزى: جائرة وغير عادلة.

[سورة الصافات الآيات ١٥٥ - ١٨٢]

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٨٢﴾

﴿أ فَلا تَذَكَّرُونَ﴾ انه منزّه عن ذلك ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ﴾ حجّة واضحة نزلت عليكم من السّماء بأن الملائكة بناته ﴿فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في دعواكم ﴿وجَعَلُوا بَيْنَهُ وبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ أي: الملائكة بأنهم بنات اللّه، سمّوا بذلك لاجتنابهم أي: استتارهم عن العيون، وقيل: قالوا (ان اللّه صاهر الجن فخرجت الملائكة) وقيل: قالوا (اللّه والشيطان إخوان) تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿ولَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفرة خاصة، أو مع الجنّة ان فسّرت بغير الملائكة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ القمي: يعني أنهم في النار ﴿سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والنسب ﴿إِلاّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ منقطع من (يصفون) أو (محضرون) أو متّصل منه إن عمم ضمير(هم) وما بينهما اعتراض ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ أيها الكفرة ﴿وما تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ على اللّه ﴿بِفاتِنِينَ﴾ مفسدين الناس بالإغواء ﴿إِلاّ مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ﴾ إلاّ من سبق في علمه أنه من أهل النار بسوء اختياره، وضمير (أنتم) لهم ولآلهتهم، وجاز كون الواو بمعنى (مع) والسكوت على (تعبدون)، أي: إنكم ومعبوديكم قرناء، ثم قال: ما أنتم على ما تعبدونه بفاتنين أحداً إلاّ ضالاً استحق النار بضلاله، ثم حكى ردّ الملائكة على عبدتهم باعترافهم العبوديّة بقوله: ﴿وما مِنّا﴾ أحد ﴿إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾ في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر اللّه في تدبير العالمَ وعن الصادق (ع): أنزلت في الائمة والأوصياء من آل محمد (ص) ﴿وإِنّا لَنَحْنُ الصّافُّونَ﴾ في أداء الطاعة ومنازل الخدمة ﴿وإِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون اللّه عمّا لا يليق به، وفي النبوي: وما منّا معاشر المؤمنين الاّ له

مقام معلوم في الجنة وانا لنحن الصّافون في الصّلاة المقدّسون اللّه ﴿ وإنْ كانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ أي: مشركو قريش، و(إن) المخففة و(اللاّم) فارقة ﴿ لَوأنَّ عِنْدَنا ذِكْراً ﴾ كتاباً ﴿ مِنَ الأولِينَ ﴾ من كتبهم المنزلة علينا ﴿ لَكُنّا عِبادَ اللّه الْمُخْلَصِينَ ﴾ لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم ﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ﴾ لمّا جاءهم الذكر الذي هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها، وعن الباقر (ع): هم كفّار قريش كانوا يقولون: لو أن عندنا ذكراً من الأولين قاتل اللّه اليهود والنصارى كيف كذبوا أنبياءهم أما واللّه لوكان عندنا ذكر من الأولين لكنا عباد اللّه المخلصين فكفروا به حين جاءهم محمد (ص) ﴿ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة كفرهم ﴿ ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: وعدناهم بالنصر والغلبة، وهوقوله: ﴿ إنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وإنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ ﴾ عاجلاً غالباً أو آجلاً مطلقاً ﴿ فَتَولَّ ﴾ أعرض ﴿ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ هو الموعد لنصرك وهو يوم بدر، أو يوم الفتح ﴿ وأبْصِرْهُمْ ﴾ على ما ينالهم حينئذٍ، والمراد بالأمر: الدلالة على أن ذلك كائن قريباً كأنه قدامه ﴿ فَسَوفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما وعدناك به من النصر والثواب، فقالوا: متى هذا العذاب؟ فنزل ﴿ أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ فَإذا نَزَلَ ﴾ أي: العذاب ﴿ بِساحَتِهِمْ ﴾ بفنائهم، شبّه بجيش هجم فحلّ بفنائهم بغتةً ﴿ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ صباحهم أي: غارتهم بالعذاب، سمّيت الغارة (صباحاً) وان وقعت في وقت آخر لأن عادة العرب أن يُغيرُوا صباحاً ﴿ فَتَولَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وأبْصِرْهُمْ فَسَوفَ يُبْصِرُونَ ﴾ كرّر تأكيداً إلى تأكيد، وإطلاقاً بعد تقييد تهديداً، أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة ﴿ سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾ الغلبة ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ بنسبة الولد والشريك إليه ﴿ وسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ المبلغين عن اللّه دينه ﴿ والْحَمْدُ لِلّه رَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ على ما أنعم به عليهم وعلى من اتبعهم في الدارين.

تمّت ـ وللّه الحمد ـ سورة الصافات وتفسيرها.

سورة ص

ست أو ثمان وثمانون آية، مكية.

[الآيات ١ - ١٦]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو

ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾

عن الباقر (ع): من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرّب، وأدخله اللّه الجنة وكلّ من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه، وان كان لم يكن في حدّ عياله ولا في حدّ من يشفع فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ص﴾ قيل: هو بحر عليه العرش، وقيل: صدق محمد (ص) أو صاد القلوب، وقيل: أمر من المصادّة أي: المعارضة، أي: عارض القرآن بعلمك واعمل بما فيه، وعن الصادق (ع): وأما (ص) فعين تنبع من تحت العرش وهي التي توضأ منها النبي (ص) لما عرج به، ويدخلها كل يوم جبرئيل دخلة فيغمس فيها ثم يخرج منها فينفض أجنحته، فليس من قطرة يقطر من أجنحته الا خلق اللّه منها ملكاً يسبّح اللّه ويقدّسه ويكبّره ويحمده إلى يوم القيامة، وعنه (ع): انه اسم من أسماء اللّه ﴿ والْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ الشرف، أو العظة، أو بيان ما يحتاج اليه في الدين، والواو للقسم، أو العطف إن كان (ص) مَقسَماً به، والجواب محذوف أي: أنه لمعجز، أو أن محمداً (ص) لصادق بدلالة (ص) على ذلك، أو ما الأمر كما قال الكفّار بدلالة: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ حميّة وتكبّر عن الحق ﴿ وشِقاقٍ﴾ خلاف وعداوة للرسول (ص) ﴿ كَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ تهديد لهم ووعيد ﴿ فَنادَوا﴾ استغاثة ﴿ ولاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ أي: ليس الحين حين منجى

ومفرّ، والتاء زيدت للتأكيد﴿ وعَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ بشرٌ منهم ﴿ وقالَ الْكافِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع الضمير غضباً عليهم وذمّاً لهم، وإشعاراً بأن كفرهم جسّرهم على هذا القول﴿ هذا ساحِرٌ﴾ فيما يظهر من المعاجز﴿ كَذَّابٌ﴾ فيما يقول على اللّه﴿ أ جَعَلَ الالِهَةَ إِلهاً واحِداً﴾ حصرها في واحد﴿ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾ بليغ في العجب خلاف ما أطبق عليه آباؤنا﴿ وانْطَلَقَ الْمَلأُ﴾ الأشراف﴿ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا﴾ قائلين بعضهم لبعض: امشوا ﴿ واصْبِرُوا﴾ اثبتوا﴿ عَلى آلِهَتِكُمْ﴾ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته ﴿ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ ﴾ قيل: المعنى هذا شيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مردّ له، وقيل: ان هذا الذي يدّعيه من الرئاسة والترفع على العرب لشيء يريده كل أحد، أو ان دينكم يراد ليؤخذ منكم أو أن هذا شيء يتمنى منّا ولا نسمعه ﴿ ما سَمِعْنا بِهذا﴾ الذي يقوله﴿ فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ ملة عيسى فان النصارى تثلث، أو الذي أدركنا عليه آباءنا، أو ما سمعنا بالتوحيد كائناً في آخر الزمان فهو من هذا ﴿ إِلاّ اخْتِلاقٌ﴾ كذب اختلقه. عن الباقر (ع) قال: أقبل أبوجهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا: ان ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا فادعه ومُره أن يكفّ عن الهتنا ونكفّ عن إلهه، فبعث أبو طالب إلى رسول اللّه (ص) فدعاه، فلما دخل النبي (ص) لم يرَ في البيت الا مشركاً، فقال: السلام على من اتبع الهدى ثم جلس، فخبَّره أبو طالب بما جاءوا له فقال: أو هل لهم في كلمة خير من هذا يسودون بها العرب ويطئون أعناقهم؟ فقال أبوجهل: نعم وما هذه الكلمة؟ قال: تقولون (لا اله إلا اللّه) فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا هرباً وهم يقولون (ما سمعنا بهذا...) إلخ فانزل اللّه (ص...)إلخ﴿ أ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿ مِنْ بَيْنِنا﴾ إنكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم، أو أدون منهم في الشرف

والرئاسة لقولهم: (لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)[1] ونحوه ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ من القرآن، أو الوحي لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن الدليل ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾ أي: عذابي بعد فإذا ذاقوه زال شكهم أي: لا يصدّقون به حتى يمسّهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه ولا ينفعهم حينئذٍ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿أ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ التي من جملتها النبوة ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ ما يشاء لمن يشاء فيخصون بها من شاءوا ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماوات والأرضِ وما بَيْنَهُما﴾ تخصيص بعد تعميم إذ هذه الأشياء بعض خزائنه، فمن لا يملك البعض كيف يتصرّف في الكل؟ ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الاسْبابِ﴾ أي: ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبّروا أمر العالم، فينزل الوحي إلى من يستصوبون، وهو غاية التهكم لهم. وقيل: أريد بالأسباب السماوات لأنها أسباب الحوادث السفلية ﴿جُنْدٌ ما﴾ أي: هم جند حقير فـ(ما) مزيدة للتحقير ﴿هُنالِكَ﴾ إشارة إلى حيث انتدبوا فيه أنفسهم إلى ذلك القوم، أو إلى يوم بدر، أو الخندق، أو الفتح ﴿مَهْزُومٌ﴾ عمّا قريب ﴿مِنَ الأحْزابِ﴾ من جملة الكفّار المتحزبين على الرّسل وأنت غالبهم فلا تبال بهم. القمي: الذين تحزبوا عليك يوم الخندق ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وعادٌ وفِرْعَوْنُ ذُوالأوتادِ﴾ ذو الجموع الكثيرة والمقويّة لملكه كما يقوي الوتد الشيء، أو ذو الملك الثابت. وعن الصادق(ع): لأنه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه ومدّ يديه فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وبسطه على خشب منبسط فوتّد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثم تركه على حاله حتى يموت. والقمي: عمل الأوتاد

---

(١) سورة الزخرف الآية ٣١.

التي أراد أن يصعد بها إلى السّماء﴿ وثَمُودُ وقَومُ لُوطٍ وأَصْحابُ الأَيكَةِ﴾ الغيظة، وهم قوم شعيب ـ كما مرّ في الشعراء ـ﴿ أُولئكَ الأَحْزابُ﴾ المتحزبون على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم﴿ إِنْ كُلٌّ﴾ منهم ﴿ إِلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ جميعهم بتكذيبهم البعض﴿ فَحَقَّ ﴾ عِقابِ فوجب لذلك عقابي لهم﴿ وما يَنْظُرُ هؤُلاءِ﴾ أي: قومك، أو الأحزاب جميعاً ﴿ إِلاّ صَيْحَةً واحِدَةً﴾ هي النفخة﴿ ما لَها مِنْ فَواقٍ﴾ من توقف مقدار فواق وهو: ما بين الحلبتين، أو رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن إلى الضرع، والقمي: لا يفيقون من العذاب، وضم حمزة والكسائي الفاء لغتان﴿ وقالُوا﴾ مستهزئين﴿ رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ قسطنا من العذاب الموعود، أو الجنة من (قطه) قطعه،أو صحيفة أعمالنا إذ يقال لصحيفة الجائزة (قط) لأنها قطعة من القرطاس، والمروي: الأوّل﴿ قَبْلَ يَومِ الْحِسابِ﴾ فقال تعالى: (اصبر...) إلخ.

[سورة ص الآيات١٧ -٢٦]

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ

فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

﴿ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ واذْكُرْ عَبْدَنا داودَ﴾ اصبر على أذى قومك فإنك مبتلى بذلك كما صبر سائر الأنبياء فيما ابتلوا به ثم عدّدهم وبدأ بداود﴿ ذَا الأيدِ﴾ القوة في العبادة يقوم نصف الليل ويصوم يوماً ويفطر يوماً. وعن الباقر (ع): اليد في كلام العرب القوة والنعمة، ثم تلا الآية﴿ إنَّهُ أوابٌ﴾ رجّاع إلى مرضاة الله لقوته في الدين، والقمي: أي: دعّاء﴿ إنَّا سَخَّرنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه﴿ بِالْعَشيِّ والاشْراقِ﴾ حين تشرق الشمس أي: تضيء ويصفو شعاعها﴿ والطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ مجموعة عليه تسبح معه﴿ كُلٌّ﴾ من الجبال والطير﴿ لَهُ أوابٌ﴾ رجّاع إلى طاعته والتسبيح معه

﴿ وشَدَدْنا مُلْكَهُ﴾ قوّيناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود﴿ وآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة والإصابة في الأمور﴿ وفَصْلَ الْخِطابِ﴾ الكلام البيّن الدال على المقصود بلا التباس، أو القضاء بالبيّنة واليمين، وقيل: أما بعد، وهو أوّل من تكلم بها. وعن الرضا (ع): معرفة اللغات. وعن علي (ع): هو قوله البيّنة على المدّعى واليمين على المدعى عليه.﴿ وهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ أي: لم يأتك، وقد أتاك الآن فتنبّه له﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ﴾ إذ تصعدوا سور الغرفة، و(إذ) ظرف لمحذوف أي: نبأ تحاكمهم، أو للخصم لأن فيه معنى الفعل﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلى داودَ﴾ بدل من (إذ) الأولى، أو ظرف لـ(تسوروا)﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنهم نزلوا عليه من فوق يوم احتجابه والحرس على الباب يمنعون الدّاخل، وجمع الضمائر لأن الخصم في الأصل مصدر يقال للواحد والأكثر، وأريد بهما: المتخاصمان ومن تبعهما، قيل: وكانوا قوماً قصدوا قتله، فتسوروا ودخلوا عليه، فرأو ا ما يمنعهم عن غرضهم فتعللوا بـ(أن) ﴿ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ﴾ نحن فريقان متخاصمان﴿ بَغى﴾ تعدى﴿ بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ ولا تُشْطِطْ﴾ لا تجر في الحكم، من شطّ وأشد شطاً والشط: البُعد، والجور: بُعدٌ عن الحق﴿ واهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ﴾ وسطه أي: العدل﴿ إِنَّ هَذا أَخِي﴾ في الدين، أو الخلطة ﴿ لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ولِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ﴾ هي الأنثى من الضأن، أو كناية عن المرأة، والكلام على التمثيل أي: له نساء كثيرة ولي امرأة واحدة فاستنزلني عنها، وفتح حفص الياء﴿ فَقالَ أَكْفِلْنِيها﴾ أي: اجعلني كافلها أي: ملكنيها﴿ وعَزَّنِي فِي الْخِطابِ﴾ غلبني في الحجاج، وكان كلامه أبين وبطشه أشد﴿ قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ﴾ مصدر مضاف إلى مفعوله الثاني، أي: بسؤاله إياه نعجتك، قاله على تقدير صدقه، أو بعد اعتراف صاحبه﴿ إِلى نِعاجِهِ﴾ متعلق بـ(سؤال) لتضمنه معنى الإضافة ﴿ وإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم، أو الأصدقاء﴿ لَيَبْغِي

بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وقَلِيلٌ ما هُمْ﴾ (ما) زائدة لتأكيد القلّة ﴿ وظَنَّ داودُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾ اختبرناه لأنه علم تعرضهم فهمّ بأن ينتقم منهم ويترك الأولى وهو العفو فتداركه لطف ربه فعفا عنهم ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ من همّه بترك الأولى، أو انقطاعاً إليه ﴿ وخَرَّ راكِعاً ساجداً﴾، أو خرّ للسجود مصلّياً ﴿ وأَنابَ﴾ رجع إلى ربّه بالتوبة عن تلك الهمّة، أو بالإنقطاع إليه ﴿ فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ﴾ الهمّ أو قبلنا انقطاعه من باب المشاكلة ﴿ وإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى﴾ لقربة قبل ذلك وبعده ﴿ وحُسْنَ مَآبٍ﴾ في الجنة، وقيل للرضا (ع): إن الناس يقولون إن داود كان يصلّي في محرابه إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج في أثره فصار الطير إلى السطح، فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حيان، فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هواها، وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه: إن قدّم أوريا أمام التابوت، فقدم فظفر أوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانية: أن قدّمه أمام التابوت فقدّم فقتل أوريا وتزوج داود بامرأته[1]، فضرب الرضا (ع) يده على جبهته وقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون) لقد نسبتم نبياً من أنبياء اللّه إلى التهاون بصلواته حتى خرج في إثر الطير، ثم همّ بالفاحشة ثم بالقتل فقيل: ما كانت خطيئته؟ فقال: إنما ظن أن ما خلق اللّه خلقاً هو أعلم منه، فبعث اللّه إليه الملكين فتسورا المحراب فقالا ما ذكر، فعجّل داود على المدعى عليه فقال: (لقد ظلمك...) إلخ ولم يسأل المدعي البيّنة على ذلك ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له ما تقول، فكان هذا خطيئة برسم حكم ألا تسمع اللّه يقول: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)،

---

(١) هذه القصة بعينها موجودة في آثار اليهود، وقد نقلها إلى كتبنا بعضُ من ادعى الإسلام من أحبارهم.

قيل: فما قصته مع أوريا؟ فقال (ع): إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، فأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدّتها، فذلك الذي شق على أوريا. وعن علي (ع) قال: لا أوتي برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلاّ جلدته حدّين: حدّاً للنبوة وحداً للإسلام.﴿ يا داودُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الأرضِ﴾ ممن مضى من الأنبياء في إقامة الدين، أو تخلفنا في تدبير أمر الناس﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولا تَتَّبِعِ الْهَوى﴾ هوى النفس. ولا يدلّ ذلك على أنّه أذنب، بل هو تهييج وتحذير، أو من باب (إياك أعني)﴿ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ﴾ وهو طريق الحق﴿ إِنَّ الَّذينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ بِما نَسُوا يَومَ الْحِسابِ﴾ بسبب نسيانهم إياه وهو ضلالهم عن السبيل.

[سورة ص الآيات٢٧ -٤٢]

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ

وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

﴿ وما خَلَقْنَا السَّماءَ والأرْضَ وما بَيْنَهُما ﴾ خلقاً ﴿ باطلاً ﴾ لا لغرض وحكمة، أو ذي باطل أي: مبطلين عابثين ﴿ ذلكَ ﴾ أي: خلق ما ذكر لا لحكمة ﴿ ظَنُّ الَّذينَ كَفَرُوا ﴾ أي: مظنونهم ﴿ فَوَيْلٌ للَّذينَ كَفَرُوا منَ النَّارِ ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ أمْ بل أ نَجْعَلُ الَّذينَ آمَنُوا وعَملُوا الصَّالحاتِ كَالْمُفْسدينَ في الأرضِ ﴾ إنكار للتسوية ﴿ أمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار ﴾ أنكر التسوية أوّلاً بين المؤمنين والكافرين، ثم بيّن المتقين من المؤمنين والمجرمين. ويجوز أن يكون تكريراً للإنكار الأوّل باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرّحيم، وسئل الصادق (ع) عن الآية فقال: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أمير المؤمنين وأصحابه (كالمفسدين في الأرض) قال: حبتر وزريق وأصحابهما (أم نجعل المتقين) أمير المؤمنين (كالفجار)

حبتر وزلام وأصحابهما﴿ كتابٌ﴾ هذا كتاب﴿ أنزلناهُ إليكَ مُباركٌ ليدّبّروا آياتِه﴾ ليتأملوها﴿ وليَذّكّرَ أولُوا الألباب﴾ ليتعظ ذوو العقول فيؤمنوا، وعن الصادق (ع): ليدّبروا آياته أمير المؤمنين﴿ ووهبنا لداودَ سُليمانَ نعمَ العبدُ﴾ أي: سليمان ﴿ إنّهُ أوّابٌ﴾ كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والذكر﴿ إذْ عُرِضَ عَلَيْه﴾ ظرف لـ(أوّاب) أو (نِعْمَ)﴿ بالعَشيّ﴾ بعد الظهر﴿ الصّافناتُ﴾ الخيل، والصافن القائم على ثلاث وطرف حافر الرّابع وهو محمود في الخيل﴿ الجِيادُ﴾ جمع (جواد) وهو: السريع في الجري. وقيل: الذي يجود بالركض، وقيل: جمع جيّد، قيل: كانت له ألف فرس أصابها غزاة دمشق ونصيبين، أو أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه، فأراد الغزو فاستعرضها فعرضت عليه فشغلته حتى غربت الشمس، ففاتته العصر﴿ فَقالَ إنّي﴾ وفتح الياء الحرميّان وأبو عمرو﴿ أحْبَبْتُ﴾ أردت ﴿ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ ربّي﴾ عن أمره إياي بحبها وارتباطها، أو عن الصلاة وعدّي بـ(عن) لتضمنه معنى (أبنت) ﴿ حتّى توارَتْ﴾ أي: الشمس بدلالة العشي عليها﴿ بالحجاب﴾ بحجاب الأفق أي: غربت، أو حتى غابت الخيل عن بصره حين أجريت﴿ رُدّوها﴾ أي: الشمس﴿ عَلَيّ﴾ أيها الملائكة الموكلون بها بأمر الله فردت فصلى كما ردّت ليوشع وعلي (ع) أو الضمير للخيل﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والاعْناقِ﴾ يمسح سوقها وأعناقها بيده مسحاً حبّا لها، أو عقرها وذبحها وتصدّق بلحمها تقرّباً إلى الله بأعزّ ماله، أو وسم سوقها وأعناقها فجعلها في سبيل الله، وعن ابن كثير همز السوق، وعن الصادق (ع): إن سليمان عرض عليه ذات يوم بالعشي الخيل فاشتغل بالنظر إليها حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال للملائكة: ردّوا الشمس عليّ حتى أصلي صلواتي في وقتها فردّوها، فقام فمسح ساقيه وعنقه وأمر أصحابه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوؤهم للصلاة ثم قام فصلى... الخبر، وروي أنّه فاته أوّل الوقت، وعن علي (ع) أنه اشتغل بعرض

الأفراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردّوها عليّ، فردّت فصلى العصر في وقتها، وإن أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون﴿ ولَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ﴾ اختبرناه وامتحناه﴿ وألْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ عن النبي (ص) إن سليمان قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تلد كل واحدة فارساً يجاهد في سبيل الله ولم يقل: (إن شاء الله) فطاف عليهن فلم تحمل إلاّ واحدة بشق رجل. فو الذي نفسي بيده لو قال: (إن شاء الله) لجاهدوا فرساناً﴿ ثُمَّ أنابَ﴾ رجع إلى الله منقطعاً بالإستغفار عن ترك الإستثناء المندوب إليه. وروي: ولد له ولد فقصد الشياطين قتله فعلم بذلك، فاسترضعه في السحاب فما شعر إلاّ وقد ألقي على كرسيّه ميتاً. وقيل: ابتلي بمرض فضعف حتى صار جسداً ملقىً على كرسيّه، ثم أناب رجع إلى حال الصّحّة ﴿ قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ انقطاعاً إلى ربّه واستغفر مما الأولى خلافه﴿ وهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي﴾ لا يكون﴿ لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي: غيري ممن بعثت إليهم ليكون معجزة لي، وفتح نافع وأبو عمرو الياء﴿ إنَّكَ أنتَ الوهّابُ فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ﴾ ذللناها لطاعته إجابة لدعوته﴿ تَجْرِي بِأمْرِهِ رُخاءً﴾ ليّنة لا تزعزع، أو مطيعة﴿ حَيْثُ أصابَ﴾ أراد ﴿ والشَّياطِينَ﴾ عطف على (الريح) ويبدل منه:﴿كُلَّ بَنّاءٍ﴾ أبنية عجيبة﴿ وغَواصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ﴿ وآخَرِينَ﴾ عطف على (الشياطين) أو (كل)﴿ مُقَرَّنِينَ﴾ أي: بعضهم مع بعض﴿ فِي الأصْفادِ﴾ جمع (صفد) وهو: القيد والوثاق، وسمي به العطا لأنه يرتبط المعطى﴿ هذا﴾ أي: قلنا له هذا الذي أعطيناك من الملك والتسلط ﴿ عَطاؤُنا فَامْنُنْ أو أمْسِكْ﴾ اعط من شئت وامنع من شئت﴿ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ متعلق بالأمرين أي: لا حرج ولا حساب عليك في ذلك فتصرّف فيه كيف شئت، أو بعطاء أي: عطاء جم كثير وما بينهما اعتراض﴿ وإنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وحُسْنَ مَآبٍ﴾ في الجنة

مع ماله من الملك في الدّنيا وسئل الصادق (ع) أ يجوز أن يكون نبيّ الله بخيلاً؟ أي: في قوله (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي)، فقال (ع) ما حاصله: المُلْك مُلْكان: مُلْك مأخوذ بالغلبة والجور، ومُلْك من قِبَل الله أي: ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول أنه مأخوذ بالغلب والجور وإجبار الناس فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وجعل غدّوها شهراً ورواحها شهراً، وسخر الله له الشياطين كل بنّاء وغوّاص وعلم منطق الطير ومكّن له في الأرض فعلم الناس في وقته وبعده أن مُلْكه لا يشبه مُلْك الملوك الجبارين من الناس والمالكين بالغلبة والجور﴿ واذْكُرْ عَبْدَنا أيوبَ﴾ هو من ولد عيص بن إسحاق وزوجته (ليا) بنت يعقوب أو «رحمة» بنت افرائيم بن يوسف﴿ إِذْ نَادىَ رَبَّهُ﴾ بدل من (عبدنا) و(أيوب) بيان له﴿ أَنّي﴾ بأني ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ﴾ وسكن حمزة الياء﴿ بِنُصْبٍ﴾ بتعب، وقرأ يعقوب بضمتين ﴿ وعَذابٍ﴾ ألم وأسنده إلى الشيطان لأن الله سلّطه عليه ابتلاء لصبره، أو لرعاية الأدب، أو لأن المراد: مسّه بالأحزان الحاصلة له بوسوسته من تعظيم بلائه وإغرائه على الجزع والقنوط من الرحمة﴿ ارْكُضْ﴾ أي: قيل له: اضرب ﴿ بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضربها فنبعت عين، فقيل: ﴿ هَذا مُغْتَسَلٌ﴾ ما يغتسل به﴿ بارِدٌ وشَرابٌ﴾ تشرب منه فاغتسل واشرب فبرأ ظاهره وباطنه.

[سورة ص الآيات٤٣ – ٦١]

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى

ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

﴿ ووهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بأن أحييناهم بعد موتهم. وسئل الصادق (ع) كيف أوتي مثلهم معهم؟ قال: أحيي له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ. وعنه (ع): أحيى الله له أهله الذين كانوا قبل البليّة، وأحيى له الذين ماتوا وهو في البليّة ﴿ رَحْمَةً مِنَّا﴾ لرحمتنا عليه ﴿ وذِكْرى لِأُولي الألْبابِ﴾

وعظة لهم ليصبروا كما صبر﴿ وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ حزمة من حشيش ونحوه ﴿ فَاضْرِبْ بِهِ ولا تَحْنَثْ﴾ لما روي أنه حلف أن يضرب زوجته في أمر ثم ندم عليه، فحلل اللّه يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود﴿ إِنَّا وجَدْنَاهُ صابراً﴾ فيما أصابه في النفس والأهل والمال﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أيوب﴿ إِنَّهُ أو ابٌ﴾ مقبل بشراشره[1] على اللّه﴿ واذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وإِسْحاقَ ويَعْقُوبَ﴾ وقرأ ابن كثير (عبدنا) بجعل إبراهيم لفضله بياناً له وما بعده عطف على (عبدنا)﴿ أُولِي الأَيْدِي والأَبْصارِ﴾ عن الباقر (ع): أولي القوة في العبادة والبصيرة فيها﴿ إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ﴾ جعلناهم خالصين لنا خالصة لا شوب فيها، هي:﴿ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ تذكرهم للدار الحقيقية وهي الآخرة والعمل لها وأضاف نافع وهشام (بخالصة) إلى (ذكرى) للبيان، أو لكونها مصدراً أضيف إلى فاعلها، أي: بخلوص ذكراها﴿ وإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين﴿ الأَخْيارِ﴾ جمع (خيّر) مشدداً أو مخففاً كـ(أموات) لـ(ميّت وميْت) أو خير كـ(شر وأشرار)﴿ واذْكُرْ إِسْماعِيلَ والْيَسَعَ﴾ قيل: هو ابن أخطوب استخلفه الياس على بني إسرائيل ثم استنبئ﴿ وذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته. وعن الباقر (ع): إنه نبي مرسل سمي به لتكفله بصيام نهاره وقيام ليله والحكم بالحق فوفى به، أو لأنه كفل مائة نبي فرّوا إليه من القتل﴿ وكُلٌّ﴾ أي: كلهم﴿ مِنَ الأَخْيارِ هَذا﴾ أي: ما ذكر من أحوالهم﴿ ذِكْرٌ﴾ شرف لهم، أو نوع من الذكر وهو القرآن، ثم أخذ في ذكر جزاء المتقين والطاغين فقال:﴿ وإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مرجع في الآخرة﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ بيان له﴿ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ﴾ منها حال منها وعاملها معنى الفعل في

---

(١) الشراشر: المراد بها الهموم والأزمات التي يتعرض لها الانسان في حياته . والمعنى: ان أيوب(ع) اقبل بهمومه وآلامه على الله ولم يذهب الى المخلوق العاجز.

(للمتقين) والمعنى: لا يقفون حتى تفتح ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا﴾ حالان مترادفتان، أو متداخلتان من الضمير في (لهم) أو يدعون استئناف ومتكئين حال من ضميره ﴿بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ أي: يتحكمون في ثمارها وشرابها فإذا قالوا لشيء منها (أقبل) حصل عندهم ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ جمع ترب وهو اللدة[1] أي: لدات، أو قرينات لهم في السن، أو بعضهن قرين بعض لا عجائز ولا صبية ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ لأجله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ انقطاع ﴿هَذَا﴾ أي: الأم هذا، أو خذ هذا، أو هذا للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ﴾ مرّ إعرابه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش الممهد هي ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب هذا، أو مفعول فعل يفسره: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ أو مبتدأ خبره ﴿حَمِيمٌ﴾ ماء شديد الحرارة وهو ـ على الأولين ـ خبر محذوف أي: هو حميم ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ ما يغسق أي: يسيل من صديد أهل النّار. وشدّده حفص وحمزة والكسائي. والقمي: (الغسّاق) واد في جهنم فيه ثلاثمائة وثلاثون قصراً، في كل قصر ثلاثمائة بيت، في كل بيت أربعون زاوية، في كل زاوية شجاع، لكل شجاع ثلاثمائة وثلاثون عقرباً في جمة، كل عقرب ثلاثمائة وثلاثون قلّة من سم، لو أنّ عقرباً منها نضحت سمّها على أهل جهنم لوسعهم سمّها ﴿وَآخَرُ﴾ مذوق آخر. وضمّه أبو عمرو جمعاً أي: ومذوقات أخر ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ من مثل المذكور من الحميم والغسّاق في الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾ أصناف، أو أنواع خبر لـ(آخر) أو صفة له أو للثلاثة ويقال لقادتهم إذا دخلوا النار ثم دخل الأتباع: هذا ﴿فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾ داخل بشدة ﴿مَعَكُمْ﴾ النار

---

(١) اللّدة: من ولد معك في وقت واحد.

فيقول القادة: ﴿لا مَرْحَباً بِهِمْ﴾ لا أتوا رحباً وسعة، و(بهم) بيان للمدعو عليهم ﴿إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ﴾ داخلوها مثلنا فيشددون الضيق علينا ﴿قالُوا﴾ أي: الأتباع ﴿بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ﴾ أنتم أحق بما قلتم ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: العذاب ﴿لَنا﴾ بحملكم إيانا على العمل الذي هذا جزاؤه ﴿فَبِئْسَ الْقَرارُ﴾ المقر لنا ولكم جهنم ﴿قالُوا أيضا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾ وذلك أن يزيد عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب.

[سورة ص الآيات ٦٢ - ٨٨]

وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ

أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿ وقالوا﴾ أي: أهل النار﴿ ما لَنا لا نَرى رِجالاً كُنّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرارِ﴾ القمي: ثم يقول أعداء آل محمد (ص) في النار: مالنا... إلخ من الأشرار في الدنيا وهم شيعة أمير المؤمنين (ع)﴿ أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا﴾ استفهام إنكار على أنفسهم. وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائي بهمزة الوصل صفة أخرى لـ(رجلا) وضمّ نافع وحمزة والكسائي سخرياً﴿ أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصارُ﴾ أم عديلة لـ(ما لنا لا نرى) كأنهم قالوا: ليسوا فيها أم فيها ومالت عنهم أبصارنا فلم نرهم؟ أو لاتخذناهم على الاستفهام، وجعل زيغ الأبصار كناية عن تحقيرهم أي: أسخرنا منهم أم حقرناهم إنكاراً لهما،

أو منقطعة تتعلق بمالنا أو بـ(اتخذناهم) ﴿إِنَّ ذلكَ﴾ المحل ﴿لَحَقٌّ﴾ واجب الوقوع وهو ﴿تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ بعضهم لبعض ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ﴾ مخوف بالعذاب ﴿وما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْواحِدُ﴾ من جميع الوجوه ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكل شيء ﴿رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُمَا﴾ أردف القهر باللطف ثم أكدهما بقوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْغَفَّارُ﴾ لذنوب من يشاء ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: ما أنبأتكم به من التوحيد والنبوة والبعث، أو القرآن المعجز ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لا تنظروا في حججه الباهرة لتعلموا حقيقته. عن الباقر (ع): هو ـ واللّه ـ أمير المؤمنين (ع). وعن الصادق (ع): (النبأ) الإمامة ﴿ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلى﴾ أي: الملائكة، وفتح حفص الياء ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ إذ الاطلاع على كلام الملائكة وتقاولهم لا يحصل إلاّ بالوحي. وشبّه بالتخاصم لأنه سؤال وجواب، و(إذ) ظرف للعلم ﴿إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ المستثنى علة لـ(يوحى) أو مرفوع به وقرىء إنما بالكسر على الحكاية ﴿إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ نصب بـ(اذكر) مقدّراً، أو بدلاً من إذ قبله مما تقاولوا فيه أمر آدم من قولهم: أ تجعل فيها... إلخ كأنهم قالوه أولاً فيما بينهم ثم خاطبوا اللّه به فلا يعمه الملأ الأعلى، إلاّ أن يراد: علو الشرف، فيعمه والملائكة، واقتصر من قصته على ما هو الغرض وهو إنذار الكفرة على استكبارهم على الرسول بما حلّ بإبليس على استكباره على آدم ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ﴾ عدّلته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أضاف الروح إلى نفسه تشريفاً له ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ لتكرمته ﴿ساجِدِينَ﴾ للّه ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ تأكيدان ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ تعظّم ﴿وكانَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾ في علم اللّه ﴿قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ بنفسي بلا توسّط سبب وهذا تشريف له، والتثنية تشعر بمزيد العناية بخلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ﴾ تكبرت من

غير استحقاق، أو كنت ممن علا واستحق التفرق، توبيخ ﴿ قالَ أنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ أجاب بعلوه وجعله مانعاً ﴿ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ مرّ تفسيره في الأعراف، وغيره ﴿ قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي ﴾ وقريء بفتح الياء ﴿ إلى يَومِ الدِّينِ، قالَ رَبِّ فَأَنظِرْني إلى يَومِ يُبْعَثُونَ، قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إلى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ فسرّ في الحجر ﴿ قالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ بسلطانك وقدرتك ﴿ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ بالكسر والفتح ـ كما مرّ ـ ﴿ قالَ فَالْحَقُّ ﴾ نصب بمقدر أي: أحق الحق ﴿ والْحَقَّ ﴾ مفعول ﴿ أَقُولُ ﴾ والأول بنزع حرف القسم ويراد به: اسم الله، ورفعه عاصم وحمزة مبتدأ، أي: الحق قسمي، أو خبراً أي: أنا الحق وجواب القسم ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ وما بينهما اعتراض ﴿ مِنْكَ ﴾ من جنسك وهم الشياطين ﴿ ومِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من الناس ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للجنسين ﴿ قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ على التبليغ ﴿ وما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ المتصنعين المتحلين لما لا حجة عليه من النبوة والقرآن ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ ﴾ عظة ﴿ لِلْعالَمِينَ ﴾ للثقلين ﴿ ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ ﴾ من الوعد والوعيد ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ عن علي (ع) قال عند خروج القائم (ع) وقيل: بعد الموت الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، أو يوم القيامة، أو عند علوّ الدين تهديد لهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة (ص) وتفسيرها.

سورة الزّمر

اثنتان أو خمس وسبعون آية، مكيّة.

إلاّ آية: (قل يا عبادي الذين أسرفوا ...)

[الآيات ١ – ٥]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلُ الْكِتابِ﴾ أي: القرآن مبتدأ خبره: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أو خبر محذوف كهذا والجار صلته، أو خبر ثان، أو حال عاملها (تنزيل) ﴿الْعَزِيزِ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في تدبيره ﴿إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ﴾ متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ فكل ما فيه حق مؤيد بالحجة ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك والرياء ونحوهما ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ﴾ لأنه المتفرد بصفات الألوهية والإطلاع على الأسرار والضمائر ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ﴾ كالملائكة وعيسى والأصنام، والخبر: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى﴾ قربى بإضمار القول، أو هو حال والخبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمور الدين فيعاقب كُلاً بقدر استحقاقه، وقيل: بإدخال المحق الجنة والمبطل النار، والضمير للكفرة ومقابليهم، أو لهم ولمعبوديهم فإنهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ﴾ بنسبة الشرك والولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ لنعمه بعبادة غيره، أي: يخليه وكفره، أو لا يحكم بهدايته ﴿لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ كما زعموا ونسبوا إليه الملائكة والمسيح وعزيزاً ﴿لَاصْطَفى﴾ لاختار ﴿مِمَّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ أي: ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاؤوا بل كان يختص من خلقه من يشاء لذلك نظيره: (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنّا)[1] ﴿سُبْحانَهُ﴾ عن الشريك والصاحبة والولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ليس له في الأشياء شبيه ولا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم ـ كما عن علي (ع) ـ ﴿خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يغشي كل واحد منهما الآخر، كأنه يلف اللباس باللابس، أو يغيبه به كما يغيب

(١) سورة الأنبياء الآية ١٧.

الملفوف باللفافة، أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تتابع إكوار العمامة ﴿ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى﴾ منتهى دوره، أو هو يوم القيامة ﴿ ألا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يغالب ﴿ الْغَفَّارُ﴾ برحمته لمن يشاء.

[سورة الزمر الآيات ٦-١٠]

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠)

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ فيه آيتان خلق آدم من غير أب وأم، وتشعيب الخلق الكثير منه لأن زوجته حواء منه كما قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوجَها﴾ من فضل طينته كما مرّ في سورة النساء، و(ثم) لتفاوت ما بين الآيتين، إذ التوليد عادة جارية، أو عطف على معنى (واحدة) أي: من نفس وجدت ثم شفعها بزوج منها، أو على صفة مقدّرة لـ(نفس) نحو خلقها﴿وأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ أنشأ بسبب ما أنزله من المطر، أو قسم لأن قسمته كتبت في اللوح وينزل من هناك﴿مِنَ الأنعامِ﴾ الإبل والبقر والضأن والمعز﴿ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ﴾ من كل زوج ذكر وأنثى﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ﴾ أنتم وسائر الحيوان، غلّب العقلاء فخاطبهم لشرفهم﴿خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم كسوتها لحماً، ثم حيواناً سوياً﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾ عن الباقرين (ع): ظلمة البطن، وظلمة الرّحم، وظلمة المشيمة.﴿ذلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هو إلهكم الحق المالك لكم﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ على الحقيقة ﴿لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾لا يشاركه في الخلق غيره﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى الإشراك؟﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ عن إيمانكم﴿ولا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنه سبب فلاحكم، والهاء لمصدر (تشكروا) وقريء بإسكان الهاء وبإشباع ضمّتها، القمي:

فهذا كفر النعم، وفي رواية: الكفر ـ هنا ـ الخلاف، والشكر: الولاية والمعرفة ﴿ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى، ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ لا تخفى عليه خافية، ومرّ مثله مراراً ﴿ وإِذا مَسَّ الانْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنيباً﴾ أي: راجعاً ﴿ إِلَيْهِ﴾ لكشف ضرّه ﴿ ثُمَّ إِذا خَوَلَهُ﴾ أعطاه تفضلاً فإن التخويل يختص بالتفضّل ﴿ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ من اللّه ﴿ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ﴾ من الضرّ الذي كان يدعو ربّه إلى كشفه، أو ربّه الذي كان يتضرع إليه، و(ما) بمعنى: من ﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل النعمة ﴿ وجَعَلَ لِلّهِ أَنْداداً ﴾ شركاء ﴿ لِيَضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ الذي تشتهيه لا لحجة وهو أمر تهديد ﴿ قَليلاً﴾ مدّة حياتك القليلة الزائلة ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ﴾ في الآخرة. عن الصادق (ع): نزلت في أبي الفصيل كان رسول اللّه (ص) عنده ساحراً فكان إذا مسّه الضرّ يعني السقم دعا ربّه منيباً إليه يعني: تائباً من قوله فيه (ص) ثم إذا خوّله نعمة منه يعني: العافية نسي ما كان يدعو إليه من قبل يعني التوبة إلى اللّه مما كان يقول في رسول اللّه (ص) ولذلك قال اللّه: (قل تمتع بكفرك قليلا) ﴿ أَمَّنْ هُو قانِتٌ﴾ دائم على الطاعات. وعن الباقر (ع): إنها صلاة الليل. و(أم)متصلة بمقدّر أي: الكافر خير أمّن هو قانت؟ أو منقطعة أي: بل أمّن هو قانت كمن هو عاص؟ وخففه الحرميّان وحمزة بتقدير: أمن هو قانت كغيره ﴿ آناءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿ ساجِداً وقائِماً﴾ جامعاً بين الصفتين ﴿ يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ أي: عذابها حال ثالثة مرادفة، أو مداخلة، أو استئناف، وكذا ﴿ ويَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ فهو متقلب بين الخوف والرجاء ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستوي القانتون والعاصون كما لا يستوي العالمون والجاهلون ﴿ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ بالمواعظ والآيات، وعن الصادق (ع): إنما نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون

وشيعتنا أولوا الألباب﴿ قُلْ يا عِبادِ الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بلزوم طاعته﴿ لِلَّذينَ أَحْسَنُوا في هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ﴾ في الآخرة هي الجنة، عن علي (ع): إن المؤمن ليعمل لثلاث من الثواب، أما الخير فإن الله يثيبه بعمله في دنياه، ثم تلا هذه الآية، ثم قال: فمن أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة.﴿ وأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ﴾ فمن لم يتمكن من الطاعة في أرض فليهاجر إلى حيث يتمكن﴿ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على الطاعة، أو الأعم﴿ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ وفي النبوي: إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان، ثم تلا الآية. وفي الصادقي: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قول الله: إنما يوفّى... الآية.

[سورة الزمر الآيات ١١- ٢١]

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟

ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً﴾ موحداً ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ وفتح نافع الياء ﴿وأُمِرْتُ﴾ بذلك ﴿لأنْ﴾ لأجل أن ﴿أكُونَ أوّلَ الْمُسْلمينَ﴾ سابقهم في الدارين وأوّل من أسلم من هذه الأمّة، والعطف باعتبار التعليل فلا تكرير، وقيل: اللام بمعنى الباء، أو زائدة ﴿قُلْ إِنِّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بترك الإخلاص ﴿عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ لعظم أهواله ﴿قُلِ اللَّهَ أعْبُدُ﴾ قدم المفعول للحصر ﴿مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾ من الشرك ﴿فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِه﴾ تهديد وخذلان لهم ﴿قُلْ إنَّ الْخاسِرِينَ﴾ في الحقيقة الكاملين في الخسران ﴿الَّذينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ﴾ بإدخالها النار. وعن الباقر (ع) يقول: غبنوا يوم القيامة ﴿وأهْلِيهِمْ﴾ لعدم انتفاعهم بهم سواء كانوا معهم ،أو في الجنة. وقيل: أهلوهم الحور المعدّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿ألا ذلِكَ هُو الْخُسْرانُ

﴿الْمُبِينُ﴾ تفظيع لحالهم بالاستيناف مصدراً بـ(ألا) وتوسيط الفعل وتعريف الخسران و وصفه بالوضوح ﴿لَهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أطباق منها تظلهم ﴿ومِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أطباق منها قيل: وهي ظلل الآخرين ﴿ذلكَ﴾ العذاب ﴿يُخَوفُ اللّهُ بِه عبادَهُ﴾ ليجتنبوا توقعهم فيه ﴿يا عِبادِ فَاتَّقُونِ ﴾ ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي ﴿والَّذينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ البالغ غاية الطغيان من الشيطان، أو الأوثان ﴿أنْ يَعْبُدُوها﴾ بدل اشتمال ﴿وأنابُوا إلَى اللّهِ﴾ اقبلوا إليه بكليتهم ﴿لَهُمُ الْبُشْرى﴾ بما يسرّهم عند الموت على ألسنة الرسل والملائكة. عن الصادق (ع) قال: أنتم هم ومن أطاع جبّاراً فقد عبده. ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذينَ﴾ بحذف الياء، وفتحها أبو شعيب وصلاً وسكنها وقفاً ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ﴾ أولاه بالقبول وأرشده إلى الحق. وعن الصادق (ع): هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص. وعنه (ع): هم المسلّمون لآل محمد (ص) الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه. وعن الكاظم (ع): إن اللّه بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: فبشر... الآية ﴿أو لئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللّهُ﴾ لدينه ﴿وأولئكَ هُمْ أولُوا الألْبابِ﴾ العقول السليمة عن علل الهوى ﴿أ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ أ فَأنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ إنكار واستبعاد لاستنقاذه من حقّ عليه الكلمة من النار بالسعي في دعائه إلى الإيمان، ودلالة على أنّ من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف، والفاء الأولى عطف على مقدّر، أي: أنت مالك أمرهم فمن حقّ عليه كلمة العذاب بسوء اختياره فأنت تنقذه ﴿لكِنِ الَّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوقِها غُرَفٌ﴾ علالي بعضها فوق بعض ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ بنيت بناء المنازل على الأرض ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهارُ﴾ من تحت الغرف ﴿وعْدَ اللّهِ﴾ وعدهم اللّه ذلك وعداً ﴿لا يُخْلِفُ اللّهُ الْمِيعادَ﴾ وعده عن النبي (ص) في الآية تلك غرف بناها اللّه لأوليائه بالدرّ والياقوت والزبرجد، سقوفها الذهب

محبوكة بالفضة، لكل غرفة منها ألف باب من ذهب، على كل باب منها مَلَكٌ موكل به، وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والعنبر والكافور... الخبر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ﴾ الينبوع: المنبع والنابع، وهي ظرف أو حال أي: أدخله في مجاريه كائنة ﴿فِي الأرضِ﴾ أو حال كونه مياهاً نابعة فيها ﴿ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ﴾ أصنافه من برّ وشعير وغيرهما، أوكيفياته كالخضرة وغيرها ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس لأنه إذا يبس يثور ويذهب ﴿فَتَراهُ مُصْفَرّاً﴾ ليبسه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً﴾ لفتاته ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى﴾ لتذكيراً بأنه لا بد من صانع حكيم دبّره وسواه، وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغترّ بها ﴿لأُولِي الألبابِ﴾ إذ لا يتذكر غيرهم.

[سورة الزمر الآيات ٢٢ - ٣١]

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلاسْلامِ﴾ لطف بقلبه حتى رغب إليه بيسر ﴿فَهُوَ عَلى نُورٍ﴾ دلالة أو هدى ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ والخبر محذوف أي: كمن هو قاسي القلب بدلالة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ من أجل ذكره في القرآن وغيره و(من) أبلغ من (عن) لأن القاسي منه أشدّ نفرة له من القاسي عنه لسبب آخر، عن الصادق (ع): القسوة والرّقة من القلب، وهو قوله فويل... الآية. وعن النبي (ص) في قوله: (فهو على نور من ربّه) إنّ النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح، قيل: فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله. والقمي قال: نزلت في أمير المؤمنين، والعامّة: نزلت في حمزة وعلي (ع) وما بعده في أبي لهب وولده ﴿أولئكَ في ضَلالٍ مُبينٍ﴾ بيّن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَديثِ﴾ يعني: القرآن ﴿كِتاباً﴾ بدل من (أحسن) أو حال منه

﴿ مُتَشابِهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً في البلاغة وحسن النظم والإعجاز وصحة المعنى والدلالة بلا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[(١)] ﴿ مَثانِيَ﴾ من الثناء لأنه يثني على الله بنعوت كماله وصفات جلاله، أو من التثنية لأنه تثنى فيه القصص والمواعظ وغيرها، أو تثنى تلاوته. وإنما وصف الواحد بالجمع لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ترتعد خوفاً من وعيده ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فيه بالرّحمة، ولبناء أمره عليها أطلق عليه (الذكر) وعدّي بـ(إلى) لتضمين معنى الإطمئنان، ولم يذكر القلوب أولاً لإشعار الخشية بها ﴿ ذلِكَ﴾ الكتاب ﴿ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ من المؤمنين لأنهم المنتفعون به ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ بتخليته وسوء اختياره ﴿ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ عن ضلالة ﴿ أَ فَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ ﴾ بأن تغلّ يداه إلى عنقه فلا يتقي عن نفسه إلاّ بوجهه ﴿ سُوءَ الْعَذابِ﴾ شدّته ﴿ يَومَ الْقِيامَةِ﴾ كمن هو آمن منه؟ ﴿ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ والقائل: خزنة النار ﴿ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: وباله[(٢)] ﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتاهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ من الجهة التي كانت لا تخطر ببالهم إن الشرّ يأتيهم منها ﴿ فَأَذاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾ الذل ﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ﴿ وَلَعَذابُ الآخِرَةِ﴾ المعدّ لهم ﴿ أَكْبَرُ﴾ لشدّته ودوامه ﴿ لَو كانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لاعتبروا به واجتنبوا منه ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاج إليه الناظر في أمر دينه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون به ﴿ قُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ اختلاف وانحراف عن الحق ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢

(٢) عاقبته .

الكفر ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً ﴾ للمشرك والموحّد ﴿ رَجُلاً ﴾ مملوكاً، بدل من (مثلاً) ﴿ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ متنازعون في استخدامه، سيئو الأخلاق، يتجاذبونه في أغراضهم المختلفة، وهو مَثَل المشرك في تحيّره في رضى كل من معبوديه المتنازعين فيه ﴿ ورجلاً ﴾ سالماً خالصاً. قرأه ابن كثير وأبوعمرو، وقرأ الباقون ﴿ سَلَماً ﴾ بفتحتين مصدر وصف به، أو بتقدير: ذا ﴿ لِرَجُلٍ ﴾ واحد لا شركة لغيره فيه وهو مثل الموحّد ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ صفة تمييز أي: لا يستويان إذ رضى واحد ممكن ورضى جماعة مختلفين ممتنع، وحاصله يرجع إلى التمانع. القمي: مثل ضربه الله لأميرالمؤمنين ولشركائه الذين ظلموه وغصبوه متشاكسون أي: متباغضون، وقوله: (رجلاً سلما لرجل) أمير المؤمنين سلم لرسول الله (ص)، وعن الباقر (ع): الرجل السلم للرجل حقاً علي (ع) وشيعته. ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على إلزامهم الحجّة ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لزومها لهم ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ستموت ويموتون، فلا شماتة بما يعم الكل ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ تحتج عليهم بانك قد بلغت وأنهم كذبوا، ويعتذرون بما لا يجدي، أو أريد تخاصم الناس فيما بينهم من المظالم.

[سورة الزمر الآيات ٣٢ - ٤٠]

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ وكَذَّبَ بالصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿ إِذْ جاءَهُ﴾ بلا تردد فيه ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾ مقام ﴿ لِلْكافِرِينَ﴾ المعهودين، أو للجنس استفهام تقرير ﴿ والَّذي جاءَ بالصِّدْقِ﴾ بالقرآن، وهو محمد (ص) ﴿ وصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: هو ومن تبعه لقوله: ﴿ أُولئكَ هُمُ الْمُتَّقونَ﴾ أو أريد به الجنس ليشمل الرسل وأتباعهم وعنهم (ع): (جاء بالصدق محمد (ص) (وصدّق به) أمير المؤمنين (ع). ﴿ لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة ﴿ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوأَ الَّذي عَمِلُوا﴾ أي:

سيئه. وفائدة صيغ التعظيم استعظامهم الذنب، حتى ان الصغائر عندهم أسوأ أعمالهم ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعادل حسناتهم بأحسنها فيضاعف أجرها﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: الرسول (ص) أو الجنس لقراءة حمزة والكسائي (عباده) أي: الأنبياء، أو الأعم﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ أي: الكفرة﴿ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِه﴾ الأصنام. قيل: قالت قريش: إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك إياها[1]. ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يخلّيه وضلاله﴿ فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ عن ضلاله﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ يلطف به لكونه أهل اللطف﴿ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب أمره﴿ ذِي انْتِقامٍ﴾ من أعدائه﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ معترفين بذلك لوضوح البرهان على تفرّده﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام ﴿ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ وسكن حمزة الياء﴿ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ﴾ ونونهما أبوعمرو ونصب (ضرّه) و(رحمته) ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كاشفاً للضرّ ومصيباً بالرحمة﴿ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعلمهم بأنّ الكل منه ﴿ قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ﴾ حالكم. استعير ما للمكان للحال. وقرأ أبو بكر(مكاناتكم)﴿ إِنِّي عامِلٌ﴾ على حالي﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ الذي يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ﴾ وقد أخزاهم اللّه يوم بدر﴿ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار.

---

(١) وحتى في زماننا هذا يعتقد بعض الناس بمثل هذه العقائد . ويطلقون عليها في العامية (الشارة).

[سورة الزمر الآيات ٤١ -٤٧]

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ (٤١) ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ (٤٥) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ (٤٧)

﴿ إِنَّا أَنزَلْنا عَلَيْكَ الْكتابَ لِلنَّاسِ﴾ لمصالحهم في معاشهم ومعادهم ﴿ بِالْحَقِّ﴾ متلبساً به ﴿ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ﴾ نفع به نفسه ﴿ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾ فان وباله لا يتخطاها ﴿ وما أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوكيلٍ﴾ لتجبرهم على الهدى وإنما عليك البلاغ. ﴿ اللَّهُ يَتَوفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوتِها والَّتي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها﴾ أي: يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهراً وباطناً وذلك عند الموت، أو ظاهراً لا باطناً وهو في النوم ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوتَ﴾ لا يردها إلى البدن. وبنى حمزة والكسائي (قضى) للمفعول ورفعاً (الموت) ﴿ ويُرْسِلُ الأُخْرى﴾ أي: النائمة إلى بدنها عند اليقظة ﴿ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو الوقت المضروب للموت. عن الباقر (ع): ما من أحد ينام الا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه، وصار لها سبب كشعاع الشمس، فإن أذن اللّه في قبض الروح أجابت الروح النفس، وإن أذن اللّه في ردّ الروح أجابت النفس الروح، وهو قوله: (اللّه يتوفى...) إلخ فما رأت في ملكوت السماوات فهو ممّا له تأويل، وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو مما يخيّله الشيطان ولا تأويل له ﴿ إِنَّ في ذلكَ﴾ المذكور ﴿ لآياتٍ﴾ على كمال قدرته وحكمته، وشمول رحمته ﴿ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في هذا التدبير العجيب فيعلمون أنّ من تفرّد به منزّه عن الشريك قادر على البعث ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذ المشركون ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آلهة ﴿ شُفَعاءَ﴾ عند اللّه ﴿ قُلْ أَ ولَو﴾ يشفعون ولو ﴿ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً ولا يَعْقِلُونَ﴾ كما ترونهم جمادات لا تقدر ولا تعقل ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً﴾ أي: هو مختصّ بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه، ولعله ردّ لما قالوا ان الشفعاء أشخاص مقربون هذه تماثيلهم ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فلا ملك حينئذ إلاّ له ﴿ وإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وحْدَهُ﴾ دون الهتهم ﴿ اشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي:

الأصنام﴿ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله. وعن الصادق (ع): إذا ذكر الله وحده بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمد (ص) اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الله الذين أمر الله بطاعتهم إذا هم يستبشرون. ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى: يا الله﴿ فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ عالِمَ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فاحكم بيني وبينهم، وفيه بشارة لهم بالنصر لأنه انما أمره للإجابة﴿ ولَوْأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ومِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وبَدا﴾ ظهر﴿ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وعيد بليغ، ونظيره في الوعد: (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم)[1].

[سورة الزمر الآيات٤٨ -٥٦]

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَٰعِبَادِىَ

---

(١) سورة السجدة الآية ١٧.

ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿ وبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا﴾ في صحايفهم، أو بدا جزاء سيئاتهم ﴿ وحاقَ﴾ وأحاط ﴿بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ أي: العذاب ﴿ فَإِذا مَسَّ الأنسانَ﴾ جنسه ﴿ ضُرٌّ دَعانا﴾ ملتجئاً، عكس ما كان عليه من اشمئزازه من التوحيد واستبشاره بذكر الأصنام، ولذا عطف بالفاء على (وإذا ذكر الله وحده) وبينهما اعتراض ﴿ ثُمَّ إِذا خَوَلْناهُ﴾ أعطيناه ﴿ نِعْمَةً مِنّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ﴾ من الله باستحقاقي له، أو مني بوجوه جلبه. والهاء للنعمة بمعنى الأنعام، أو المراد: شيء منها ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ اختبار له أيشكر أم يكفر؟ لا ما قاله. وتأنيث الضمير للفظ النعمة، أو لتأنيث الخبر ﴿ ولكنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ﴿ قَدْ قالَها﴾ أي: تلك الكلمة، أو المقالة ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قارون وقومه لرضاهم بها ﴿ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المال ﴿ فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا﴾ أي: جزاؤها وسمّي (سيئة) للمقابلة كما في: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[1]

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.

﴿ والَّذينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤلاءِ ﴾ أي: قريش. و(من) بيانيّة أو تبعيضية ﴿ سَيُصيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وما هُمْ بِمُعْجِزينَ ﴾ بفائتين وقد أصابهم القحط سبع سنين والقتل ببدر ﴿ أ ولَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ يوسّعه ﴿ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ ﴾ يضيّقه كما ضيّقه عليهم سبعاً ثم وسّعه لهم سبعاً ﴿ إنَّ في ذلِكَ لأياتٍ لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بانه الباسط والقابض ﴿ قُلْ يا عِبادِيَ ﴾ سكن حمزة الياء وحذفها وصلاً هو وأبو عمرو والكسائي، وفتحها الباقون ﴿ الَّذِينَ أسْرَفُوا ﴾ بالذنوب والجنايات ﴿ عَلى أنْفُسِهِمْ ﴾ وهو إمّا خاصّ بالمؤمنين، أو عام مشروط بالتوبة والإيمان ﴿ لا تَقْنَطُوا ﴾ كسر النون أبوعمرو والكسائي، وفتحها الباقون. لا تيأسوا ﴿ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ ﴾ من مغفرته وتفضّله ﴿ إنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً ﴾ الشرك مع التوبة وغيره مطلقاً لمن يشاء ﴿ إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ ﴾ قيل: والآية بالغة في اتّساع رحمته بوسم المذنبين بذلّ العبودية واضافتهم إليه الموجبين للترحّم، وقصر إسرافهم على أنفسهم ونهيهم عن القنوط المتضمّن لتحقيق الرجاء، وإضافة الرّحمة إلى اسمه دون ضميره، وتكريره في (أن اللّه)، والتعليل بذلك مصّدرا بـ(أنّ)، مع تأكيد الذنوب بـ(جميعاً)، وتعليله بما يتضمّن الوعد بالمغفرة والرحمة مؤكداً بـ(إنّ)، والفصل وتعريف الخبر. القمي: نزلت في شيعة علي (ع). وعن الصادق (ع): لقد ذكركم اللّه في كتابه إنه يقول: (يا عبادي...) الآية واللّه ما أراد بهذا غيركم. وعنه (ع): ما على ملّة ابراهيم غيركم وما يقبل إلا منكم، ولا يغفر الذنوب الا لكم. وعن علي (ع): ما في القرآن آية أوسع من(يا عبادي...) إلخ. وعن النبي (ص) ما أحبّ ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ وأنيبُوا ﴾ ارجعوا ﴿ إلى رَبِّكُمْ ﴾ بالتوبة ﴿ وأسْلِمُوا ﴾ أخلصوا العمل له ﴿ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَكُمُ العَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ لا تمنعون منه ﴿ واتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي: القرآن، أو العزائم دون الرّخص ﴿ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَكُمُ العَذابُ بَغْتَةً وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ مجيئه

فتتداركون به﴿ أنْ﴾ لأن، أو كراهة أن﴿ تَقُولَ نَفسٌ﴾ ونكرت لأن القائل بعض الأنفس﴿ يا حَسْرَتى﴾ أصله: يا حسرتي أي: ندامتي﴿ عَلى ما فَرَّطْتُ﴾ قصرّت ﴿ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ في حقه، أو طاعته أوامره، أو قربه. ومنه (والصاحب بالجنب)[1]. عنهم (ع): نحن جنب الله. وفي المستفيضة: هو أمير المؤمنين(ع).﴿ وإنْ﴾ هي المخففة أي: ﴿ وانّي كُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِينَ﴾ المستهزئين بالقرآن والرسول والمؤمنين، و(الواو) للحال، أو العطف، و(اللام) فارقة.

[سورة الزمر الآيات٥٧-٦٧]

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ

---

(١) وردت هذه العبارة في سورة النساء الآية ٣٦.

ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿أو تَقُولَ لوأنّ اللّهَ هَداني﴾ أرشدني إلى دينه ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقينَ﴾ معاصيه ﴿أو تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لو أنّ لي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فأَكُونَ مِنَ الْمُحْسنينَ﴾ في العقيدة والعمل، وأو للدلالة على أنه لا يخلو من هذه الأقوال تحيّراً، أو تعللاً بما لا طائل تحته، فردّ اللّه عليه ما نفاه ضمنا من هدايته فقال: ﴿بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتي﴾ وهي سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بها واسْتَكْبَرْتَ وكُنْتَ مِنَ الْكافرينَ﴾ القمي: يعني بالآيات: الائمة (ع). ﴿ويَومَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وجُوهُهُمْ مُسْودَّةٌ﴾ مفعول ثان لـ(ترى) إن كان فعلاً قلبياً، والاّ فحال كفاها الضمير عن الواو. وعن الرضا (ع) ـ في الآية ـ قال: من ادّعى انه إمام وليس بإمام وان كان علوياً فاطمياً ﴿أليسَ في جَهَنَّمَ مَثْوىً﴾ مقام ﴿لِلْمُتَكَبِّرينَ﴾ عن الإيمان، استفهام تقرير. عنه (ع): إنّ في جهنم لواد للمتكبرين يقال له (سقر) شكا إلى اللّه شدّة حرّه وسأله أن يتنفس، فأذن له فتنفس فأحرق جهنم ﴿ويُنَجِّي اللّهُ الَّذينَ اتَّقَوا بِمَفازَتِهِمْ﴾ مَفْعَلَة من (الفوز) أي: بفلاحهم، أو بنجاتهم وهي أخصّ من الفلاح، أو بعملهم الصّالح وهو سببه، وجمعها أبو بكر وحمزة والكسائي لاختلاف

أجناسها، و(الباء) للسببية ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حال، أو استئناف يفسّر المفازة ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَعَلى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ﴾ حفيظ يدبّره ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأَرضِ﴾ مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وجميع الخيرات، لا يملك التصرّف فيها سواه. جمع (مَقْلَد) أو (مِقْلاد) ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ﴾ بدلائل تفرّده بالملك والقدرة ﴿أولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ لا أحد أخسر منهم ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أيها الْجاهِلُونَ﴾ غير مفعول (أعبد) و(تأمروني) اعتراض أي: أ فغير اللّه أعبد بعد هذا البيان بأمركم؟ فإنهم قالوا له: استسلم بعض الهتنا نؤمن بك. وقرأ ابن عامر (تأمرونني) بإظهار النونين وحذف نافع الثانية، وأدغم الباقون وفتح الحرميان الياء ﴿ولَقَدْ أوحِيَ إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الرسل أي: وإلى كل واحد منهم ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ فرضاً، وهو تهديد للأمة، و(اللام) موطئة للقسم ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (اللام) جواب القسم ﴿ولَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ عطف عليه. القمي: هذه مخاطبة للنبي (ص) والمعنى لأمته ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي: خصّه بالعبادة ﴿وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظّموه حقّ تعظيمه إذ أشركوا به غيره وعن الباقر (ع): ان اللّه لا يوصف، وكيف يوصف وقد قال في كتابه: (وما قدروا اللّه حق قدره)[1] فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك ﴿والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَومَ الْقِيامَةِ والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قيل: الغرض تصوير عظمته وإحاطة قدرته، بلا نظر إلى حقيقة ومجاز للقبضة واليمين، والقبضة: المرّة من القبض وسمّي بها المقبوض بالكف، و(جميعا) تأكيد، أو تنصب حالاً ليشمل السبع، و(مطويّات) مجموعات، أو مستولٍ عليها استيلاءك على الشيء

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١.

المطويّ. وعن الصادق (ع): قبضته يعني: ملكه لا يملكها معه أحد. قال: (اليمين) اليد و(اليد) القدرة والقوة، مطويات بيمينه يعني: بقدرته وقوته.﴿ سُبْحانَهُ وتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه من الشركاء.

[سورة الزمر الآيات٦٨- ٧٥]

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: المرّة الأولى ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ ومَنْ فِي الأرضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾ روي: هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل. وعن النبي (ص): هم الشهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ نفخة أُخْرى فَإذا هُمْ قِيامٌ﴾ من قبورهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ يقلبون أبصارهم في الجوانب ﴿وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها﴾ بعدله المزين لها والمظهر للحقوق فيها، سمّي (نوراً) إذ يظهر به الحقوق، كما سمّي الظلم(ظلمة). وفي الخبر: الظلم: ظلمات يوم القيامة. وعن الصادق (ع): رب الأرض: إمام الأرض، قيل: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: يستغني الناس عن ضوء الشمس وضوء القمر ويجتزون بنور الإمام. وعنه (ع): إذا قام قائمنا أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى الناس عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة. ﴿ووضِعَ الْكِتابُ﴾ جنسه أي: صحائف الأعمال في أيدي أهلها، أو اللوح يقابل بالصّحائف ﴿وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ﴾ للأمم وعليهم من الملائكة وغيرهم، أو من استشهدوا. القمي: (الشهداء) الائمة (ع) والدليل عليه في سورة الحج: (ليكون الرسول هيدا عليكم وتكونوا]أنتم معشر الائمة[شهداء على الناس)[1] ﴿وقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين

---

(١) مابين المعقوفتين ليس من الآية الكريمة. وهذا نص الآية: (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) سورة الحج الآية ٧٨.

العباد ﴿ بِالْحَقِّ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ ووفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ﴾ جزاءه ﴿ وهُو أعْلَمُ بما يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد، ثم فصّل ما أجمل فقال:﴿ وسِيقَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ بعنف﴿ إلى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة، أو الشرارة جمع زمرة وهي: الجماعة﴿ حَتَّى إذا جاؤها فُتِحَتْ أبْوابُها﴾ جواب إذا، وخفف الكوفيون التاء في الموضعين﴿ وقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها﴾ توبيخاً ﴿ ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ ويُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَومِكُمْ هذا قالُوا بَلى ولكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ وهي علمه تعالى بأنا نكفر فنعذب، فعدل الى الظاهر للإشعار بسبب العذاب، أو قوله: (لأملأنّ جهنم) الآية﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ﴾ مقدرين بأن مثواهم فيها لتكبرهم عن الحق﴿ وسِيقَ الَّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ﴾ بلطف إسراعاً بهم إلى دار الخلود﴿ فيها فَبِئْسَ مَثْوى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم ويشعر الكرامة، أو سيق مراكبهم بهم﴿ إلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾ بحسب مراتبهم في الرفعة﴿ حَتَّى إذا جاؤها وفُتِحَتْ﴾ وقد فتحت﴿ أبْوابُها﴾ فالواو للحال بتقدير (قد) للإشعار بأن أبوابها تفتح لهم قبل مجيئهم تكرمة لهم﴿ وقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ بشارة من السلامة للمكاره ﴿ طِبْتُمْ﴾ نفساً، أو طهرتم من الذنوب﴿ فَادْخُلُوها خالِدِينَ﴾ وجواب (إذا) مقدر أي: ما كان من الكرامات لهم، وإنما غير النظم ولم يجعل فتحت جزاء الشرط كما جعله في قسيمه لأنّه هنا في مقام ثواب أهل الجنّة، فحذف الجزاء ليدل على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لأن رحمته سبقت غضبه، فلا تفتح أبواب جهنم إلاّ عند دخول أهلها فيها، وأما أبواب الجنة فمقدّم فتحها لقوله تعالى: (مفتحة لهم الأبواب)[1]﴿ وقالُوا الْحَمْدُ لِلّه الَّذي صَدَقَنا وعْدَهُ﴾ بالثواب﴿ وأورَثَنا الأرْضَ﴾ أرض الجنة أي: ملكناها تمليك الوارث لما يرثه

---

(١) سورة ص الآية ٥٠.

نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأن لكل شخص جنّة واسعة كثيرة المنازل الحسنة ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ﴾ محدقين، حال ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ (من) زائدة، أو ابتدائية ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال مرادفة، أو مداخلة ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ متلبسين بحمده أي: مستغرقين في ذكره بصفات جلاله وكماله التذاذاً بذلك ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ بإدخال الكفرة النار والمتقين الجنة ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على إنزال كل منزلته. والقائل: الملائكة، والمؤمنون من المقضي بينهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الزمر وتفسيرها.

سورة غافر

خمس وثمانون آية، مكيّة.

إلاّ (الذين يجادلون) الآيتين.

[الآيات ١ - ٧]

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧

عن الباقر (ع): من قرأها في كل ليلة غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وألزم كلمة التقوى وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا. وعن الصادق (ع): الحواميم[1] رياح القرآن. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم﴾ عن الصادق (ع): معناه (الحميد المجيد). وأماله ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي صريحاً، وورش وأبوعمرو بين بين ﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ﴾ إعرابه كما في أوّل الزمر ﴿الْعَزِيزِ﴾ في سلطانه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل شيء، ثم وصف نفسه بما يتضمن الوعد والوعيد فقال: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ﴾ للمؤمنين وهو للدوام، فاضافته حقيقية فصحّ وصف المعرفة به، وكذا: ﴿وقابِلِ التَّوبِ﴾ مصدر كالتوبة. والواو يفيد الجمع بين الوصفين وان المغفرة تكون بدون توبة وإلاّ لزم التكرار ﴿شَدِيدِ الْعِقابِ﴾ أي: مشدّدة، أو الشديد عقابه فحذف (اللام) للإزدواج وأمن اللبس ويجوز جعل الكل أبدالاً لا هو وحده ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الفضل والإنعام ﴿لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا يستحق العبادة سواه ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع للجزاء ﴿ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ﴾ القرآن بالطعن فيه ﴿إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عناداً منهم وبطراً ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ من الشام

---

(١) أي: السور التي تبدأ بـ(حم).

واليمن للتجارات سالمين مترفين، فإنهم ـ وان أُمهلوا ـ مأخوذون كأمثالهم المذكورين في: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَومُ نُوحٍ والأَحْزابُ﴾ المتحزبين على الرسل كعاد وثمود وغيرهم ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد قوم نوح ﴿ وهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ منهم ﴿ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليهلكوه ﴿ وجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾ ليزيلوا ﴿ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ بالتدمير عقوبة لهم ﴿ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾ تقرير، أي: هو في موقعه ﴿ وكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وعيده بالعذاب. وقرأ نافع وابن عامر (كلمات) ﴿ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ﴾ بدل من (كلمة)، أو منصوب بنزع اللام ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ مبتدأ ﴿ ومَنْ حَوْلَهُ﴾ عطف عليه وهم (الكروبيّون) أشرف طبقات الملائكة، وأمّا كُنه حملهم إياه وحفوفهم به، فلا يعلمه إلاّ اللّه ومَن أعلمه به ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يذكرون اللّه بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام ﴿ ويُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أخبر عنهم بالإيمان إظهاراً لفضله وتعظيماً لأهله ﴿ ويَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن الرضا (ع): الذين آمنوا بولايتنا يقولون: ﴿ رَبَّنا وسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً﴾ أي: وسع رحمتك وعلمك كل شيء. وقدّمت الرحمة لأنها الغرض الأصلي هاهنا ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ﴾ تابوا عن الشرك ﴿ واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دينك الحق ﴿ وقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾ نجهّم منه. صرحوا بالمطلوب بعد الرمز تأكيداً وبياناً لهول العذاب.

[سورة غافر الآيات ٨ - ١٦]

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

﴿رَبَّنا وأَدْخِلْهُمْ جَنَّات عَدْنٍ الَّتي وعَدْتَهُمْ﴾ إياها ﴿ومَنْ صَلَحَ﴾ وأدخل، أو وعدت من صلح ﴿مِنْ آبائِهِمْ وأَزْواجِهِمْ وذُرِّيَّاتهم إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿وقِهِمُ السَّيِّئات﴾ أي: عقوباتها وتعم عذاب الجحيم وغيره أو المعاصي في الدنيا ﴿ومَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَومَئذٍ﴾ يوم القيامة أو في الدنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ في الآخرة ﴿وذلكَ هُوالْفوزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الرحمة. القمي: (الذين

يحملون العرش) يعني: رسول الله (ص) والأوصياء من بعده يحملون علم الله ومن حوله) يعني: الملائكة (للذين آمنوا) يعني: شيعة آل محمد (ص) للذين تابوا من ولاية فلان وفلان وبني أميّة، واتبعوا سبيلك أي: ولاية وليّ الله، (ومن صلح) يعني: من تولّى عليّاً فذلك صلاحهم (فقد رحمته) يعني: يوم القيامة، (وذلك هو الفوز العظيم) لمن نجّاه الله من هؤلاء يعني ولاية فلان وفلان ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ يوم القيامة فيقال لهم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الأمّارة بالسوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ القمي: ان الذين كفروا يعني بني أميّة إلى الإيمان يعني إلى ولاية علي (ع) ﴿قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ عن الصادق (ع): ذلك في الرجعة، قيل لعل المراد أن الاثنينية انما تتحقق بالرجعة، أو يقولون ذلك في الرجعة بحسب الإحياء والإماتة اللتين في القبر للسؤال ﴿فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إِلى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فهل إلى نوع خروج من العذاب من طريق فنسلكه؟ وذلك إنما يقولونه من فرط قنوطهم تعلّلاً وتحيّراً ولذلك أجيبوا: ﴿ذلِكُمْ﴾ الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾ بسبب أنه ﴿إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بالتوحيد ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ بالإشراك عن الصادق (ع) يقول: إذا ذكر الله وحده بولاية من أمر الله بولايته كفرتم وإن يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بأنّ له ولاية ﴿فَالْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾ شأنه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم في كبريائه ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ الدّالة على التوحيد وسائر ما يجب أن يعلم ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً﴾ أسباب رزق ﴿وَما يَتَذَكَّرُ إِلا مَنْ يُنِيبُ﴾ يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ إخلاصكم وشق عليهم ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾ ارتفعت درجات كماله وجلاله عن أن يشرك به، أو رافع

مراتب الأنبياء والأولياء في الجنّة، أو مقامات الملائكة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه المستولي عليه بما حوى من الجسمانيات ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ القمي قال: روح القدس وهو خاص برسول الله والائمة (ع) ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾ يوم القيامة. عن الصادق (ع) قال: يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء ﴿لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾ حكاية لما يسأل عنه ولما يجاب به بما دلّ عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً.

[سورة غافر الآيات ١٧ -٢٥]

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ

فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

﴿ وأنذرهُمْ يومَ الازِفَةِ﴾ أي: القيامة. سميت بها لازوفها أي: قربها﴿ إذِ القُلوبُ لَدَى الحَناجرِ﴾ فإنها ترتفع عن أماكنها فتلتصق بجلودهم فلا تعود فتتروحوا ولا تخرج فتستريحوا﴿ كاظِمينَ﴾ على الغم. القمي: قال مغمومين مكروبين ﴿ ما لِلظّالِمينَ مِنْ حَميمٍ﴾ قريب مشفق﴿ ولا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾ يجاب إلى شفاعته. والمعنى: ليس لهم شفيع فيجاب﴿ يَعْلَمُ خائِنَةَ الاعْيُنِ﴾ خيانتها، أو النظرة الخائنة أي: استراق النظر إلى محرّم، وسئل الصادق (ع) عن معناه، فقال: أ لم تر الى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين﴿ وما تُخْفي الصُّدُورُ﴾ من الضمائر﴿ واللَّهُ يَقْضي بالْحَقِّ﴾ لعلمه به، وقدرته عليه، وغناه عن الظلم﴿ والَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه﴾ أي: الأصنام﴿ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ أي: ليسوا بأهل القضاء لأنها جمادات فكيف تكون شركاء؟ وقرأ نافع وهشام بتاء الخطاب﴿ إنّ اللّهَ هُو السَّميعُ﴾ لأقوالهم﴿ البَصيرُ﴾ بأفعالهم وعيد لهم وتقرير لعلمه وحقيقة قضائه وتعريض بأصنامهم﴿ أ ولَمْ يَسيرُوا في الأرضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم المكذّبة لرسلهم﴿ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وقرأ ابن عامر منكم

﴿ قُوَّةً ﴾ في أنفسهم ﴿ وآثاراً في الأرضِ ﴾ من أبنية عجيبة ﴿ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴾ أهلكهم ﴿ بِذُنُوبِهِمْ وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ واقٍ ﴾ عذابه ﴿ ذلكَ ﴾ الأخذ ﴿ بأنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ ﴾ قادر على ما يريد ﴿ شَدِيدُ الْعِقابِ ﴾ إذا عاقب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا ﴾ بالمعجزات ﴿ وَسُلْطانٍ مُبِينٍ ﴾ وحجة قاهرة ظاهرة ﴿ إِلى فِرْعَونَ وهامانَ وقارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ أي: موسى. وفيه تسلية للرسول (ص) وتوبيخ لقومه بذكر عاقبة هؤلاء ﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ ﴾ أي: أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولاً كي يصدّوا عن مظاهرة موسى ﴿ وما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ ضياع وعدل إلى الظاهر للتعميم والتعليل.

[سورة غافر الآيات ٢٦ -٣٣]

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى

ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

﴿ وقالَ فِرْعَونُ ذَرُونِي﴾ وفتح ابن كثير الياء﴿ أَقْتُلْ مُوسى﴾ كانوا يمنعونه من قتله تجويزاً لصدقه فيخافون الهلاك، أو لكونه ساحراً، أو قتله مظنّة للعجز عن جوابه، وتأنّيه في قتله مع شدّة سفكه يؤذن بتيقنه صدقه فيخاف أن يهلكه ربّه لقوله تجلّداً ﴿ ولْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ وقيل: هو استهزاء﴿ إِنِّي أَخافُ﴾ إن لم أقتله. وفتح الياء في الثلاثة الحرميّان وأبو عمرو﴿ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إيّاي: والأصنام﴿ وأن﴾ وقرأ الكوفيون (أو أنْ) بالترديد﴿ يُظْهِرَ فِي الأرضِ الْفَسادَ﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتنازع. وفتح الياء والهاء ابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص ورفعوا الفساد﴿ قالَ مُوسى﴾ لقومه إذ سمع كلامه﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وربِّكُمْ﴾ أكّد بـ(إن) إشعاراً بأن عمدة ما يدفع به الشر العياذ بالله، وعبّر بالرب لمناسبته لطلب الحفظ وفي (وربكم) بعث لهم على موافقته لقوة تأثير الإجتماع﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَومِ الْحِسابِ﴾ وفيه رعاية لحقّه إذ لم يسمّه وإشارة إلى موجب شرّه﴿ وقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَونَ﴾ ابن خاله. وقيل: ابن عمّه، وكلاهما مرويان﴿ يَكْتُمُ إيمانَهُ﴾ تقية

منهم﴿ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ﴾ لأن﴿ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ المعجزات الواضحات على صدقه﴿ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إضافة إليهم استدراجاً لهم إلى الإقرار به، ثم حاجهم بتقسيم عقلي فقال: ﴿ وإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه إلى قتله﴿ وإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أي: فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير، وإظهار للانصاف وعدم التعصّب، ولذلك قدّم كونه كاذباً﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُو مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ قيل: احتجاج ثالث ذو وجهين، أحدهما: لو كان كذاباً لما هداه اللّه إلى البينات وقد هداه فليس بكاذب، وثانيهما: ان من خذله اللّه وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله. عن الصادق (ع): التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقيّة له والتقيّة ترس اللّه في الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل. والقمي: كتم إيمانه ستمائة سنة. وفي النبوي: الصدّيقون ثلاثة... وعدّ منهم حزقيل مؤمن آل فرعون.﴿ يا قَومِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَومَ ظاهِرِينَ﴾ غالبين﴿ فِي الأَرضِ﴾ أرض مصر﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ من عذابه ان قتلتموه﴿ إِنْ جاءَنا﴾ أدرج نفسه معهم للقرابة وإظهار مشاركته لهم في نصحه ﴿ قالَ فِرْعَونُ ما أُرِيكُمْ﴾ أشير عليكم﴿ إِلاَّ ما أَرَى﴾ الا بما أراه لنفسي من قتله ﴿ وما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ الصواب﴿ وقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَومِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ﴾ في تكذيبه والتعرّض له﴿ مِثْلَ يَومِ الأَحْزابِ﴾ مثل أيام الأمم الماضية المتحزّبة على الرسل يعني وقائعهم، وجمع (الأحزاب) مع التفسير أغنى عن جمع (اليوم)﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ﴾ مثل سنّة اللّه فيهم حين استأصلهم وأهلكهم جزاء بما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسل﴿ والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كقوم لوط﴿ ومَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلّي الظالم منهم بغير انتقام﴿ ويا قَومِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَومَ التَّنادِ﴾ يوم ينادي فيه بعضهم بعضاً، عن

الصادق (ع): (يوم التناد) يوم ينادي أهل النار أهل الجنة: (أفيضوا علينا...)[1] ﴿يَومَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عن الموقف إلى النار، أو فارّين عنها ﴿ما لَكُمْ مِنَ اللَّه﴾ من عذابه ﴿مِنْ عاصِمٍ﴾ من مانع ﴿ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يخلّيه وما اختار من الضلال ﴿فَما لَهُ مِنْ هادٍ﴾ عن ضلاله.

[سورة غافر الآيات ٣٤-٤٠]

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ

---

(١) إشارة إلى الآية ٥٠ من سورة الأعراف.

سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿ ولَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ بن يعقوب، أي: جاء آباؤكم، أو على أن فرعون موسى فرعونه، أو يوسف بن ابراهيم بن يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل موسى ﴿بالْبَيِّناتِ﴾ المعجزات ﴿فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ﴾ من الرسالة ﴿حَتَّى إِذا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ فضممتم إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده ﴿كَذلِكَ﴾ الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ﴾ شاكٌ فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والإنهماك في التقليد ﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ﴾ بدل (من) من على المعنى ﴿بِغَيْرِ سُلْطانٍ﴾ برهان ﴿أَتاهُمْ كَبُرَ﴾ الضمير لمن على اللفظ، أو الذين مبتدأ وخبره (كبر) بتقدير مضاف أي: وجدل الذين يجادلون كبر ﴿مَقْتاً﴾ تمييز ﴿عِنْدَ اللَّهِ وعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرنهم بنفسه تعظيماً لشأنهم ﴿كَذلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ واسناده إليه تعالى كناية عن رسوخه في الكفر، أو مجاز عن ترك قسره، أو إسناد إلى السبب، ونون أبو عمرو وابن ذكوان قلب على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه متبعهما ﴿وقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾ بناء مكشوفاً عالياً، من (صرح الشيء) إذا ظهر ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأسْبابَ﴾ الطرق. وسكن الكوفيون الياء ﴿أَسْبابَ السَّماواتِ﴾ بيان لها بعد إبهام لتشويق السامع ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ عطف على (أبلغ) ونصبه حفص جواباً للترجي ﴿إِلى إِلهِ مُوسى﴾

قاله توهماً، أو إيهاماً لقومه أنه لو وجد لكان في السماء فيصعد إليه﴿ وإِنِّي لأَظُنُّهُ كاذِباً﴾ في أن له الهاً غيري أرسله﴿ وكَذلِكَ﴾ التزيين لهؤلاء الكفرة﴿ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِه وصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الهدى، والفاعل الشيطان، وبنى الحرميّان وأبو عمرو والشامي (وصَدَّ) للفاعل، أي: صدّ فرعون الناس عن الهدى﴿ وما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاّ فِي تَبابٍ﴾ خسار﴿ وقالَ الَّذِي آمَنَ﴾ أي: مؤمن آل فرعون﴿ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ﴾ وأثبت الياء ابن كثير مطلقاً وقالون وأبو عمرو وصلاً﴿ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾ أي: الهدى تعريضاً بأن سبيل فرعون غيّ﴿ يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ﴾ تمتع يزول﴿ وإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ﴾ لدوامها﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلاّ مِثْلَها﴾ عدلاً من الله﴿ ومَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثى وهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يفيد اشتراط قبول العمل بالإيمان﴿ فَأُو لئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بقراءتي البناء للفاعل والمفعول﴿ يُرْزَقُونَ فِيها بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ رزقاً لا يحصر لكثرته.

[سورة غافر الآيات ٤١ - ٤٩]

وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا

مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

﴿ وَيَا قَومِ ما لِي﴾ وسكن الكوفيون وابن ذكوان الياء ﴿ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ فتقابلون النصح بالغش، وبيانه: ﴿ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ﴾ بربوبيته ﴿ عِلْمٌ﴾ والمراد: نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح إلا عن إيقان ﴿ وأنا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ المستجمع لصفات الألوهية: من كمال القدرة، والغلبة، والتمكن من المجازاة، والقدرة على التعذيب والغفران ﴿ لا جَرَمَ﴾ لا ردّ لما دعوه إليه. و(جرم) بمعنى: حق، أو وجب وفاعله ﴿ أنّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوةٌ﴾ أي: وجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها، ﴿ فِي الدُّنْيا﴾ لأنها جمادات ﴿ ولا فِي الآخِرَةِ﴾ لأنها إذا أنطقها اللّه تبرأ من عبادتها أو ليس له استجابة دعوة بتقدير مضاف ﴿ وأنَّ مَرَدَّنا﴾ مرجعنا ﴿ إِلَى اللَّهِ﴾ بالموت فيجازي كُلاً بعمله ﴿ وأنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ بالشرك وسفك الدماء

﴿هُمْ أَصْحابُ النَّارِ﴾ ملازموها ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿ما أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصح ﴿وأُفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ ليقيني شركم. وفتح الياء نافع وأبو عمرو ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾ أظهر إيمانه وقال ذلك لمّا توعدوه بالقتل ﴿فَوقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾ به من قصد قتله. القمي: يعني مؤمن آل فرعون ﴿وحاقَ﴾ أحاط ﴿بِآلِ فِرْعَونَ﴾ قومه معه لأنه أولى بذلك ﴿سُوءُ الْعَذابِ﴾ الغرق، أو النار ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها﴾ يحرقون بها يقال (عرض الأسير على السيف) أي: قتل به، والجملة مستأنفة و(النار) بدل و(يعرضون)حال منها، أو منهم هذا لأرواحهم في البرزخ يعذبون به ﴿غُدُوا وعَشِيًّا﴾ أي: دائماً إلى القيامة، أو في الوقتين وفيما بينهما بغيره، أو فترة ودل على عذاب القبر بشهادة: ﴿ويَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أي: هذا قبل قيامها، فإذا قامت يقال لهم: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ الْعَذابِ﴾ جهنّم. وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي (أدخلوا) أمر للزبانية بإدخالهم. عن الصادق (ع) في قوله (يعرضون عليها غدواً وعشيّاً): ذلك في الدنيا قبل القيامة، لأن في نار القيامة لا يكون غدو وعشي، ثم قال: إن كانوا إنّما يعذبون في النار غدواً وعشياً ففيما بين ذلك هم من السعداء، ولكن هذا في نار البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله: (ويوم تقوم الساعة...) الآية والقمي: قال ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة وذلك انه في القيامة لا يكون غدو ولا عشاء، لأن الغدو والعشاء إنما يكون في الشمس والقمر وليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولا قمر ﴿وإِذْ يَتَحاجُّونَ﴾ واذكر وقت تخاصمهم ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾ جمع تابع كـ(خدم) لـ(خادم) أو مصدر بمعنى اتباع مجاز، أو بتقدير: ذوي ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ﴾ دافعون، أو حاملون عنا قسطاً منها ﴿قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيها﴾ نحن وأنتم ولا نغني عن أنفسنا فكيف عنكم؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ﴾ فجازى كلاً

بما يستحقه﴿ وقالَ الَّذينَ فِي النَّارِ لخزَنَة جهَنَّمَ﴾ لم يقل (لخزنتها) تهويلاً وبياناً لمكانهم منها لما قيل: إنّ (جهنّم) اسم لقعرها﴿ ادْعُوا ربَّكُمْ يُخفِّفْ عنَّا يوماً﴾ قدر يوم﴿ مِنَ الْعَذابِ﴾ شيئا منه.

[سورة غافر الآيات ٥٠ - ٥٨]

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ

﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ قالُوا﴾ توبيخاً وإلزاماً لهم بالحجة ﴿ أ ولَمْ تَكُ تَأْتيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنات قالُوا بَلى﴾ أتتنا فكذبناهم ﴿ قالُوا﴾ تهكماً بهم ﴿ فَادْعُوا﴾ أنتم فانا لم يؤذن لنا في الدعاء لكم ﴿ وما دُعاءُ الْكافِرينَ إلاّ في ضَلالٍ﴾ في ضياع لا يجاب قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالحجة والغلبة غالباً وإهلاك عدوهم ﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ويَومَ يَقُومُ الاشْهادُ﴾ جمع (شاهد) وهم الملائكة والأنبياء والمؤمنون، يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفّار بالتكذيب القمي: يعني الأئمة (ع). وعن الصادق (ع): ذلك ـ والله ـ في الرجعة. ﴿ يَومَ لا يَنْفَعُ الظّالمينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ لبطلانها. وقريء بالتاء ﴿ ولَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من الرحمة ﴿ ولَهُمْ سُوءُ الدّارِ﴾ جهنم ﴿ ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْهُدى﴾ ما يهتدى به في الدّين من المعجزات والصحف والشرائع ﴿ وأورَثْنا بَنِي إِسْرائيلَ﴾ من بعده ﴿ الْكِتابَ ﴾ التوراة ﴿ هُدىً وذِكْرى﴾ هادياً ومذكراً، أو للهداية والتذكير ﴿ لأولِي الألْبابِ﴾ ذوي العقول السليمة ﴿ فَاصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿ إِنَّ وعْدَ اللّهِ﴾ بالنصر ﴿ حَقٌّ﴾ كائن واعتبر بقصة موسى ﴿ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ وان لم تكن مذنباً انقطاعاً إلى الله وليتأسى بك، أو لترك الأولى ﴿ وسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ والابْكارِ﴾ أي: على الدوام، أو صلّ العصر، أو الصلوات الخمس ﴿ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ﴾ برهان ﴿ أتاهُمْ﴾ وهو عام في كل مجادل مبطل وإن نزلت في مشركي مكة، أو اليهود ـ على ما قيل ـ إذ قالوا: لست صاحبنا بل هو غيرك ﴿ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاّ كِبْرٌ﴾ تكبر عليك وحسد لك على النبوة وحب الرياسة ﴿ ما هُمْ بِبالِغِيهِ﴾ ببالغي مرادهم ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ﴾ من شرهم ﴿ إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ﴾

لأقوالكم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالكم ﴿لَخَلْقُ السَّماوات والأرض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ فمن قَدرَ على خلقها أولاً من غير أصل قَدرَ على خلق الناس ثانياً من أصل ﴿ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك لتركهم النظر ﴿وما يَسْتَوِي الأعْمى والْبَصِيرُ﴾ الجاهل والمستبصر ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ أي: ولا يستوي المحسن ﴿ولا الْمُسِيءُ﴾ قيل: (لا) زائدة تؤكد نفي مساواته له في الجزاء ﴿قليلاً ما يَتَذَكَّرونَ﴾ أي: تذكراً قليلاً يتذكرون. وقرأ الكوفيون بتاء الخطاب.

[سورة غافر الآيات ٥٩ -٦٦]

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها﴾ في مجيئها﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بها لتركهم النظر في دلائل جوازها وصدق المخبر بها﴿ وقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ وفتح ابن كثير الياء﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ عاجلاً أو آجلاً بما سألتم، أو بما هو خير منه بحسب المصلحة إذا وقع الدعاء بشروطه﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي﴾ أي: الدعاء فإنه أفضل العبادة﴿ سَيَدْخُلُونَ﴾ بالبناء للفاعل وبناه ابن كثير وأبو بكر للمفعول﴿ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ صاغرين. عن الباقر (ع) في الآية قال: هو الدعاء. وأفضل العبادة الدعاء وعنه (ع): ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ما عنده، وما من أحد أبغض إلى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده. وعن الصادق (ع): ادع ولا تقل قد فرغ من الأمر فإن الدعاء هو العبادة، وتلا الآية. وفي الصحيفة السجادية ـ بعد ذكر الآية ـ: فسميت دعاءك عبادة وتركه استكباراً وتوعدت على تركه دخول جهنّم داخرين[1] . وقيل للصادق (ع) في الآية: قد نرى المضطر يدعوه ولا يجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوه فلا ينصره، قال: ويحك ما يدعوه أحد إلاّ استجاب له، أما الظالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب، وأما المحق إذا دعاه استجاب له وصرف عنه البلاء من حيث لا يعلم، أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه وإن لم يكن الأمر

---

(١) راجع الصحيفة السجادية ص ٢٩٤ (دعاؤه (ع) في وداع شهر رمضان) والجدير بالذكر: ان الصحيفة السجادية هي من أصح الكتب الواردة عن الأئمة(ع) في باب الأدعية وأقربها إلى إسلوبهم (ع).

الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه، والمؤمن العارف بالله ربما عزّ عليه أن يدعوه فيما لا يدري أصواب ذلك أم خطأ﴿ اللَّهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فيهِ﴾ لاستراحتكم﴿ والنَّهارَ مُبْصِراً﴾ يبصر فيه، إسناد مجازي﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ﴾ عظيم ﴿ عَلَى النَّاسِ ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ الله على فضله وتكرير الناس لتأكيد الحكمة﴿ ذلِكُمُ﴾ المتوحد بنعوت الكمال والجلال﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ إخبار يقرر كل لاحق سابقه﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن توحيده مع وضوح دليله﴿ كَذلِكَ يُؤْفَكُ﴾ كما أفك هؤلاء إفك﴿ الَّذينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بغير حجة﴿ اللَّهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَراراً﴾ مستقراً﴿ والسَّماءَ بِناءً﴾ سقفاً﴿ وصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ بانتصابكم وتناسب أعضائكم، وتهيؤكم لمزاولة الأعمال﴿ ورَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ الملاذ﴿ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمينَ﴾ دام خيره إذ لا رب ولا إله غيره﴿ هُوَ الْحَيُّ﴾ على الحقيقة﴿ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لا أحد يساويه، أو يدانيه في ذاته وصفاته﴿ فَادْعُوهُ﴾ فاعبدوه﴿ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك والرياء قائلين: ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعالَمينَ﴾ أو هو استئناف منه تعالى. عن السجّاد (ع): إذا قال أحدكم (لا إله الا الله) فليقل (الحمد لله رب العالمين) فان الله يقول: هو الحي.﴿ قُلْ إِنِّي نُهيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جاءَنِي الْبَيِّناتُ مِنْ رَبِّي﴾ من دلائل توحيده﴿ وأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمينَ﴾ أخلص له وأنقاد لأمره.

[سورة غافر الآيات ٦٧ – ٧٧]

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن

قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أطفالاً. وأفرد بقصد الجنس، أو كل واحد ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً﴾ وكسر الشين ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ قبل الشيخوخة، أو بلوغ الأشد ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ ويفعلوا

ذلك لتبلغوا﴿ أَجَلاً مُسَمًّى﴾ وقت الموت، أو القيامة﴿ ولَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه العبر ﴿ هُوالَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ فَإِذا قَضى أَمْراً﴾ أراد تكوينه﴿ فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بمجرد إرادته المعبّر عنها بـ(القول) لنفاذ قدرته فيه بلا توقف على آلة وعُدّة، ونصبه ابن عامر والكسائي بتقدير: (أن)﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أَنَّى﴾ كيف﴿ يُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الباطل، وكرّر ذمهم تأكيداً﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتابِ﴾ بالقرآن، أو الجنس﴿ وبِما أَرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾ من الكتب والشرائع﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وبال تكذيبهم﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ﴾ ظرف لـ(يعلمون) و(إذ) للمضي، وعبّر بها عن المستقبل لتحققه﴿ والسَّلاسِلُ﴾ عطف على (الأغلال) فتكون في الأعناق، أو مبتدأ حذف خبره أي: في أرجلهم، أو خبره:﴿ يُسْحَبُونَ﴾ أي: بها ﴿ فِي الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة، أو حرّ النار﴿ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون. من (سجر التنور) ملأه الوقود﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ توبيخاً﴿ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ أو ضاعوا فلم نجد منهم نفعاً﴿ بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾ أي: لم نكن بعبادتنا إياهم نعبد شيئاً يعتد به، أو أنكروا عبادتهم إياهم ﴿ كَذلِكَ الضلال يُضِلُّ اللَّهُ الْكافِرِينَ﴾ في الآخرة عمّا ينفعهم بسبب كفرهم. عن الباقر (ع) في الآية قال: فقد سمّاهم الله (كافرين مشركين) بأن كذبوا بالكتاب وقد أرسل الله عزّ وجلّ رسله بالكتاب وبتأويله، فمن كذّب بالكتاب، أو كذب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك كافر.﴿ ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ﴾ تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان﴿ وبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح﴿ ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم﴿ خالِدِينَ فِيها﴾ مقدّرين الخلود﴿ فَبِئْسَ مَثْوى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الحق جهنم﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وعْدَ اللَّهِ﴾ بهلاك الكفّار﴿ حَقٌّ﴾ كائن لا محالة ﴿ فَإِمَّا﴾ ان الشرطية أدغمت في (ما) الزائدة

لتأكيد الشرطية، ولذا جاءت النون معها دون إن وحدها﴿ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من القتل والأسر وجواب الشرط محذوف أي: فذاك﴿ أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿ فَإِلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾ فنجازيهم بأعمالهم، وهو جواب (نتوفينك) وقيل: جواب للفعلين بمعنى إن تعذبهم بحياتك، أو لم تعذّبهم فإنّا نعذبهم في الآخرة.

[سورة غافر الآيات٧٨ -٨٥]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ (٨٤) فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٨٥)

﴿ ولَقَدْ أرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ عنهم (ع): إن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً﴿ وما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأْتِيَ بِآيةٍ إلاّ بِإذْنِ اللَّهِ﴾ فإن المعجزات عطايا قسّمها بينهم على ما اقتضته حكمته ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والإستبداد بإتيان المقترح بها﴿ فَإذا جاءَ أمْرُ اللَّهِ﴾ بالعذاب في الدنيا والآخرة﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ بإنجاء المحق وتعذيب المبطل﴿ وخَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها ومِنْها تَأْكُلُونَ﴾ فإن منها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويُركب كالإبل والبقر﴿ ولَكُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ كالألبان والجلود والأوبار﴿ ولِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ بالمسافرة عليها﴿ وعَلَيْها﴾ في البر﴿ وعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر﴿ تُحْمَلُونَ﴾ لم يقل (وفي الفلك) للإزدواج ﴿ يُرِيكُمْ آياتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته ﴿ فَأيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار﴿ أ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدداً﴿ وأشَدَّ قُوَّةً وآثاراً فِي الأرْضِ﴾ من قصور، أو مصانع﴿ فَما أغْنى عَنْهُمْ﴾ نفي، أو استفهام﴿ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ موصولة أو مصدرية﴿ فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بما زعموه علماً من شبههم الباطلة في نفي البعث وإنكار الصانع وتحقير الرسل، أو تسميته علماً

تهكّم بهم، أو بعلمهم بظاهر المعاش، أو فرحوا بعلم الرسل أي: استهزءوا به لقوله: ﴿ وحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: فرح الرسل بعلمهم شكرا لله حين رأوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم، وحاق بالكافرين جزاء استهزائهم ﴿ فَلَمَّا رَأَوا بَأْسَنا﴾ عذابنا ﴿ قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وحْدَهُ وكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ من الأصنام ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوا بَأْسَنا﴾ عذابنا. إذ لا يقبل إيمان الملجأ ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ﴾ أي: سنّ الله ذلك سنة ماضية في الأمم ﴿ وخَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ﴾ أي: وقت رؤيتهم بأسنا.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة غافر وتفسيرها.

سورة فصّلت

ثلاث أو أربع وخمسون آية، مكية.

[سورة فصلت الآيات ١ - ١١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ

وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١

عن الصادق (ع) من قرأ (حم) السجدة كانت له نوراً يوم القيامة مدّ بصره وسروراً، وعاش في الدنيا محموداً مغبوطاً. وعنه (ع): (ان العزائم أربع) وعد منها هذه السورة ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم﴾ إن كان مبتدأ فخبره: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ وإن كان عدّ حروف فتنزيل خبر محذوف، أو مبتدأ خبره: ﴿كِتابٌ﴾ وهو على الأولين بدل منه، أو خبر آخر، أو لمحذوف ويشعر كون التنزيل من الرّحمن بأنه رحمة للعالمين ﴿فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾ ميّزت أحكاماً وقصصاً ومواعظ ﴿قُرْآناً﴾ مدح، أو حال من كتاب باعتبار صفته ﴿عَرَبِيًّا﴾ أفصح اللغات ﴿لِقَوْمٍ﴾ صفة أخرى، أو صلة فصّلت، أو تنزيل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ العربية، أو للعلماء ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ صفتان له أيضاً ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تدبره ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ بسماع تأمل وطاعة ﴿وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ﴾ في أغطية ﴿وَفِي آذانِنا وَقْرٌ﴾ صمم،

وأصله: الثقل ﴿ ومِنْ بَيْنِنا وبَيْنِكَ حِجابٌ ﴾ يمنعنا عن التواصل. القمي: أي: تدعونا إلى ما لا نفهمه ولا نعقله، قيل: وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم[1] عن إدراك ما يدعوهم إليه واعتقاده، ومجّ اسماعهم له، وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول (ص) ﴿ فَاعْمَلْ ﴾ على دينك، أو في هلاكنا ﴿ إِنَّنا عامِلُونَ ﴾ على ديننا، أو في إهلاكك ﴿ قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ ﴾ أي: انا من جنسكم لا من جنس آخر غير إني ميّزت بالوحي لادعوكم إلى توحيد من دلّ البرهان على أن لا إله لكم غيره ﴿ فَاسْتَقِيمُوا ﴾ متوجهين ﴿ إِلَيْهِ ﴾ بالتوحيد وإخلاص الدين ﴿ واسْتَغْفِرُوهُ ﴾ من الشرك ﴿ ووَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ تهديد لهم ﴿ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ ﴾ واستدل به على تكليف الكفار بالفروع وقرن منعها بالشرك وبالكفر بالآخرة في: ﴿ وهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ ﴾ تشديداً لوزر مانعها، وحثاً للمؤمنين على أدائها والشفقة على الخلق. وعن الصادق (ع): أ ترى إن الله طلب من المشركين زكاة أموالهم وهم يشركون به؟ قيل: فسره لي. فقال: ويل للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأول، وهم بالأئمة الآخرين كافرون، إنما دعا الله العباد إلى الإيمان فإذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ مقطوع، أو لا أذى فيه من المنّ أي: القطع، أو المكدّر للصنيعة ﴿ قُلْ ﴾ توبيخاً لهم ﴿ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ في مقدارهما ﴿ وتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ﴾ شركاء ﴿ ذلِكَ ﴾ الخالق ﴿ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾ مالكم وخالقهم ومدبرهم ﴿ وجَعَلَ فِيها رَواسِيَ ﴾ استيناف لا عطف على خلق للفصل بأجنبي ﴿ مِنْ فَوْقِها ﴾ بادية ليعتبر بها

---

(١) نُبوّ القلوب: إعراضها عن شيء ما ونفورها منه.

ويتوصل إلى منافعها﴿ وبارَكَ فيها﴾ كثر خيرها بالمياه والزرع والضرع[١] ﴿ وقَدَّرَ فيها أقْواتَها﴾ الناشئة منها قسمها للناس والبهائم لكل نوع ما يتعيش به، أو خصَّ حدوث كل قوت بقطر منها﴿ في أرْبَعَةِ أيامٍ﴾ أي: مع اليومين الأولين﴿ سَواءً﴾ استوت سواء أي: استواء والجملة صفة (أيام) أو حال من ضمير فيها، أو أقواتها﴿ لِلسَّائِلِينَ﴾ متعلق بـ(قدر) أي: قدّر أقواتها للطالبين، أو بمحذوف أي: ذكر مدّة خلق الأرض وما فيها للسائلين عنها. القمي: معنى يومين أي: وقتين من ابتداء الخلق وانقضائه، قال: وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها أي: لا تزول وتبقى، في أربعة أيام سواء يعني في أربعة أوقات وهي التي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس والبهائم والطير وحشرات الأرض وما في البر والبحر من الخلق من الثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش الحيوان كله وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء، ففي الشتاء يرسل اللّه الرياح والأمطار والأنداء[٢] والطلول[٣] من السماء، فيلقح الأرض والشجر وهو وقت بارد، ثم يجيء بعده الربيع وهو وقت معتدل حار وبارد فيخرج الثمر من الشجر والأرض نباتها فيكون أخضر ضعيفاً، ثم يجيء وقت الصيف وهوحارّ فينضج الثمار ويصلّب الحبوب التي هي أقوات العالم وجميع الحيوان، ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيب ويبرّده ولوكان الوقت كله شتاء واحداً لم يخرج النبات من الأرض لأنه لوكان الوقت كله ربيعاً لما نضج الثمار ولم يبلغ الحبوب، ولوكان كله صيفاً لاحترق كل شيء في الأرض ولم يكن للحيوان معاش، ولوكان الوقت كله خريفاً ولم

---

(١) الضرع: مدرّ اللبن.

(٢) الإنداء: جمع الندى: قطرات الماء الصغيرة التي تتساقط على الأرض بسبب تكاثف بخار الماء في طبقات الجو في اثناء الليل.

(٣) الطلول: جمع (الطَّل) الذي هو المطر الخفيف يكون له أثرٌ قليل.

يتقدمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوته العالم فجعل الله هذه الأقوات في أربعة أوقات في الشتاء والربيع والصيف والخريف وقام به العالم واستوى في هذه الأوقات أياماً للسائلين يعني: المحتاجين لأن كل محتاج سائل وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير فهم سائلون وان لم يسألوا، قيل: يعني أنهم سائلون بلسان الحال وهو أبلغ من لسان المقال﴿ ثُمَّ اسْتَوى﴾ قصد ﴿ إِلَى السَّماءِ﴾ بعد خلق الأرض لا دحوها، وقيل: خلق السماء قبل الأرض فثمّ لتفاوت ما بين الخلقين ويعضده تقدّم الدحو المتأخر عن السماء على خلق الجبال ﴿ وهِيَ دُخانٌ﴾ أجزاء دخانية، وقيل: أول ما خلق الماء فحدث منه زبد خلق منه الأرض ودخان خلق منه السماء﴿ فَقالَ لَها ولِلأَرْضِ ائْتِيا﴾ بما خلقت فيكما من النيرات والكائنات، أو احصلا في الوجود فالخلق السابق بمعنى التقدير والفاء لترتيب الأخبار﴿ طَوعاً أو كَرْهاً﴾ طائعين، أو مكرهتين والغرض أظهار كمال القدرة ﴿ قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾ مستجيبين لأمرك وهو تمثيل لنفوذ قدرته فيهما بأمر المطاع واجابة المطيع وجمع العقلاء لتنزيلهما بخطابهما فنزلتهم. وقيل: أقدرهما على الجواب فخاطبهما وهذا انما يتمشى على الوجه الأول.

[سورة فصلت الآيات١٢ – ٢٠]

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ

قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿فَقَضاهُنَّ﴾ ثم خلقهن وأحكمهن، والضمير للسماء باعتبار ما تؤول إليه من الجميع، أو مبهم يميّزه﴿سَبْعَ سَماوات﴾ وهي على الأول حال﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: هما الخميس والجمعة وهما مع تلك الأربعة ستة، كما في آيات أخر. والقمي: يعني في وقتين ابتداء وانقضاء﴿وأوحى فِي كُلِّ سَماءٍ أمْرَها﴾ شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه إختياراً، أو طبعا وقيل: أوحى إلى أهلها بأوامره. والقمي: هذا وحي تقدير وتدبير﴿وزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ﴾ بالنجوم﴿وحِفْظاً﴾ من الشيطان المسترق

وسائر الآفات. وفي النبوي: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض.

﴿ ذلكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ الْعَليمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان القمي: وهم قريش، وهو معطوف على قوله: فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً﴾ فخوفهم عذاباً يصعقهم أي: يهلكهم ﴿ مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثَمُودَ﴾ مثل عذابهم الذي أهلكهم، ولا ينافيه آية وما كان الله ليعذبهم لأنها مدنية ﴿ إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ حال من (صاعقة) عاد أو ظرف لها باعتبار المعنى ﴿ مِنْ بَيْنِ أيديهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من كل جهاتهم بالإنذارات والحجج، أو حذّروهم ما مضى من هلاك الكفرة وما يأتي من عذاب الآخرة، أو بالعكس، وقيل: من بين أيديهم الرسل الذين عاينوهم ومن خلفهم الذين وصل إليهم خبرهم ﴿ ألاّ﴾ بأن لا ﴿ تَعْبُدُوا إلاّ اللّهَ قالُوا لَوشاءَ رَبُّنا﴾ إرسال رسله ﴿ لأَنْزَلَ مَلائكَةً﴾ مرسلاً ﴿ فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم ﴿ كافِرُونَ﴾ إذ لستم ملائكة بل بشر مثلنا لا فضل لكم علينا ﴿ فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا في الأَرضِ﴾ على الخلق ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ وقالُوا﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوةً﴾ اغتراراً بقوتهم، كان أحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل بيده ﴿ أَ ولَمْ يَرَوا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللّهَ الَّذي خَلَقَهُمْ﴾ وخلق قوتهم ﴿ هُو أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوةً﴾ قدرة إذ لا تناهي لقدرته ﴿ وكانُوا بآياتنا يَجْحَدُونَ﴾ عناداً ﴿ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ باردة تهلك من شدّة بردها، تكرير لبناء (الصرّ) وهو البرد الذي يصر أي: يجمع ويقبض ﴿ في أيامٍ نَحِساتٍ لِنُذيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته، ووصف العذاب بـ(الخزي) للمبالغة ﴿ في الْحَياةِ الدُّنْيا ولَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزى وهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾ بمنعهم منه ﴿ وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾ أريناهم طريق الهدى ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى﴾ الضلال ﴿ عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ

﴿الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ مصدر كالهوان ووصف به العذاب للمبالغة﴿بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر﴿ونَجَّيْنا﴾ منها﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ صالحاً ومن يتبعه﴿ويَوْمَ﴾ واذكر يوم﴿يُحْشَرُ أَعْداءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ وقرأ نافع بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب (أعداء)﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ عن أهل البيت (ع): يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا.﴿حَتَّى إِذا ما جاؤُها﴾ زيدت (ما) تأكيداً لاتصال الشهادة بالحضور ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصارُهُمْ وجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بإنطاق الله كلاً منها بما اقترف به.

[سورة فصلت الآيات ٢١-٢٩]

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ وقالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ تعجباً، أو عتاباً﴿ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا﴾ سؤال تعجب، أو توبيخ، وانما اقتصرعلى ذكر الجلود لأن لكل من السمع والبصر جلداً، فالسؤال عنها يعم السؤال عنهما، أو لأن الجلود أخفى إدراكاً من السمع والبصر فأنكروا عليها شهادتها لقلة إدراكها، أو لأن المراد بالجلود الفروج ـ كما عن أهل البيت (ع) ـ ﴿ قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه﴿ وهُوَخَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ من كلام الجلود. وهو استئناف يقرّر ما قبله بأن من قدر على خلقكم وإنطاقكم ابتداء وإعادتكم ثانياً، يقدر على إنطاق جوارحكم. وكانوا يستترون من الناس عند ارتكاب القبائح خوف الفضيحة فقيل لهم:﴿ وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عند ارتكابكم القبائح من﴿ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ﴾ جواب لتوبيخهم لأنكم لم تظنوا شهادتها عليكم لإنكاركم البعث﴿ ولكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ عند استتاركم﴿ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهو ما أخفيتموه﴿ وذلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ خبره﴿ أَرْداكُمْ﴾ أهلككم خبر ثان، أو هو الخبر و(ظنكم) بدل﴿ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ باستبدالكم بالجنة النار﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾

التفات ﴿ فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ ﴾ ولا ينفعهم الصبر ﴿ وإنْ يَسْتَعْتِبُوا ﴾ يطلبوا العتبى أي: الرضا ﴿ فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ المرضيين ﴿ وقَيَّضْنا ﴾ قدرنا ﴿ لَهُمْ ﴾ لكفار مكة ﴿ قُرَناءَ ﴾ القمي: يعني الشياطين من الجن والإنس ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أيدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿ وما خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة وإنكارها ﴿ وحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَولُ ﴾ كلمة العذاب ﴿ فِي أُمَمٍ ﴾ حال أي: كائنين في جملة أمم ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ مضت ﴿ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ والإنْسِ ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿ إنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير لهم وللأمم ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ والْغَوا فِيهِ ﴾ ائتوا باللغو عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات لتشوشوه على القارئ. والقمي: صيّروه سخرية ولغواً لعلكم تغلبون محمداً (ص) والقارئ على قراءته ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ﴿ عَذاباً شَدِيداً ولَنَجْزِيَنَّهُمْ أسْوأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أقبح جزاء عملهم. وسمي (أسوأ) للمقابلة ﴿ ذلكَ ﴾ المتوعد به ﴿ جَزاءُ أعْداءِ اللَّهِ ﴾ خبر ذلك ﴿ النَّارُ ﴾ بيان لجزاء، أو خبر محذوف ﴿ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ ﴾ أي: هي منزل إقامتهم لا ينتقلون منها ﴿ جَزاءً ﴾ يجزونها جزاء ﴿ بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ ﴾ وضع موضع يلغون إقامة للسبب مقام المسبب ﴿ وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وهم في النار ﴿ رَبَّنا أرِنَا الَّذَيْنِ أضَلّانا مِنَ الْجِنِّ والإنْسِ ﴾ أي: من هذين الجنسين. والمراد بالجن: الشياطين ﴿ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أقْدامِنا ﴾ في النار ﴿ لِيَكُونا مِنَ الأسْفَلِينَ ﴾ أي: أشد عذاباً منّا. عن علي (ع) يعنون إبليس الأبالسة، وقابيل بن آدم أوّل من أبدع المعصية. وعن العالم (ع): من الجن إبليس ومن الإنس فلان. وعن الصادق (ع): هما، ثم قال وكان فلان شيطاناً.

[سورة فصلت الآيات ٣٠ -٣٨]

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ إقراراً بتفرده بالربوبية ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ على التوحيد والطاعة ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ عند الموت ـ كما عن الصادق (ع) ـ أو في القبر والقيامة ﴿ أَلاَّ ﴾ بأن لا، أو أي: لا ﴿ تَخافُوا ﴾ مما أمامكم ﴿ ولا تَحْزَنُوا ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد ﴿ وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ﴾ القمي: قال كنا نحرسكم من الشياطين ﴿ وفِي الآخِرَةِ ﴾ قال أي: عند الموت ﴿ ولَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ولَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ ﴾ ما تتمنون. من (الدعاء) بمعنى: الطلب. عن الصادق (ع) قال: استقاموا على الأئمة (ع) واحداً بعد واحد. وسئل الرضا (ع) ما الاستقامة؟ قال: هي والله ما أنتم عليه. وعن الباقر (ع): نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا أي: نحرسكم في الدنيا وعند الموت في الآخرة. وقيل له (ع) بلغنا أنّ الملائكة تنزل عليكم، قال: إي والله لتنزل علينا فتطأ فرشنا، أما تقرأ: (ان الذين قالوا...) إلخ ﴿ ومَنْ ﴾ أي: لا أحد ﴿ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ ﴾ الى توحيده ﴿ وعَمِلَ صالِحاً ﴾ ليقتدى به فيه ﴿ وقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ تمدّحاً، أو تديناً بالإسلام، ومنه: فلان يقول كذا أي: تدين به والآية تعم من له هذه الصفات، أو تخص الرسول (ص) ﴿ ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ﴾ في الجزاء. و(لا) الثانية زائدة تؤكد النفي ﴿ ادْفَعْ ﴾ السيئة إذا اعترضتك ﴿ بِالَّتِي ﴾ بالخصلة التي ﴿ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: الحسنة كالجهل بالحلم والإساءة بالعفو والعنف باللطف، أو بأحسن الحسنات التي تدفع بها ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ أي: فيصير عدوك كالمحب القريب إذا فعلت ذلك. القمي: قال ادفع سيئة من أساء إليك بحسنتك حتى يكون الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وعن الصادق (ع): الحسنة التقية والسيئة الإذاعة والتي هي أحسن التقية ﴿ وما يُلَقَّاها ﴾ أي: ما يؤتى أحد هذه السجيّة ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ حبسوا النفس عن الإنتقام. وعن الصادق (ع)

صبروا في الدنيا على الأذى﴿ وما يُلَقَّاها إِلاّ ذُوحَظٍّ عَظِيمٍ﴾ عقل كامل، أو ثـواب جزيل هو الجنة. وعن الصادق (ع): وما يلقاها الأ كل ذي حظ عظيم. قيل: أكّد الأمر بمجاملة الناس وحسن معاشرتهم بوجوه من التأكيد: تقديم بيان عدم استواء الحسنة والسيئة على الأمر بها، والأمر بالإحسان في مقابلة الإساءة ويعلم منه لزوم احسان غير المسيء واحسان المحسن بطريق أولى، وذكر (التي هي أحسن) في موضع الحسنة، وذكر فائدة المأمور به، وذكر (إذا) الفجائية، وتنكير (عـداوة) و(ولـي) و(حمـيم) وذكر (حميم) بعد قوله (ولي) وبيان عظمة هـذه الخـصلة وانهـا موهبيـة وصـعوبة الاتصاف بها، وأنها لا يؤتاها إلا الصابرون، وتكرير (يلقاها) وبيان انه لا يؤتاهـا الا ذوحظ عظيم﴿ وإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾ نحس شبّه به الوسوسة الصارفة عن أمر الله﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من شره يكفكه﴿ إِنَّهُ هُو الـسَّمِيعُ﴾ لاسـتعاذتك﴿ الْعَلِـيمُ﴾ بنيتك. القمي: المخاطبة لرسول الله (ص) والمعنيُّ الناس﴿ ومِنْ آياتِه اللَّيْلُ والنَّهارُ والشَّمْسُ والْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما مخلوقان مثلكم﴿ واسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الأربعة المذكورة﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تخصّونه بالعبادة، والنهي عن السجود لهما وعن عبادتهما مع إنارتهمـا وكثـرة تأثيرهمـا فـي العـالم، وجعلهما مع هذه العظمة التي تتراءى منهما آيتين من آيات الله يستلزم النهي عـن عبادة غيرهما بطريق أولى﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإمتثال﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ دائماً﴿ وهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ لا يملّون.

[سورة فصلت الآيات ٣٩ -٤٦]

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ
أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا
يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ
﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ
وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ
ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ
يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ
فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ
مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ
بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿وَمِنۡ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرۡضَ خَاشِعَةً﴾ يابسة. أستعير من الخشوع أي: التذلل

﴿ فَإذا أنزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ ورَبَتْ﴾ تحركت وانتفخت ﴿ إنَّ الَّذي أحْياها﴾ بالنبات ﴿ لَمُحْيِ الْمَوتى إنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ ومنه الإحياء والإماتة ﴿ إنَّ الَّذينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الإستقامة وفتح حمزة الياء والحاء ﴿ في آياتنا﴾ بالطعن والتكذيب ﴿ لا يَخْفَونَ عَلَيْنا﴾ فنجازيهم بذلك وكفى به وعيداً ﴿ أ فَمَنْ يُلْقى في النَّارِ خَيْرٌ أمْ مَنْ يَأْتي آمِناً يَومَ الْقِيامَةِ﴾ استفهام تقرير وتوبيخ ﴿ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ﴾ تهديد شديد ﴿ إنَّهُ بما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾ وعيد بالمجازاة ﴿ إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بالذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ـ كما عن الباقر (ع) ـ ﴿ لَمَّا جاءَهُمْ﴾ وخبر(إنّ) مقدر أي: يجازون ونحوه، أو أولئك ينادون ﴿ وإنَّهُ لَكِتابٌ عَزيزٌ﴾ غالب بقوة حججه، أو عديم النظير ﴿ لا يَأْتيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ﴾ من جهة من الجهات. وعنهما (ع): ليس في إخباره عمّا مضى باطل، ولا في إخباره عمّا يكون في المستقبل باطل، بل أخباره كلها موافقة لإخباراتها ﴿ تَنْزيلٌ مِنْ حَكيمٍ﴾ في أفعاله وأيُّ حكيم؟ ﴿ حَميدٍ﴾ يحمده كل مخلوق على إفضاله ﴿ ما يُقالُ﴾ أي: ما يقول ﴿ لَكَ﴾ كفّار مكة ﴿ إلاّ ما قَدْ قيلَ﴾ إلا مثل ما قال الكفرة ﴿ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من التكذيب، أو ما يقول الله لك إلاّ مثل ما قال لهم من الصّبر ﴿ إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿ وذُو عِقابٍ أليمٍ﴾ للكافرين، ويجوز كونه المقول على الثاني ﴿ ولَو جَعَلْناهُ﴾ أي: الذكر ﴿ قُرْآناً أعْجَمِيّاً﴾ كما قالوا اقتراحاً هلاّ أنزل بلغة العجم ﴿لَقالُوا لَولا﴾ هلاّ ﴿ فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾ بينت حتى نفهمها ﴿ ءَ أعْجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ﴾ أ قرآن أعجمي ورسول، أو مخاطب عربي، وقرأ هشام (أعجمى) على الإخبار، وأبو بكر وحمزة والكسائي بهمزتين، والباقون بهمزة ومدّة، والإستفهام للإنكار، والغرض أنهم لتعنتهم لا ينفكون عن الإعتراض سواء كان عربياً، أو أعجمياً. القمي: لو كان هذا القرآن أعجمياً لقالوا: كيف نتعلمه ولساننا عربي وآتيتنا بقرآن أعجمي؟ فأحب أن ينزل بلسانهم، وفيه قال الله: (وما أرسلنا من رسول الأ

بلسان قومه)[1] و(الأعجمي) يقال للذي لا يفهم كلامه ويقال لكلامه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً﴾ الى الحق ﴿وشِفاءٌ﴾ من الشك والشبه ﴿والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ هو ﴿فِي آذانِهِمْ وقْرٌ﴾ لتصامهم عن سماعه ﴿وهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لتعامي قلوبهم عن تدبّره ﴿أولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كمن ينادي من بعد لا يسمع ولا يفهم النداء ﴿ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ كما اختلف في القرآن، وهو تسلية للنبي (ص). وعن الباقر (ع): اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم (ع) الذي يأتيهم به حتى ينكره ناس كثيرون فيقدّمهم فيضرب أعناقهم ﴿ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصال المكذبين ﴿وإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للإضطراب ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه ﴿ومَنْ أَساءَ فَعَلَيْها﴾ ضرّه ﴿وما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لعلمه بقبح الظلم وغناه عنه.

[سورة فصلت الآيات ٤٧-٥٤]

إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ

(١) سورة ابراهيم الآية ٤.

مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

﴿إِلَيْه يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إذا سئل عنها إذ لا يعلمها إلاّ هو ﴿وما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ من أكمامها من أوعيتها جمع (كم) بالكسر، وقرأ نافع وابن عامر (ثَمَرات) جمعاً لاختلاف الأنواع ﴿وما تَحْمِلُ مِنْ أنْثى ولا تَضَعُ إلاّ بعِلْمِهِ﴾ إلا مقروناً كل ذلك بعلمه ﴿ويَومَ يُنادِيهِمْ أينَ شُرَكائِي﴾ بزعمكم. وفتح ابن كثير الياء ﴿قالُوا آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك، أو أسمعناك ﴿ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ شاهد اليوم بان لك شريكاً، أو مشاهد لهم لأنهم ضلّوا عنا ﴿وضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من الأصنام ﴿وظَنُّوا﴾ أي: قنوا ﴿ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مهرب والنفي معلق عن العمل ﴿لا يَسْأَمُ الانْسانُ﴾ الكافر ﴿مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ﴾ القمي: أي: لا يمل ولا يعيى من أن يدعو لنفسه بالخير ﴿وإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ البلاء ﴿فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ﴾ قال أي: يائس من روح

الله وفرجه﴿ ولئِنْ﴾ قسم﴿ أذقْناهُ رَحْمَةً﴾ نعمة﴿ مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ شدّة﴿ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي﴾ مستحق لي بعملي، أو دائم لي﴿ وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً ولَئِنْ﴾ قسم ﴿ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي﴾ فرضاً، وفتح نافع وابو عمروالياء﴿ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى﴾ للحالة الحسنى كما أمرني في الدنيا﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا﴾ إذا جازيناهم به ﴿ ولَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد﴿ وإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الإِنْسانِ أَعْرَضَ﴾ عن الشكر﴿ ونَأى بِجانِبِهِ﴾ يعد بنفسه عنه تجبّراً، وقرأ ابن ذكوان (ناء) على القلب، أو بمعنى نهض﴿ وإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ كالفقر والمرض والشدّة﴿ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾ كثير﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ﴾ أخبروني﴿ إِنْ كانَ﴾ القرآن﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كما أقول ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ عناداً﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ﴾ خلاف للحق﴿ بَعِيدٍ﴾ عنه أي: لا أحد أضلّ منكم، فوضع الظاهر موضعه بياناً لحالهم﴿ سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ﴾ في أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات وغيرها، أو من الحوادث التي أخبر بها الرسول (ص) والفتوح التي يسرها الله له ولأمته﴿ وفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من لطائف الصنع وبدائع الحكم، أو فتح مكة﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الهاء لله، أو الرسول، أو القرآن، أو الدين﴿ أَ ولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة للتأكيد﴿ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه أي: أو لم يكفهم في صدقك أن ربك مُطّلع على كل شيء ولا تخفى عليه خافية؟ أو أ لم يكفك أنه مطلع على الأشياء فيعلم حالك وحالهم؟ والقمي: في الآفاق: الكسوف والزلازل وما يعرض في السماء من الآيات، وأما في أنفسهم: مرّة بالجوع ومرّة بالعطش، ومرّة بشبع ومرّة يروى، ومرّة يمرض ومرّة يصحّ، مرة يستغني ومرّة يفتقر، ومرّة يرضى ومرّة يغضب، ومرّة يخاف ومرّة يأمن، فهذا

من عظم دلالة الله على التوحيد

وفي كل شيء له آية　　　تدل على انه واحدُ[١]

وعن الصادق (ع) قال: نريهم في أنفسهم: المسخ، ونريهم في الآفاق: انتقاض الآفاق عليهم، قدرة الله في أنفسهم وفي الآفاق، وفي رواية: خسف ومسخ وقذف، سئل حتى يتبين قال: دع ذا ذاك قيام القائم (ع). وعن الكاظم (ع) الفتن في آفاق الأرض والمسخ في أعداء الحق ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والجزاء ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ عالم به مقتدر عليه لا يفوته شيء.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة فصلت وتفسيرها.

---

(١) هذا البيت لأبي العتاهية من قصيدة له مطلعها:

ألا إنّنا كلنا بائد　　　وأيُّ بني آدم خالدُ

إلى أن يقول فيها:

فيا عجباً كيف يعصى الاله　　　أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كل شيء له آيةٌ　　　تدل على أنه واحدُ

راجع ديوان أبي العتاهية ص ١١٣.

سورة الشّورى

ثلاث وخمسون آية مكية

إلاّ «قل لا أسئلكم» الآيات الأربع

[الآيات ١ -١٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

عن الصادق (ع): من قرأها بعثه الله يوم القيامة و وجهه كالثلج، أو كالشمس حتى يقف بين يدي الله فيقول: أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء أبوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حوران من الحور العين وألف جارية، وألف غلام من الغلمان المخلدين وصفهم الله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم عسق﴾ عن الصادق (ع): معناه: الحكيم المثيب العالم السميع القادر القوي. وعن الباقر (ع): هوحروف من اسم الله الأعظم المقطوع يؤلفه الرسول والإمام. وعنه (ع): (عسق) عدد سنين القائم و(قاف) جبل محيط بالدنيا من زمرّدة خضراء مخضرة السماء من ذلك الجبل ﴿كَذلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء، أو مثل معاني السورة ﴿يُوحِي﴾ أي: أوحي ﴿إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبلِكَ﴾ وعبّر بالمضارع إيذاناً بأن إيحاء مثله عادته ﴿اللَّهُ﴾ فاعل (يوحي) وعلى قراءة ابن كثير بالبناء للمفعول فاعل فعل دلّ عليه (يوحي) المسند إليه (إليك) ان جعل (كذلك) مصدراً، وان جعل مبتدأ فضميره في (يوحي) وهو خبره ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ صفتان للّه، أو هما وما بعدهما إخبار ان ارتفع الله بالابتداء، أو صفتان له والخبر: ﴿لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرضِ﴾ وعلى بقية الوجوه استئناف ﴿وهُو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ عطف عليه ﴿تَكادُ السَّماواتُ﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ يتشققن أن دعوا له ولداً، أو من عظمته. وعن الباقر (ع) أي: يتصدعن. وقرأ الحرميان وحفص والكسائي بالتاء من التفطر وهو أبلغ من الإنفطار إذ مطاوع فعل مشدداً أبلغ من مطاوع فعل ﴿مِنْ فَوقِهِنَّ﴾ أي: يبتدئ الإفطار من أعلاهن. وتخصيصه للدلالة على انفطار أسفلهن بالأولوية،

ولزيادة التهويل ﴿ والْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرضِ﴾ للمؤمنين، وإن عمّم فيراد بالإستغفار ما يعمّ طلب الإمهال للكفرة والعصاة منهم لعلهم يتوبون. والقمي: قال للمؤمنين من الشيعة التوابين خاصة. ولفظ الآية عام والمعنى خاص. وعن الصادق (ع): ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين. ﴿ ألا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لأوليائه، أو لكل خلقه إذ الرحمة في الدنيا وسعت كل شيء ﴿ والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أولِياءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب على أعمالهم فيجازيهم بها ﴿ وما أنتَ﴾ يا محمد (ص) ﴿ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ تطالب بإيمانهم ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وكَذلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿ أوحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾ أو مثل هذا المعنى فالكاف مفعول به و(قرآناً عربياً) حال منه ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى ومَنْ حَولَها﴾ أهل مكة وسائر الناس العذاب ﴿ وتُنْذِرَ يَومَ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة بجمع فيه الخلائق، أو الأرواح والأجساد، أو كل عامل وعمله ويجوز كون (تنذر) تكريراً للتأكيد و(يوم الجمع) ثاني مفعولي لـ(تنذر) ﴿ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ في النار ﴿ ولَوشاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ مهتدين وقسرهم على دين واحد وهو الإسلام، ولكن لم يفعل لمنافاته التكليف. القمي: لوشاء ان يجعلهم كلهم معصومين مثل الملائكة بلا طباع لقدر عليه ﴿ ولكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿ والظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ ولِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم من العذاب ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذوا ﴿ مِنْ دُونِهِ أولِياءَ فَاللَّهُ هُوَ الْولِيُّ وهُوَ يُحْيِ الْمَوتى وهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهوالحقيق بالولاية ﴿ ومَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أمور دينكم ﴿ فَحُكْمُهُ﴾ مفوض ﴿ إِلَى اللَّهِ﴾ يفصل بينكم بإثابة المحق ومعاقبة المبطل. والقمي: ما اختلفتم فيه من شيء من المذاهب واخترتم لأنفسكم من الأديان، فحكم ذلك كله إلى الله

يوم القيامة. وقيل: ما اختلفتم فيه من تأويل المتشابه فارجعوا إلى المحكم من كتاب الله ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي ﴾ بتقدير (قل) ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ أرجع في أموري.

[سورة الشورى الآيات ١١ - ١٥]

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ

بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿ فاطِرُ السَّماواتِ والأرضِ ﴾ من أخبار ذلكم، أو خبر محذوف ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ من جنسكم ﴿ أَزْواجاً ﴾ نساء ﴿ ومِنَ الأنعامِ ﴾ وجعل لها من جنسها ﴿ أَزْواجاً ﴾ ذكوراً وإناثاً، أو لكم منها أصنافاً ﴿ يَذْرَؤُكُمْ ﴾ يخلقكم ويكثركم من الذرء أي: البث، والضمير على الأوّل للناس والانعام بالتغليب ﴿ فيهِ ﴾ يعني: النسل الذي يكون من الذكور والإناث ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ أي: ليس مثل ذاته شيء، كقولهم (مثلك لا يبخل) مبالغة في نفيه عنه أو صفته أي: ليس كصفته صفة، أو الكاف زائدة للتأكيد ﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لكل مسموع ومبصر ﴿ لَهُ مَقاليدُ السَّماواتِ والأرضِ ﴾ مفاتيح خزائنها ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ يوسّعه ﴿ لِمَنْ يَشاءُ ويَقْدِرُ ﴾ يضيّقه لمن يشاء ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ومنه مصالح القبض والبسط ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى ﴾ أي: شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد (ص) ومن بينهما من أرباب الشرائع، وهو الأصل المشترك فيما بينهم ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ أي: أصوله من التوحيد والنبوة والمعاد، وهو بدل من مفعول(شرع) أو استئناف كأنه جواب (وما ذلك المشروع؟) ﴿ لا تَتَفَرَّقُوا فيهِ ﴾ في هذه الأصول، وأما الفروع فقد تختلف بحسب الأوقات ﴿ كَبُرَ ﴾ عظم ﴿ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من التوحيد ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ ﴾ الى دينه ﴿ مَنْ يَشاءُ ﴾ توفيقه له ﴿ ويَهْدِي ﴾ بالتوفيق ﴿ إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ من يقبل إليه. القمي: وهم الأئمة الذين اختارهم واجتباهم. وعن الصادق (ع): أن أقيموا الدّين، قال: الامام، ولا تتفرقوا فيه: كناية عن أمير المؤمنين (ع)، ما تدعوهم إليه من ولاية علي (ع)، من يشاء كناية عن

علي (ع). وعن الرضا (ع): نحن الذين شرع الله لنا دينه فقال في كتابه: شرع لكم يا آل محمد (ص) من الدين ما وصّى به نوحاً، قد وصّانا ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك يا محمد (ص) وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولي العزم من الرسل، أن اقيموا الدين يا آل محمد (ص) ولا تتفرقوا فيه وكونوا على جماعة، كبر على المشركين من أشرك بولاية علي (ع) ما تدعوهم إليه من ولاية علي (ع) ان الله يا محمد (ص) يهدي إليه من ينيب من يجيبك إلى ولاية علي (ع)﴿ وما تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الكتاب أو أهل الأديان ﴿ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالتوحيد، أو بصحة نبوة محمد (ص) ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعداوة. القمي: قال لم يتفرقوا بجهل ولكنهم تفرقوا لما جاءهم وعرفوه، فحسد بعضهم بعضاً وبغى بعضهم على بعض لما رأوا من تفضيل أمير المؤمنين (ع) بأمر الله فتفرقوا في المذاهب وأخذوا بالآراء والأهواء﴿ ولَولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بالإمهال﴿ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو القيامة﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بإهلاك المبطل. والقمي: لولا أن الله قد قدّر ذلك أن يكون في التقدير الأول لقضى بينهم إذ اختلفوا وأهلكهم ولم ينظرهم ولكن أخّرهم إلى أجل مسمّى المقدّر﴿ وإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ﴾ وهم العرب أورثوا القرآن وأهل الكتاب المعاصرون له (ص) ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد أهل الكتاب﴿ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من القرآن، أو كتابهم لا يعلمونه كما هو﴿ مُرِيبٍ﴾ موقع الريبة﴿ فَلِذلِكَ﴾ فلأجل ذلك التفرق، أو الشك﴿ فَادْعُ﴾ الى الدين الحنيفي، أو إلى ما يزيل الشك. وقيل: اللام بمعنى إلى صلة لأدع والإشارة إلى القرآن﴿ واسْتَقِمْ﴾ على الدعوة﴿ كَما أُمِرْتَ﴾ عن الصادق (ع): يعني إلى ولاية أمير المؤمنين (ع) ﴿ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ﴾ في تركها﴿ وقُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ﴾ أي: بكل كتاب أنزله﴿ وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ﴾ بأن أعدل﴿ بَيْنَكُمُ﴾ في التبليغ والحكم

﴿اللَّهُ رَبُّنا ورَبُّكُمْ لَنا أعْمالُنا ولَكُمْ أعْمالُكُمْ﴾ لكل جزاء عمله ﴿لا حُجَّةَ﴾ لا محاجة ولا خصومة ﴿بَيْنَنا وبَيْنَكُمُ﴾ لظهور الحق فلا وجه لها ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنا﴾ يوم القيامة لفصل القضاء ﴿وإلَيْهِ المَصِيرُ﴾ المرجع وقيل: الآية منسوخة بآية السيف.

[سورة الشورى الآيات ١٦-٢٢]

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

﴿ والَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ في دينه ﴿ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بعد ما استجاب له الناس وقبلوه، أو بعد ما استجاب الله لرسوله دعاءه بالنصر ﴿ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ وعَلَيْهِمْ غَضَبٌ منه ولَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم ﴿ اللَّهُ الَّذي أنزَلَ الْكِتابَ﴾ جنسه، أو القرآن ﴿ بالْحَقِّ﴾ متلبساً بالغرض الصحيح ﴿ والْمِيزانَ﴾ وانزل العدل، أو الشرع المنصف بين الناس، أو ألهم اتخاذ آلة الوزن ﴿ وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: مجيئها ﴿ قَرِيبٌ﴾ أو التذكير بتأويل البعث فيجب على العاقل التمسك بالدين ولزوم العدل قبل مفاجأة القيامة ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بها﴾ استهزاء ﴿ والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿ مِنْها﴾ خوفاً مقروناً بالرّجاء ﴿ ويَعْلَمُونَ أنَّها الْحَقُّ﴾ الواجب كونها ﴿ ألا إنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ﴾ يخاصمون، من المرية الشك ﴿ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الصواب ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بعِبادِهِ﴾ يعمهم ببره ولم يعاجل مسيئهم بالعقوبة ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ﴾ من كل منهم رزقاً بمقتضى حكمته ﴿ وهُوَالْقَوِيُّ﴾ على ما يريد ﴿ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل شيء ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ حَرْثَ الآخِرَةِ﴾ ثوابها سمّي (حرثاً) تشبيهاً لطالبه بمن يلقي البذر في الأرض طلباً للزيادة ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِه﴾ نضاعف له الواحد عشرة ﴿ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا وزينتها نُؤْتِه مِنْها﴾ ما قسمنا له لا ما أراد ﴿ وما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ إذ الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى. وعن الصادق (ع): المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام. وعنه (ع): من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد خير الآخرة. أعطاه الله

خير الدنيا والآخرة ﴿أَمْ بل لَهُمْ﴾ والهمزة للتوبيخ والتقرير ﴿شُرَكاءُ﴾ وهم شياطينهم ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ الباطل ﴿ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك ونفي البعث ﴿ولَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ الوعد بتأخير الفصل إلى القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بإهلاكهم في الدنيا. عن الباقر (ع) في الآية قال: لولا ما تقدم فيهم من الله عزّ ذكره ما أبقى القائم منهم أحداً، قيل يعني: قائم كل عصر ﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من الجرائم ﴿وهُوَ﴾ أي: وباله ﴿واقِعٌ بِهِمْ﴾ لا محالة ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي رَوْضاتِ الْجَنَّاتِ﴾ في متنزهاتها ﴿لَهُمْ ما يَشاؤُنَ﴾ يتمنونه ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ذلك الثواب والتبشير.

[سورة الشورى الآيات ٢٣ -٣١]

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

﴿ ذَلِكَ الَّذي يُبَشِّرُ اللَّهُ﴾ بالتخفيف وشدّده نافع وعاصم وابن عامر ﴿ عِبادَهُ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ أي: يبشرهم به، حذف الجار ثم العائد، أو يبشرهموه ﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ﴾ كائنة ﴿ فِي الْقُرْبى﴾ مصدر بمعنى القرابة، جعلوا مكاناً للمودّة مبالغة، والإستثناء متصل أي: لا اسألكم أجراً إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس أجراً إذ نفعه عائد عليهم أو منقطع، أي: لا أسألكم أجراً قط لكن أسألكم أن تودوا قرابتي. روى الجمهور عن سعيد ابن جبير لمّا نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك؟ قال: علي وفاطمة وإبناهما ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿ حَسَنَةً﴾ عن السدّي: هي مودّة آل الرسول (ص). وعن الحسن (ع): هي مودّتنا أهل البيت ﴿ نَزِدْ لَهُ فِيها﴾ في الحسنة ﴿ حُسْناً﴾ بتضعيف ثوابها ﴿ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ﴾ للسيئات﴿ شَكُورٌ﴾ للحسنات بتوفية ثوابها ومضاعفته﴿ أَمْ﴾ بل﴿ أ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بالقرآن، أو بدعوى الرسالة﴿ فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ﴾ ينسيك القرآن فكيف تقدر أن تفتري عليه؟ أو يربط على قلبك بالصبر على أذاهم﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ﴾ الذي يقولونه﴿ وَيُحِقُّ ويثبت الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ﴾ بما أنزل من كتابه﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ عن الباقر (ع): يقول لوشئت حبست عنك الوحي فلم تكلمه يفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم، وقد قال الله: (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) يقول: يحق لأهل بيتك الولاية (انه عليم بذات الصدور) يقول بما ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظلم بعدك﴿ وَهُوَالَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾ فلا يؤاخذهم بما تابوا عنه، وعدّي بـ(عن) لتضمنه معنى الأخذ﴿ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ﴾ وقرأ حفص والكسائي بالتاء﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ أي: يستجيب الله لهم بإعطائهم ما سألوا وأثابتهم على طاعتهم، أو يستجيبون لله إذا دعاهم إلى طاعته﴿ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما فعلوا واستحقوا بالطاعة، أو بالإستجابة﴿ وَالْكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ استحقوه بكفرهم، عن الباقر (ع) في قوله: (ويستجيب الذين آمنوا) قال: هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين، ويقول العزيز الجبار: ولك مثل ما سألت لحبّك إياه. وعن النبي (ص): ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن أحسنوا إليهم في الدنيا﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ﴾ جميعهم﴿ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ لبطروا وتجبروا، وظلم بعضهم بعضاً﴿ وَلكِنْ يُنَزِّلُ﴾ وخففه ابن كثير وابو عمرو﴿ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير﴿ ما يَشاءُ﴾ بحسب مصالحهم ووفق حالهم﴿ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يعرف ما يؤول إليه أحوالهم، فيرزق على ما تقتضي حكمته وفي الحديث القدسي: إنّ من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسد، وان من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد﴿ وَهُوَ الَّذِي

﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر الذي يغيثهم من الجهد ولذا خصّ بالنافع، وشدّده نافع وعاصم وابن عامر ﴿مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا﴾ آيسوا من نزوله ﴿ويَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان ﴿وهُو الْوَلِيُّ﴾ المتولي تدبير خلقه ﴿الْحَميدُ﴾ على أفعاله ﴿ومِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَثَّ﴾ وخلق ما نشر فيهما ﴿مِنْ دابَّةٍ﴾ ممّا يدب على الأرض فانه فيهما في الجملة، أو المراد من (حيّ) من اطلاق المسبب على السبب ﴿وهُو عَلى جَمْعِهِمْ﴾ أي: حشرهم وغلّب العقلاء ﴿إذا يَشاءُ قَديرٌ﴾ في أي: وقت شاء لا يتعذر عليه ﴿وما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ﴾ بليّة ﴿فَبِما كَسَبَتْ أيديكُمْ﴾ فبسبب ذنوبكم، والفاء جزاء الشرط، أو معناه وحذفها نافع وابن عامر اكتفاء بسببية الباء ﴿ويَعْفُوا عَنْ كَثيرٍ﴾ منها فلا يعجل عقوبته رحمة واستدراجاً وما أصاب غيرهم فلزيادة الأجر، أو حكمة أخرى. سئل الصادق (ع) أرأيت ما أصاب علياً (ع) وأهل بيته من بعده أهو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون؟ فقال (ع): ان رسول الله (ص) كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرّة من غير ذنب، ان الله يخص أو لياءه المصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب. ﴿وما أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ في الأرضِ﴾ بفائتين ما قضى عليكم من المصائب في الدنيا ﴿وما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وليٍّ﴾ يحرسكم عنها ﴿ولا نَصيرٍ﴾ يدفعها عنكم.

[سورة الشورى الآيات ٣٢ - ٥٣]

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ

ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿ ومِنْ آياتهِ الْجَوارِ﴾ السفن الجارية ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالاعْلامِ﴾ كالجبال. واثبت ابن كثير الياء مطلقاً ونافع وابو عمرو وصلاً ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ وجمعها نافع ﴿ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ﴾ فيبقين واقفة ﴿ عَلى ظَهْرِهِ﴾ ظهر البحر ﴿ إِنَّ فِي ذلِكَ لأياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ على البلاء ﴿ شَكُورٍ﴾ للنعم ﴿ أَو يُوبِقْهُنَّ﴾ أو إن يشاء يهلكهن بأهلهن بصنوف الريح ﴿ بِما كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿ ويَعْفُ﴾ بالجزم ﴿ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منهم فينجيهم وقسيم يسكن ما حاصله، أو يرسلها فيهلك ناساً بذنوبهم وينج ناساً بعفوه عنهم ﴿ ويَعْلَمَ﴾ عطف على علّة مقدّرة أي: لينتقم منهم ويعلم، ورفعه نافع وابن عامر استئنافاً ﴿ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ مهرب من العذاب وجملة النفي معلق عنها يعلم، أو سادّة مسدّ مفعوليه ﴿ فَما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ تمتعون به زمن حياتكم والفاء لتضمن (ما) معنى الشرط بخلاف ﴿ وما عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وأَبْقى﴾ إذ لا ينقص ولا ينقطع ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ﴾ في أمورهم ﴿ والَّذِينَ﴾ عطف على الذين آمنوا، أو مدح مرفوع، أو منصوب ﴿ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الاثْمِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم ﴿ والْفَواحِشَ وإِذا ما غَضِبُوا هُمْ﴾ تأكيد للضمير، أو مبتدأ خبره ﴿ يَغْفِرُونَ والَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإيمان. القمي قال: في إقامة الإمام ﴿ وأَقامُوا الصَّلاةَ وأَمْرُهُمْ شُورى﴾ مصدر بمعنى التشاور، أي: ذو تشاور ﴿ بَيْنَهُمْ﴾ لا يقدمون عليه حتى يتشاوروا فيه ﴿ ومِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿ والَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ بلا تعدّ لما حدّ الله لهم، ولا ينافي وصفهم بالغفران لاختلاف المحل

إذ العفو إنما يحسن عن العاجز لا الباغي المتغلب، والانتصار بالعكس ﴿وجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾ سمّي الجزاء (سيئة) للإزدواج ﴿فَمَنْ عَفا﴾ عن حقه ﴿وأَصْلَحَ﴾ بينه وبين خصمه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وهو خيرٌ له من انتصاره ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمينَ﴾ البادين بالظلم والمتعدين في الانتصار ﴿ولَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ بعد أن ظُلم ﴿فَاولئكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبيلٍ﴾ مؤاخذة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ في الأَرضِ بغَيْرِ الْحَقِّ أولئكَ لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ﴾ بظلمهم وبغيهم ﴿ولَمَنْ صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وغَفَرَ﴾ وصفح ﴿إِنَّ ذلكَ﴾ الصبر والصفح ﴿لَمِنْ عَزْمِ الامُورِ﴾ معزوماتها المأمور بها ﴿ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يخلّيه وضلاله ﴿فَما لَهُ مِنْ وليٍّ﴾ ناصر يتولاّه من بعده بعد خذلان الله إياه ﴿وتَرَى الظَّالِمينَ لَمَّا رَأَوا الْعَذابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلى مَرَدٍّ﴾ الى الدنيا ﴿مِنْ سَبيلٍ وتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها﴾ على النار المدلول عليها بالعذاب ﴿خاشِعينَ﴾ متواضعين ﴿مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يبتدئ نظرهم إليها من تحريك لأجفانهم ضعيف نظر مسارقة ﴿وقالَ الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ الْخاسِرينَ الَّذينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وأَهْليهِمْ يَومَ الْقِيامَةِ﴾ لتخليدهم في النار، وعدم انتفاعهم بأهليهم ﴿أَلا إِنَّ الظَّالِمينَ في عَذابٍ مُقيمٍ﴾ من كلامهم، أو قول الله ﴿وما كانَ لَهُمْ مِنْ أَولياءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ومَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ سَبيلٍ﴾ يوصله إلى الجنة ﴿اسْتَجيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَومٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ صلة (مردّ) أي: لا يردّه الله بعد إتيانه، أو ليأتي أي: قبل أن يأتي يوم من الله لا ردّ له ﴿ما لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ﴾ مَعْقل ﴿يَومَئذٍ وما لَكُمْ مِنْ نَكيرٍ﴾ إنكار لحربكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن إجابتك ﴿فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفيظاً﴾ رقيباً ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ وقد بلغت ﴿وإِنَّا إِذا أَذَقْنَا الإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها﴾ أريد جنس الإنسان بدليل ﴿وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيديهِمْ فَإِنَّ الإِنْسانَ كَفُورٌ﴾ بليغ الكفران يجحد النعمة ويشكو المصيبة، و وضع

الإنسان موضع ضميره تسجيلاً على جنسه بذلك﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماوات والأرضِ﴾ لا يشركه أحد فيه﴿ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ﴾ من الأولاد﴿ إِناثاً ويَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أو يُزَوِجُهُمْ ذُكْراناً وإِناثاً ويَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً﴾ عن الباقر (ع): (يهب لمن يشاء إناثاً) يعني: ليس معهن ذكر، (ويهب لمن يشاء الذكور) يعني: ليس معهن أنثى، (أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً) أي: يهب لمن يشاء ذكراناً وإناثاً جميعاً يجمع له البنين والبنات أي: يهبهم جميعاً لواحد، قيل: وانما قدّم الإناث أولاً وأخّرها ثانياً، وعرّف الذكور ونكّر الإناث، لأن مساق الآية للدّلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيّة الله لا مشية الناس فكان ذكر الإناث مما لا يشاؤه الناس، أو لتطيب قلوب آبائهن به بالتوطين على قضاء الله، أو للفاصلة. ولمّا أخّر الذكور تدارك تأخيرهم لأن التعريف تنويه وتشهير، ونكّر الإناث للتحقير[1]، ثم أعطى كلّا من الجنسين حقه من التقديم والتأخير ليعلم أن تقدّمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لغرض آخر﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وحْياً﴾ بأن يشاهد ملكاً فيسمع منه، أو يقع في قلبه من غير مشاهدة أحد﴿ أو مِنْ وراءِ حِجابٍ﴾ بأن يسمع صوتاً من غير مشاهدة﴿ أو يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ ملكاً كجبرئيل﴿ فَيُوحِيَ﴾ الرسول إلى النبي﴿ بِإِذْنِهِ﴾ بأمر الله﴿ ما يَشاءُ﴾ الله. وقيل: الوحي الإلهام والمنام، وقيل: الوحي: هو الإلقاء إلى الرسل بواسطة الملائكة، وإرسال الرسل: إرسال الأنبياء إلى الأمم وانتصب (وحياً) و(ما) عطف عليه مصادر أي: الاّ وحياً أو إسماعاً أو إرسالا إذ كل منها نوع من الكلام، أو أحوالاً أي: الاّ موحياً أو مسمعاً أو مرسلاً. ورفع نافع يرسل وسكن ياء (يوحي) القمي: قال: وحي مشافهة

---

(١) الخالق العادل أجل وأعلى من أن يحتقر خلقه وهو القائل: (ولقد كرمنا بني آدم) وهذه الآراء في التفسير تعبّر عن رأي أصحابها. علماً إن هذه التفسيرات ـ وامثالها ـ هي التي جعلت البعض يتهم الإسلام بأنه دين يحتقر المرأة وينال من إنسانيتها . والإسلام بريء من كل هذا.

و وحي إلهام وهو الذي يقع في القلب، أو من وراء حجاب كما كلّم اللّه نبيه (ص) وكما كلّم اللّه موسى (ع) من النار أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، قال: وحي مشافهة يعني: إلى الناس ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿ حَكِيمٌ﴾ في أفعاله ﴿ وكَذلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى سائر الرسل ﴿ أوحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا﴾ هو القرآن تحيى به القلوب. وقيل: جبرئيل. وعن الصادق (ع): خَلْقٌ من خَلْقِ اللّه أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول اللّه (ص) يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده. وفي رواية: منذ أنزل اللّه ذلك الروح على محمد (ص) ما صعد الى السماء وإنه لفينا. ﴿ ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ﴾ القرآن ﴿ ولا الإِيمانُ﴾ أي: شرائعه التي لا يستقل بمعرفتها العقل ﴿ ولكِنْ جَعَلْناهُ﴾ أي: الكتاب، أو الإيمان ﴿ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا﴾ ممّن نعلمه أهلاً للّطف أي: نوفقه به لقبول الحق. وعن الصادق (ع): قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتى بعث اللّه الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها اللّه عزّ وجلّ من شاء فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم وعن الباقر (ع): (ولكن جعلناه نوراً) يعني: علياً (ع)، علي (ع) هو النور يهدي به من هدى من خلقه. ﴿ وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال (ع): يعني: انك لتأمر بولاية علي (ع) وتدعو إليها، وعلي هو الصراط المستقيم. وقيل: إلى دين الإسلام ﴿ صِراطِ اللّهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿ أَلا إِلَى اللّهِ﴾ الى حيث لا حكم سواه ﴿ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ ترجع وفيه وعد ووعيد.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الشورى وتفسيرها.

سورة الزّخرف

تسع وثمانون آية مكية

قيل: إلاّ آية: «وسئل من أرسلنا»

[الآيات١-١٠]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾

عن الباقر (ع): من قرأها أمن من هوام الأرض، وضغطة القبر حتى يقف بين يدي الله، ثم جاءت حتى يدخله الجنة بأمر الله.﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم والْكِتابِ الْمُبِينِ﴾ والقرآن الموضح سبيل الحق وما يحتاج إليه في الدين ﴿إِنّا جَعَلْناهُ

قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا معانيه. قيل: ومن لطائف البديع أن أقسم به على أنه جعله كذلك لدلالة المقسم به على المقسم عليه ﴿وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ﴾ في اللوح المحفوظ، أو أصل الكتب. وكسر حمزة والكسائي همزة (أم) ﴿لَدَيْنا﴾ بدل منه وهو حال منه ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على سائر الكتب ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة وهما خبران لـ(إن). وعن الصادق (ع): هو أمير المؤمنين (في أم الكتاب) يعني: الفاتحة فإنه مكتوب فيها في (اهدنا الصراط المستقيم) قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين (ع) ومعرفته. ﴿أَ فَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحاً﴾ مصدر من غير لفظه إذ إمساكه عنهم إعراض، أو علّة، أو حال أي: صافحين فلا نعرفكم ما يجب عليكم ﴿أَنْ لأجل﴾ أن ﴿كُنْتُمْ قَوماً مُسْرِفِينَ﴾ مشركين وكسر نافع وحمزة والكسائي إن لجعلها شرطيّة يعلم جوابها ممّا قبلها ﴿وكَمْ أَرْسَلْنا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأولِينَ وما يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ تسلية له (ص) عن استهزاء قومه ﴿فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾ أي: من قومك عدل عن خطابهم إلى خطابه عنهم ﴿ومَضى مَثَلُ الأولِينَ﴾ سلف في القرآن قصتهم العجيبة فليحذر هؤلاء مثله ﴿ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوات والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ يعني: إقرّوا بعزّي وعلمي وما بعده استئناف ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ﴾ مهاداً: فراشاً، وقرأ الكوفيّون ﴿مَهْداً﴾ مصدر سمّي به كالفرش ﴿وجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً﴾ تسلكونها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الى مقاصدكم في أسفاركم.

[سورة الزخرف الآيات ١١ - ٢٢]

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ

وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

﴿ والَّذي نَزَّلَ منَ السَّماء ماءً بقَدَر﴾ بمقدار ينفع ولا يضرّ﴿ فَأنْشَرْنا به بَلْدةً مَيْتاً﴾ فأحيينا به أرضاً لا نبات فيها﴿ كَذلكَ تُخرَجُونَ﴾ تنشرون من قبوركم﴿ والَّذي خلَقَ الازْواجَ كُلَّها﴾ أصناف المخلوقات﴿ وجَعَلَ لَكُمْ منَ الفُلْك والانْعامِ ما تَرْكَبُونَ﴾ حذف العائد منصوباً أي: تركبونه﴿ لِتَسْتَوُوا﴾ لتستقروا﴿ عَلى ظُهُورِهِ﴾ الهاء لما

والجمع ﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ مقرّين بها شاكرين عليها ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ مطيقين مقاومين له في القوة ﴿ وإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ راجعون ولعله لأن الركوب يذكر الجنازة، أو باخطاره فينبغي أن يستعد الراكب للقاء ربه. عن الرضا (ع): فإن ركبت الظهر فقل: (الحمد لله الذي سخر ...)إلخ وعن أبيه إن خرجت براً فقل الذي قال الله: (سبحان...)إلخ، فانه ليس من عبد يقولها عند ركوبه فيقع من بعير أو دابّة فيصيبه شيء بإذن الله. ﴿ وجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً ﴾ ولداً إذ قالوا: (الملائكة بنات الله)[1] لأن الولد جزء الوالد. قال (ص): فاطمة بضعة مني وضمّ ابو بكر الزاء ﴿ إِنَّ الأنسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ ظاهر الكفر، أو الكفران بنسبة الولد إلى الله ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وأَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ معنى الهمزة في (أم) الإنكار والتعجيب من شأنهم، حيث لم يقنعوا بأن جعلوا له جزء حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس مما اختير لهم، وأبغض الأشياء إليهم بحيث إذا بُشّر بها أحدهم اشتد غمّه به كما قال: ﴿ وإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ﴾ بالجنس الذي جعله شبهاً إذ الولد يشبه الوالد ﴿ ظَلَّ ﴾ صار ﴿ وجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ لما يلحقه من الغم ﴿ وهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ممتلئ كرباً ﴿ أَ ومَنْ ﴾ إنكار أي: أو جعلوا له من ﴿ يُنَشَّؤُا ﴾ يتربّى، وضم الياء حفص وحمزة والكسائي مع فتح النون وتشديد الشين أي: يربّى ﴿ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ في الزينة ﴿ وهُوَ فِي الْخِصامِ ﴾ في المخاصمة ﴿ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ للحجة لضعف عقله يعني: الإناث ﴿ وجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً ﴾ بنسبتهم بنات الله، وقرأ الحرميان وابن عامر عند الرّحمن اشارة إلى قوله تعالى: (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته)[2] ﴿ أَ شَهِدُوا ﴾

---

(١) حكى القرآن ذلك عنهم في سورة النحل الآية ٥٧.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٩.

احضروا﴿ خَلْقَهُمْ﴾ فرأوهم إناثاً وقرأ نافع بهمزتين الثانية مضمومة بين بين، وقيل: يدخل بينهما الفاً﴿ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث﴿ وَيُسْئَلُونَ﴾ عنها يوم القيامة ﴿ وقالُوا لَو شاءَ الرَّحْمنُ﴾ أن لا نعبد الملائكة﴿ ما عَبَدْناهُمْ﴾ فإنما عبدناهم بمشيئة كأنهم مجبّرة، فردّ الله عليهم:﴿ ما لَهُمْ بِذلِكَ﴾ المقول من مشيّته القبيح بالذات ﴿ مِنْ عِلْمٍ﴾ مستندٌ إلى حجة﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون فيه﴿ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً مِنْ قَبْلِه﴾ من قبل القرآن، أو الرسول﴿ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: ليس الأمر هكذا﴿ بَلْ قالُوا إِنَّا وجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ﴾ ملّة تؤم أي: تقصد﴿ وإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ بهم أي: لا مستند لهم الا التقليد.

[سورة الزخرف الآيات ٢٣ -٣٣]

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿ وكَذلكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلكَ في قَرْيَةٍ مِنْ نَذيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها﴾ مُتَنعمُوها الذين أبطرهم الترفه عن النظر مثل قول قومك ﴿ إنَّا وجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وإنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ فلا تغتمّ لضلال قومك، فان التقليد ضلال قديم، وفيه تسلية له (ص) ﴿ قل﴾ أمر للنبي (ص) أو حكاية أمر النذير، ويعضده قراءة ابن عامر وحفص ﴿ قالَ أ ولَو﴾ أي: أ تتبعون آباءكم ولو ﴿ جِئْتُكُمْ بأَهْدى مِمَّا وجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ﴾ من الدين ﴿ قالُوا إنَّا بما أُرْسِلْتُمْ به كافِرُونَ﴾ ولا ننظر فيه وإن كان أهدى ﴿ فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾ بالإستئصال ﴿ فَانْظُرْ كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبينَ﴾ ولا تكترث بتكذيبهم ﴿ وإذْ﴾ اذكر وقت الذي ﴿ قالَ إبْراهِيمُ﴾ أشرف آبائهم وقد ترك التقليد لأجل الدليل فهو أحق بأن يتبعوه في قوله، وإن كان بناؤهم على التقليد ﴿ لأبيه وقَومه إنَّني بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ بريء من عبادتكم، أو معبودكم مصدر نعت به ﴿ إلاّ الَّذي فَطَرَني﴾ منقطع أو متّصل إن شملته (ما) وكانوا يعبدونه وغيره، أو صفة بجعل (ما) موصوفة، أي: من الهة تعبدونها غير خالقي ﴿ فَإنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ الى طريق الجنة،

أو يثبّتني على دينه﴿ وجَعَلَها﴾ أي: الله، أو إبراهيم﴿ كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِه﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يوحّد الله ويدعوإلى توحيده ويكون إماماً وحجة على الخلائق ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحّده. عن السجّاد (ع): فينا نزلت هذه الآية: (وجعلها كلمة باقية في عقبه) والامامة في عقب الحسين إلى يوم القيامة. والقمي: يعني الائمة (ع) يرجعون إلى الدنيا﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلاءِ وآباءَهُمْ﴾ المعاصرين لك وآباءهم الكفرة بالمدّ في العمر والنعمة، فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات﴿ حَتَّى جاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن﴿ ورَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بيّن الرسالة بالحجة، أو موضح للحجة﴿ ولَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وإِنَّا بِه كافِرُونَ﴾ ازدادوا عناداً فجحدوا القرآن وكابروا الرسول﴿ وقالُوا لَولا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ من إحدى القريتين مكة، أو الطائف﴿ عَظِيمٍ﴾ بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، فإن الرسالة منصب عظيم لا يليق إلاّ بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي العظمة المعنوية بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل﴿ أَ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ إنكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم، والمراد بـ(الرحمة) النبوة﴿ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها﴿ ورَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾ وأوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا﴾ مسخراً يستخدمه في حوائجه، فينتفع كل بالآخر فينتظم بذلك أمر العالم﴿ ورَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة، أو النبوة لك﴿ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من عرض الدنيا﴿ ولَولا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾ لولا أن يرغبوا في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه .

[سورة الزخرف الآيات ٣٤-٤٧]

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ

فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

﴿ ولِبُيُوتِهِمْ أَبْواباً وسُرُراً﴾ من فضة ﴿ عَلَيْها يَتَّكِؤُنَ وزُخْرُفاً﴾ أي: وجعلنا لهم زينة أو ذهباً. عن الصادق (ع): لوفعل الله ذلك لهم لما آمن أحد ولكنّه جعل في المؤمنين أغنياء وفي الكافرين فقراء، وجعل في المؤمنين فقراء وفي الكافرين أغنياء، ثم امتحنهم بالأمر والنهي والصبر والرضا. وعن السجّاد (ع): عنى بذلك: أمة محمد (ص) أن يكونوا على دين واحد كفاراً كلهم، ولو فعل ذلك بأمة محمد (ص) لحزن المؤمنون وغمهم ذلك، ولم يناكحوهم، ولم يوارثوهم. ﴿ وإِنْ﴾ وانه ﴿ كُلُّ ذلكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ (اللام) فارقة، و(ما) زائدة وشدّدها عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه بمعنى (إلا)، و(ان) نافية ﴿ والآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ ومَنْ يَعْشُ﴾ يقال: (عشى) كـ(دعا) تعامى، وعشي كـ(رضي) عمي. أي: ومن يتعامى ويُعرِض ﴿ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ﴾ أي: القرآن لإقباله على الدنيا ﴿ نُقَيِّضْ﴾ نهيئ ﴿ لَهُ شَيْطاناً﴾ أي: نخلي بينه وبينه لإعراضه عن الحق ﴿ فَهُو لَهُ قَرِينٌ﴾ ملازم يغويه، وقرأ يعقوب بالياء. وعن علي (ع): من تصدّى بالإثم أغشي عن ذكر اللّه، ومن ترك الأخذ عمن أمر اللّه بطاعته قيّض له شيطاناً فهو له قرين ﴿ وإِنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿ عَنِ السَّبِيلِ﴾ دين الله. وجمع الضميرين للمعنى ﴿ ويَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الضمائر للعاشين ﴿ حَتَّى إِذا جاءَنا﴾ أي: العاشي وقرينه ﴿ قالَ﴾ لقرينه ﴿ يا لَيْتَ بَيْنِي وبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بعد المشرق والمغرب، غلب المشرق فثنى ﴿ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أنت ﴿ ولَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَومَ﴾ تمنيكم ﴿ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ إذ ظهر ظلمكم بكفركم في الدنيا، بدل من (اليوم) ﴿ أَنَّكُمْ﴾ لأنكم مع قرنائكم

﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كنتم مشتركين في الكفر، أو هو فاعل ينفع أي: لن ينفعكم اشتراككم في العذاب. عن الباقر (ع): هاتان الآيتان هكذا: حتى إذا جاءنا يعني فلاناً وفلاناً يقول أحدهما لصاحبه حين يراه يا ليت بيني...إلخ فقال الله لنبيه قل: لفلان وفلان وأتباعهما لن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم آل محمد حقهم إنكم في العذاب مشتركون[1]. ﴿أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أو تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ شبّهوا في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصم والعمي ﴿ومَنْ كانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ بيّن أي: لا تقدر على جبرهم على الإيمان، فلا تحزن لكفرهم ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أي: فان قبضناك قبل أن يبصرك عذابهم، و(ما) مزيده للتأكيد ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعدك ﴿أو نُرِيَنَّكَ الَّذِي وعَدْناهُمْ﴾ أو أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ لا يفوتوننا ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ لا يفوتوننا. وعن الصادق (ع) قال: فأما نذهبنّ بك يا محمد (ص) من مكة إلى المدينة فإنا رادوك إليها ومنتقمون منهم بعلي (ع). ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ عن الباقر (ع): إنك على ولاية علي (ع)[2] وعلي (ع) هو الصراط. ﴿وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ ولِقَوْمِكَ وسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ عن الباقر (ع): نحن قومه ونحن المسؤولون. وعن الصادق (ع): إيّانا عنى ﴿وسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا أَ جَعَلْنا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ هل حكمنا بعبادة الأوثان؟ وهل جاءت في ملّة من مللهم؟ عن الباقر (ع): ان ذلك السؤال منهم كان في

---

(١) اسلفنا في أكثر من تعليق ان الروايات التي تتحدث عن وقوع تحريف في القرآن الكريم هي روايات مرفوضة عند الشيعة الإمامية. وكذلك الروايات التي لا تناسب مع أسلوب أهل البيت(ع) في التعامل مع الرأي الآخر.

(٢) لم أفهم كيف يأمر الله تعالى النبي(ص) بالتمسك بولاية الإمام علي(ع)؟ علماً انني لم أعثر على هذه الرواية في الكتب المعتبرة.

المعراج ﴿ولَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَونَ ومَلائِه فَقالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ العالَمينَ﴾ تسلية له (ص) ورد لطعنهم فيه بفقره، واستشهاد بدعوة موسى إلى التوحيد ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا إِذا هُمْ مِنها يَضْحَكُونَ﴾ فاجأوا وقت ضحكهم منها استهزاءً بها.

[سورة الزخرف الآيات٤٨-٦٠]

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ

﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وما نُريهِمْ مِنْ آيةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان والجراد وغيرهما ﴿إلاّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها﴾ قرينتها فاللاحقة أكبر من سابقتها، أو كل منهما كبيرة بحيث يحكم من رآها بأنها أكبر من سابقتها، والمراد وصف الكل بالكبير ﴿وأَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ﴾ بتلك الآيات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم ﴿وقالُوا يا أيهَا السَّاحِرُ﴾ قيل أي: العالم الماهر كانوا يرون السحر علماً ويستعظمونه. وقيل: سمّوه (ساحراً) لكفرهم وإن وعدوه بالاهتداء، وضمّ ابن عامر هاء (أيّه) ﴿ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ﴾ بعهده ﴿عِنْدَكَ﴾ من النبوة، أو كشف العذاب عمن آمن ﴿إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: إن كشفت عنا العذاب ﴿فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهدهم بالاهتداء ﴿ونَادىَ فِرْعَونُ فِي قَومِهِ﴾ في مجمعهم وفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿قالَ يا قَومِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وهذِهِ الأنْهارُ﴾ أنهار النيل ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصوري، أو أوامري وفتح الياء نافع والبَزي وأبو عمرو، و(الواو) للحال أو العطف فتجري خبر أو حال ﴿أَفَلا تُبصِرُونَ﴾ ما أنا فيه ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مع هذه المملكة والغبطة ﴿مِنْ هذَا الَّذي هُو مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير لا يستعد للرياسة ﴿ولا يَكادُ يُبِينُ﴾ الكلام للأثر الباقي من عقدة اللسان و(أم) متصلة بتقدير: أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أني خير منه، فأقيم المسبب مقام سببه، أو منقطعة والهمزة لتقرير فضله الذي ذكر أسبابه ﴿فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب﴾ أي: فهلاّ ألقي إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً إذ كانوا إذا سودوا رجلاً طوّقوه بطوق من ذهب وأساورة جمع (أسوار) بمعنى: السّوار وقرأ حفص (أَسْوِرَةٌ) جمع: سوار ﴿أو جاءَ مَعَهُ

﴿الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ به، أو يقترن بعضهم ببعض يعضدونه ويصدقونه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ استخف أحلامهم، أو طلب منهم الخفة في مطاوعتهم ودعاهم ﴿فَأَطاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به ﴿إِنَّهُمْ كانُوا قَوماً فاسِقِينَ﴾ متمردين في الكفر ﴿فَلَمَّا آسَفُونا﴾ أغضبونا بالإفراط في العناد ﴿انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في اليم[1]، عن الصادق (ع): إن الله لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضى نفسه، وسخطهم سخط نفسه... الخبر. ﴿فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار مصدر وصف به، أو جمع (سالف) كـ(خَدَم). وضمّ حمزة والكسائي اللاّم جمع (سليف) كـ(رغيف) ﴿ومَثَلاً للاخِرِينَ﴾ عبرة يعتبرون بها فلا يقدمون على مثل أفعالهم ﴿ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ قيل: ضربه المشركون لمّا نزل: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)[2] فقالوا إن النصارى يعبدون عيسى وقد رضينا أن يكون إلهنا معه، أو إذا جاز أن يعبد عيسى فالملائكة أولى بذلك، أو أن محمداً (ص) يريد أن نعبده كما عُبِدَ عيسى (ع) ﴿إِذا قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجون فرحاً لزعمهم انقطاع الرسول به، وضمّ نافع وابن عامر والكسائي الصّاد. وعن النبي (ص): الصدود الضحك، وقيل: لمّا ضرب ابن مريم مثلاً لعلي (ع) أن فيه شبهاً منه. ﴿وقالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: الأصنام خير أم عيسى فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه، أو الملائكة خير أم عيسى فإذا جاز أن يعبد فهم أولى به، أو آلهتنا خير أم محمد (ص) أي: هي خير منه. وخفف الكوفيون الهمزتين يتلوهما ألف ﴿ما ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾

---

(١) البحر.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٩٨.

لا خصومة ولا بحثاً عن الحق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ شديد والخصومة ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما عيسى ﴿إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَني إِسْرائيلَ﴾ كالمثل في الغرابة بخلقه من غير أب ليستدلوا به على قدرة الله على ما يشاء ﴿ولَوْنَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ﴾ بدلكم ﴿مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ يقومون مقامكم. والغرض بيان كمال قدرته وكون الملائكة في السماء لا يوجب لهم الألوهية عن علي (ع) قال: جئت إلى النبي (ص) يوماً فوجدته في ملأ من قريش، ثم قال: يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم أحبه قوم فأفرطوا في حبّه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا، واقتصد منه قوم فنجوا، فعظم ذلك عليهم، فضحكوا وقالوا: يشبهه بالأنبياء والرسل، فنزلت هذه الآية.

[سورة الزخرف الآيات ٦١ -٧٣]

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ

بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿ وإنَّهُ﴾ أي: عيسى ﴿لَعِلْمٌ للسَّاعَةِ﴾ يعلم قربها بنزوله لأنه من أشراطها، أو يعلم البعث من إحيائه الموتى، وقيل: الهاء للقرآن فانه يدل على قيام الساعة. والقمي: ثم ذكر خطر أمير المؤمنين فقال: وإنه لعلم للساعة ﴿ فَلا تَمْتَرُنَّ بها واتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ قال: يعني: أمير المؤمنين (ع) ﴿ ولا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ﴾ عن دين الله. والقمي: الثاني، عن علي (ع) ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌمُبِينٌ﴾ للعداوة ﴿ ولَمَّا جاءَ عِيسى بالْبَيِّناتِ﴾ المعجزات، أو الشرائع ﴿ قالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة، أو الإنجيل ﴿ ولأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفُونَ فيهِ﴾ من أمر الدين والدنيا والبعض أمر الدين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعُونِ﴾ فيما أرسلني به ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُو رَبِّي ورَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ هذا الدين أي: توحيده وعبادته ﴿ صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ دين قيم ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزابُ﴾ الفرق المتحزبة ﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اليهود والنصارى، أو فرق النصارى في عيسى أ هو، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوا في عيسى ﴿ مِنْ عَذابِ يَومٍ أَليمٍ﴾ القيامة ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر كفّار مكة ﴿ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل من

الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بها. قيل: مجيئها لغفلتهم عنها﴿ الاخلاءُ يَومَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُو﴾ القمي: يعني: الأصدقاء يعادي بعضهم بعضاً. وقال الصادق (ع): ألا كل خلّة كانت في الدنيا في غير الله فإنها تصير عداوة يوم القيامة. ﴿ إلاّ الْمُتَّقينَ﴾ فان خلّتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآبد وعنه (ع) والله ما أراد بهذا غيركم﴿ يا عِبادِ﴾ فتح أبو بكر الياء وصلاً، وسكنها نافع وأبوعمرو وابن عامر مطلقاً، وحذفها الباقون﴿ لا خَوفٌ عَلَيْكُمُ اليَومَ ولا أنْتُمْ تَحزَنُونَ﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله﴿ الَّذينَ آمَنُوا بِآياتنا﴾ صفة (عبادي) القمي: يعني: الائمة (ع).﴿ وكانُوا مُسْلِمينَ﴾ مخلصين﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أنْتُمْ وأزْواجُكُمْ﴾ المؤمنات﴿ تُحْبَرُونَ﴾ القمي: تكرمون[1]﴿ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ جمع (صحفة) أي: قصعة﴿ وأكْوابٍ﴾ جمع (كوب) وهو كوز لا عروة له﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس﴾ من النعم. وقرأ نافع وابن عامر وحفص (تَشْتَهِيه)﴿ وتَلَذُّ الأعْيُنُ﴾ من المناظر الحسنة وأجمل بالصنفين ما يعجز الخلق عن تفصيله﴿ وأنْتُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ لا تتنغصون من خوف الزوال. عن القائم (ع): إن الجنة لا حمل فيها للنساء ولا ولادة ولا طمث ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين كما قال الله، فإذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التي يريد كما خلق آدم عبرة. وعن الصادق (ع): ان الرجل في الجنة يبقى على مائدته أيام الدنيا ويأكل في أكلة واحدة بمقدار أكله في الدنيا.﴿ وتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأعمالكم﴿ لَكُمْ فِيها فاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْها﴾ بعضها

---

(١) ليس معنى(تحبرون) هو تكرمون. ولم يرد هذا في لغة العرب . بل هي مأخوذة من (الحَبَرة) ومعناها: ثوب فاخر من الحرير يتخذ للزينة . فيكون المراد : انهم يرتدون في الجنة ثياباً من الحرير، هم وأزواجهم . بقرينة قوله تعالى: (ولباسهم فيها حرير) سورة الحج الآية ٢٣.

﴿تَأْكُلُونَ﴾ ويخلق الله بدله. قيل: ولعل تفصيل النعم بالمطاعم والملابس وتكريره بالقرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعيم الجنة لما كان بهم من الشدّة والفاقة.

[سورة الزخرف الآيات ٧٤ - ٨٩]

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ

ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿ إنَّ الْمُجْرِمينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ﴾ القمي: هم أعداء آل محمد (ص) ﴿ لا يُفَتَّرُ﴾ لا يخفف ﴿ عَنْهُمْ وهُمْ فيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون ساكتون ﴿ وما ظَلَمْناهُمْ﴾ بالعذاب ﴿ ولكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ﴾ بجرمهم ﴿ ونادَوا يا مالِكُ﴾ هو خازن النار. وعن علي (ع) انه قرأ (يا مال) على الترخيم. قيل: ولعله إشعار بأنهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بتمامه. ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿ قالَ﴾ قيل: بعد مائة عام، أو ألف ﴿ إِنَّكُمْ ماكِثُونَ﴾ في العذاب بلا موت، قال تعالى بعد جواب مالك: ﴿ لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالْحَقِّ﴾ على لسان رسولنا، أوكلاهما قول الله ﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾ لأنه شاق عليكم وقد أَلِفتم راحة الباطل. القمي: (الحق) ولاية أمير المؤمنين (ع) ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا﴾ أحكموا ﴿ أَمْراً﴾ في كيد محمد (ص) ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكمون أمراً في مجازاتهم ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ حديث نفسهم ﴿ ونَجْواهُمْ﴾ تناجيهم ﴿ بَلى﴾ نسمعها ﴿ ورُسُلُنا﴾ الحفظة مع ذلك ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك. القمي: يعني ما تعاهدوا عليه في الكعبة أن لا يردوا الأمر في بيت رسول الله (ص) ﴿ قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ ولَدٌ﴾ فرضاً ﴿ فَأَنَا أَولُ الْعابِدِينَ﴾ للولد، لان تعظيمه تعظيم لوالده. وقيل: فأنا أول العابدين لله الموحدين له، وعن علي (ع) أي: الجاحدين .والقمي: يعني أول الآنفين لله عز وجل أن يكون له ولد وقرأ حمزة والكسائي (وُلْد) بضم الواو وسكون اللام ﴿ سُبْحانَ رَبِّ السَّماوات والأرضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

من كونه ذا ولد﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ في باطلهم﴿ ويَلْعَبُوا﴾ في دنياهم﴿ حَتَّى يُلاقُوا يَومَهُمُ الَّذي يُوعَدُونَ﴾ أي: القيامة﴿ وهُوالَّذي في السَّماءِ إلهٌ﴾ معبود. وبه يتعلق الظرف وكذا ﴿ وفي الأرضِ إلهٌ وهُو الحَكيمُ﴾ في صنعه﴿ العَليمُ﴾ بكل شيء ﴿ وتَبارَكَ ﴾ تعظم﴿ الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماوات والأرضِ وما بَيْنَهُما وعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ القيامة﴿ وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ التفات إلى الخطاب للتهديد وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء﴿ ولا يَمْلِكُ الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونه الشَّفاعَةَ﴾ لهم عند اللّه كما زعموا﴿ إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالْحَقِّ﴾ بالتوحيد﴿ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ما شهدوا به، وهم الملائكة وعزير وعيسى فإنهم يشفعون للمؤمنين باذنه﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره﴿ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره﴿ وقيلِهِ﴾ وقول الرسول (ص) ونصب مصدرا لفعله المقدر أي: وقال قيله، أو عطفاً على محل الساعة وجرّه عاصم وحمزة عطفا عليها أي: وعلم قيله ﴿ يا رَبِّ﴾ وقيل: هو قسم جوابه ﴿ إنَّ هؤلاءِ قَومٌ لا يُؤْمِنُونَ﴾ قال تعالى﴿ فاصْفَحْ﴾ أعرض ﴿ عَنْهُمْ وقُلْ سَلامٌ﴾ منكم أي: متاركة﴿ فَسَوفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الزخرف وتفسيرها.

سورة الدّخان

سبع أو تسع وخمسون آية، مكية.

[الآيات ١ – ١٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ

قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

عن الباقر (ع): من أدمن قراءتها في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة، وظلّله تحت عرشه، وحاسبه حساباً يسيراً، وأعطاه كتابه بيمينه.﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم والْكِتابِ﴾ والقرآن﴿الْمُبِينِ﴾ للأحكام وغيرها﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ ليلة القدر ابتدأ فيها إنزاله، أو أنزل فيها جملة من اللوح إلى سماء الدنيا ثم أُنزِل على محمد (ص) نجوماً وكانت مباركة لذلك ولنزول الرحمة وقسم النعم وإجابة الدعاء فيها﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ فلذلك أنزلناه﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، أو ذي حكمة من الآجال والأرزاق وغيرها إلى السنة القابلة ولذلك أنزل فيها القرآن الحكيم، وعن الباقر والصادق (ع) أي: أنزلنا القرآن، والليلة المباركة: هي ليلة القدر. وعنهما وعن الكاظم (ع): أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل من البيت المعمور على رسول الله (ص) في طول عشرين سنة، (فيها يفرق): يعني في ليلة القدر، (كل أمر حكيم) أي: يقدّر الله كل أمر من الحق والباطل وما يكون في تلك السنة وله فيه البداء والمشية... الخبر﴿أَمْراً﴾ حال من أمر لأنه موصوف، أو من ضميره في (حكيم) أو نصب بـ(أعني) مقدراً، أو حالاً من أحد ضميري (أنزلناه)، ويراد به: ما يقابل النهي أي: آمرين، أو مأموراً، أو مصدراً لفعله المقدّر، أو لـ(يفرق) لتضمنّه معنى (يؤمر)﴿مِنْ عِنْدِنا﴾ على مقتضى حكمنا﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ بدل من (إنا كنا منذرين) أي: أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ لأجل رحمته لهم. ووضع (ربك) موضع الضمير إيذاناً بأن الربوبية اقتضت الرّحمة﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للأقوال﴿الْعَلِيمُ﴾

بالأحوال﴿ رَبِّ السَّماوات والأرضِ وما بَيْنَهُما﴾ خبر آخر، أو استئناف، وجرّه الكوفيون بدلاً من (ربّك) ﴿ إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ فيما أقررتم به من أنّه ربها علمتم ذلك، أو موقنين بشيء فأيقنوا بذلك﴿ لا إلهَ إلاّ هُو يُحْيِي ويُمِيتُ رَبُّكُمْ ورَبُّ آبائِكُمُ الأولِينَ﴾ ثم ردّ كونهم موقنين بقوله:﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ في الدنيا ويستهزءون بها﴿ فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر لهم﴿ يَومَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ قيل: يوم قحط بحيث يرون فيه من شدّة الجوع كالدخان بينهم وبين السماء وقد قحطوا حتى أكلوا الجيف، وروي: في أشراط الساعة أول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، قيل: وما الدخان؟ فتلا النبي (ص) الآية وقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة: أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره. القمي: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر﴿ يَغْشَى النّاسَ﴾ كلهم قائلين: ﴿ هذا عَذابٌ أَلِيمٌ رَبَّنا اكْشِفْ عَنّا الْعَذابَ إنّا مُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن كشفته عنّا﴿ أنّى﴾ من أين﴿ لَهُمُ الذِّكْرى﴾ التذكر بذلك﴿ وقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ لهم ما هو أعظم منه كالقرآن فلم يتذكروا﴿ ثُمَّ تَولَّوا عَنْهُ وقالُوا مُعَلَّمٌ﴾ يعلمه بشر﴿ مَجْنُونٌ﴾ القمي قال: قالوا ذلك لما نزل الوحي على رسول اللّه (ص) وأخذه الغشي فقالوا: هو مجنون﴿ إنّا كاشِفُوا الْعَذابِ﴾ القحط بدعاء الرسول (ص) أو الدخان المؤذن بقرب الساعة زماناً﴿ قَلِيلاً إنَّكُمْ عائِدُونَ﴾ الى كفركم بعد الكشف والقمي: يعني إلى القيامة، ولو كان قوله: (يوم تأتي السماء بدخان) في القيامة لم يقل: انكم عائدون، لأنه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها﴿ يَومَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى﴾ يوم القيامة، أو يوم بدر، القمي قال: القيامة والبطش التناول بصولة﴿ إنّا مُنْتَقِمُونَ ولَقَدْ فَتَنّا قَبْلَهُمْ قَومَ فِرْعَونَ﴾ اختبرناهم﴿ وجاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ على اللّه، أو شريف النسب

وهو موسى (ع)﴿ أَنْ﴾ بأن، أو أي: ﴿ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّه﴾ أرسلوهم معي، أو أدّوا حق الله من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله. والقمي: أي: ما فرض الله من الصلاة والزكاة والصوم والحج والسنن والأحكام﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ غير متهم.

[سورة الدخان الآيات ١٩ - ٣٩]

وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ

أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿ وأنْ لا تَعْلُوا﴾ تتجبروا﴿ عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته﴿ إِنِّي﴾ وفتح الحرميّان وأبو عمرو الياء﴿ بِسُلْطانٍ مُبينٍ﴾ على رسالتي قيل: ولذكر الأمين مع الأو اء والسلطان مع العلا شأن لا يخفى﴿ وإِنِّي عُذْتُ بربِّي وربِّكُمْ﴾ التجأت إليه وتوكلت عليه ﴿ أنْ تَرْجُمُونِ﴾ أن تؤذوني ضرباً، أو شتماً﴿ وإنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ كونوا بمعزل مني لا عليّ ولا لي﴿ فَدَعا رَبَّهُ﴾ بعد ما كذبوه﴿ أنَّ هؤُلاءِ قَومٌ مُجْرِمُونَ﴾ تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذا سمّاه دعاء﴿ فَأَسْرِ بعِبادِي لَيْلاً﴾ أوحى اللَّه إليه: أن أسر﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم ﴿ واتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً﴾ القمي: أي: جانباً خذ على الطريق. وقيل أي: مفتوحاً ذا جحفة واسعة، أو ساكناً على هيئته﴿ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ كَمْ تَرَكُوا﴾ كثيراً تركوا﴿ مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ﴾ محافل مزينة ومنازل حسنة﴿ ونَعْمَةٍ﴾ تنعم﴿ كانُوا فيها فاكِهِينَ﴾ متنعمين. القمي قال: النعمة في الأبدان مفاكهين النساء﴿ كَذلِكَ وأورَثْناها قَوماً آخَرِينَ﴾ بني إسرائيل، أو غيرهم﴿ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ﴾ قيل: مجاز عن عدم الإكتراث بهلاكهم والإعتداد بوجودهم، أو كناية عن أنهم لم يكن لهم عمل صالح يرفع إلى السماء، سئل ابن عبّاس هل يبكيان على أحد؟قال: نعم مصلاّه في الأرض ومصعد عمله في السماء، وعن الصادق (ع): بكت السماء على يحيى وعلى الحسين أربعين صباحاً ولم تبك إلا عليهما سئل فما بكاؤهما؟ قال:

كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء ﴿ وما كانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ ممهلين إلى وقت آخر ﴿ ولَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ ﴾ استعباد فرعون وقتل أبنائهم ﴿ مِنْ فِرْعَونَ إِنَّهُ كانَ عالِياً ﴾ متكبراً ﴿ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ في العتو والشرارة ﴿ ولَقَد اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ بأنهم ﴾ أحقاء بذلك ﴿ عَلَى الْعالَمِينَ ﴾ عالمي زمانهم ﴿ وآتَيْناهُمْ مِنَ الآياتِ ﴾ كفلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى ﴿ ما فيه بَلؤٌا مُبِينٌ ﴾ نعمة جلية، أو اختبار ظاهر ﴿ إِنَّ هؤُلاءِ ﴾ أي: كفار قريش فان قصّة فرعون كانت معترضة ﴿ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوتَتُنَا الأولى ﴾ ما العاقبة ونهاية الأمر الاّ الموتة المزيلة للحياة الدنيوية ﴿ وما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ مبعوثين ﴿ فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ في وعدكم ﴿ أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَومُ تُبَّعٍ ﴾ الحميري؟ الذي سار بالجيوش، وباني الحيرة وسمرقند، وكان صالحاً وقومه كفرة. سمّي به لكثرة أتباعه والتبايعة ملوك اليمن كالأكاسرة للفرس. وعن النبي (ص): لا تسبّوا تبّعاً فانه كان قد أسلم. وعن الصادق (ع): ان تبعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أما أنا فلوا أدركته لخدمته وخرجت معه. ﴿ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ كعاد وثمود ﴿ أَهْلَكْناهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ كما أن هؤلاء مجرمون ﴿ وما خَلَقْنَا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما لاعِبِينَ ﴾ عابثين بل لأغراض ومنافع دينية ودنيوية ﴿ ما خَلَقْناهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ إذ بهما يتم أمر المعاش والمعاد ﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ لتركهم النظر.

[سورة الدخان الآيات ٤٠ – ٥٩]

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ إِنَّ يَومَ الْفَصْلِ﴾ بين المحق والمبطل، والحق والباطل أو الحكم بين الخلق ﴿ مِيقاتُهُمْ﴾ موعدهم ﴿ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الأكبر ﴿ يَومَ لا يُغْنِي﴾ بدل من (يوم الفصل) ﴿ مَولًى﴾ بقرابة وغيرها ﴿ عَنْ مَولًى شَيْئاً﴾ من العذاب ﴿ ولا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون منه ﴿ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ بالعفو عنه، أو بالإذن بالشفاعة له ومحلّه نصب بالإستثناء، أو رفع بالبدلية ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه. عن الصادق (ع) ـ في الآية ـ: نحن والله الذين رحم الله نحن ـ والله ـ الذي

استثنى الله لكنا نغني عنهم. ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ فسرت في الصافات ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ﴾ الكثير الآثام. القمي: نزلت في أبي جهل ﴿كَالْمُهْلِ﴾ الصفر المذاب وقيل: دردي[1] الزيت. وقيل: هو ما يمهل في النار حتى يذوب ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ القمي هو الذي قد حمي وبلغ المنتهى ﴿خُذُوهُ﴾ على إرادة القول والمقول له الزبانية ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ جرّوه بعنف وغلظة. وضم التاء الحرميان وابن عامر لغتان ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسطه ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ أي: من الحميم الذي يلزمه العذاب فذكر العذاب للمبالغة، ويقال له: تقريعا وتهكما ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ بزعمك. القمي: وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا العزيز الكريم، فيعيّر بذلك في النار، وروي أنه قال للنبي (ص): ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني. وفتح الكسائي (أَنّك) أي: لأنك ﴿إِنَّ﴾ هذا العذاب ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ مكان إقامة. وضم نافع وابن عامر الميم ﴿أَمِينٍ﴾ أمنوا فيه المكاره ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من (مقام) ﴿يَلْبَسُونَ﴾ خبر ثان حال من ضميرالجار، أو استئناف ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾ هو ما رَقَّ من الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ على الأسرّة للإستيناس ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ من التزويج يعدّي بنفسه وبالباء، أو قرناهم. ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ بيض واسعات العيون من نساء الدنيا، أو غيرها. عن الصادق (ع): المؤمن يزوج ثمانمائة عذراء، وألف ثيب، وزوجتين من الحور العين. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ يحكمون ويأمرون بإحضار أي: فاكهة اشتهوا في أيّ وقت ﴿آمِنِينَ﴾ من مضرّتها وغيرها ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾ منقطع، أو متصل إذ المؤمن عند الموت مشارف الجنّة،

---

(١) دُرْديُّ الزيت: هو ما يترسب أسفل الزيت.

وفيه مبالغة في دوام الحياة كأنه قيل: ان أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل فهم يذوقونها ﴿ ووقاهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً ﴾ تفضلاً ﴿ مِنْ ربِّكَ ذلكَ هُو الْفَوزُ الْعَظِيمُ ﴾ لأنه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب ﴿ فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بلسانكَ ﴾ سهلنا القرآن بلغتك ليفهموه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون لكنهم لم يتعظوا ﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ انتظر ما يحل بهم ﴿ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ منتظرون بك الدوائر.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الدخان وتفسيرها.

سورة الجاثية

ست أو سبع وثلاثون آية، مكية.

إلاّ آية: « قل للذين آمنوا يغفروا».

[الآيات ١ - ١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ

ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

عن الصادق (ع): من قرأها كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً، ولا يسمع زفير جهنّم ولا شهيقها وهو مع محمد (ص). ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ مرّ في أوّل سورة المؤمن ﴿إِنَّ فِي السَّماواتِ والأرضِ﴾ بتقدير مضاف أي: خلقهما، أو بدونه ﴿لآياتٍ﴾ على وحدانية الصانع وقدرته وحكمته ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم المنتفعون بها. القمي: وهي النجوم والشمس والقمر، وفي الأرض ما يخرج منها من أنواع النبات للناس والدواب ﴿وفي خَلْقِكُمْ وما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ﴾ (ما) عطف على المضاف بتقدير: مثله، أو بدونه ﴿آياتٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾

رفعت حملاً على محل اسم إنّ، ونصبها حمزة والكسائي حملاً على الإسم ﴿ واخْتلاف اللَّيْلِ والنَّهارِ وما أنزَلَ اللَّهُ منَ السَّماء منْ رِزْقٍ﴾ مطر لأنه سبب الرزق ﴿ فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوتِها﴾ يبسها ﴿ وتَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها. القمي: أي: تجيء من كل جانب، وربما كانت حارة، وربما كانت باردة، ومنها ما يثير السحاب، ومنها ما يبسط الأرض، ومنها ما يلقح الشجر. وأفردها حمزة والكسائي ﴿ آياتٌ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾ بالقراءتين وفيهما عطف على عاملين، قيل: ولعل اختلاف الفواصل لاختلاف الآيات في الدقة والظهور ﴿ تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ آياتُ اللَّهِ﴾ دلائله ﴿ نَتْلُوها عَلَيْكَ﴾ متلبسين، أو متلبسة ﴿ بِالْحَقِّ فَبِأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وآياتِهِ﴾ أي: بعد آيات الله وقدم اسم الله مبالغة كأعجبني زيد وكرمه، أو بعد حديث الله أي: بالقرآن وآياته حججه ﴿ يُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بالتاء ﴿ ويْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذّاب ﴿ أثِيمٍ﴾ كثير الإثم ﴿ يَسْمَعُ آياتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يقيم على كفره ﴿ مُسْتَكْبِراً﴾ عن الإيمان بالآيات وثم لاستبعاد الإصرار بعد سماع الآيات ﴿ كَأَنْ﴾ هي المخففة واسمها ضمير شأن مقدّر أي: كأنه ﴿ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَليمٍ﴾ تهكم ﴿ وإذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا﴾ أي: القرآن ﴿ شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً﴾ استهزأ بها، وأنث الضمير لأن شيئاً بمعنى آية، أو لاستهزائه بكل الآيات إذا سمع بعضها ﴿ أولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة، والجمع للمعنى ﴿ مِنْ ورائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ قدامهم أو خلفهم وما توارى عنك فهو وراءك تقدم أو تقدم ﴿ ولا يُغْنِي عَنْهُمْ ما كَسَبُوا﴾ من مال وغيره ﴿ شَيْئاً﴾ من عذاب الله ﴿ ولا ما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أولياءَ﴾ من الأصنام ﴿ ولَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ في الشدة ﴿ هَذا﴾ أي: القرآن ﴿ هُدىً﴾ بالغ في الهداية ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ

رجز﴾ أشد العذاب﴿ أليمٌ﴾ ورفعه ابن كثير وحفص﴿ اللَّهُ الَّذي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فيه﴾ بكم﴿ بِأَمْرِهِ﴾ بتسخيره﴿ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه﴾ بالتجارة والغوص وغيرهما﴿ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم﴿ وسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماوات وما في الأرض جَميعاً﴾ بأن خلقها نافعة لكم﴿ مِنْهُ﴾ حال أي: سخرها كائنة منه، أو خبر محذوف أي: هي جميعاً منه﴿ إِنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَتفكَّرُونَ﴾ فيها.

[سورة الجاثية الآيات ١٤- ٢٢]

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ

ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿ قُلْ لِلَّذينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ أي: قل لهم: اغفروا يغفروا، فحذف الأمر لدلالة جوابه عليه ﴿لِلَّذينَ لا يَرْجُونَ أيامَ اللَّه﴾ لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه، من قولهم: (أيام العرب) لوقائعهم، أو لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها ﴿لِيَجْزِيَ قَوماً بما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ علّة للأمر، والقوم: هم المؤمنون والتنكير للتعظيم، أو الكافرون والتنكير للتحقير، أو كلاهما والتنكير للشيوع ﴿ مَنْ عَمِلَ صالحاً فَلِنَفْسِه ومَنْ أساءَ فَعَلَيْها﴾ إذ لها نفعه وعليها ضرره ﴿ ثُمَّ إلى ربِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازي كلاً بعمله ﴿ ولَقَدْ آتَيْنا بَنِي إسْرائيلَ الْكِتابَ﴾ التوراة ﴿ والْحُكْمَ﴾ والحكمة، أو فصل الخصومات ﴿ والنُّبُوةَ﴾ إذ كثر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم ﴿ ورَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّبات﴾ مما أحل الله من اللذائذ ﴿ وفَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمينَ﴾ عالمي زمانهم ﴿ وآتَيْناهُمْ بَيِّنات مِنَ الأمْرِ﴾ أدلة من أمر الدين ويندرج فيها المعجزات. وقيل: آيات من أمر النبي (ص) مبينة لصدقه ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في ذلك الأمر ﴿ إلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بحقيقة الحال ﴿ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ عداوة وحسداً ﴿ إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَومَ الْقِيامَة فيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة ﴿ ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَة﴾ طريقة ﴿ مِنَ الأمْرِ﴾ أمر الدين ﴿ فَاتَّبِعْها ولا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ آراء الجهال التابعة للشهوات. قيل: هم رؤساء قريش. قالوا: له

ارجع إلى دين آبائك ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ مما أراد بك ﴿وإِنَّ الظَّالِمينَ بَعْضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ﴾ إذ الجنسية علة الانضمام ﴿واللَّهُ ولِيُّ الْمُتَّقينَ﴾ فوال الله بالتقى واتباع الشريعة. القمي: هذا تأديب لرسول الله (ص) والمعنى لأمته ﴿هذا بَصائِرُ﴾ بينات ﴿لِلنَّاسِ﴾ تبصرهم وجه الفلاح ﴿وهُدىً﴾ من الضلال ﴿ورَحْمَةٌ﴾ من الله ﴿لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ يطلبون اليقين ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ﴾ (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان والاجتراح الإكتساب ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾ نصيرهم ونعتبرهم ﴿كَالَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ مثلهم ﴿سَواءً﴾ خبر مبتدأه: ﴿مَحْياهُمْ ومَماتُهُمْ﴾ والضمير أما للكفار فالجملة بدل من الكاف والمعنى: إنكار استواء محياهم ومماتهم في الكرامة كالمؤمنين، أو للمؤمنين فهي حال منهم ومعناه كالأول، أو للفريقين فهي حال من الموصول الثاني وضمير الأول، ومعناه: انكار استوائهم حياة وموتا، أو استواؤهم بعد الموت في الكرامة. ونصب حفص وحمزة والكسائي سواء بدل من الكاف بمعنى مستوياً وما بعده فاعله أو مفعولاً ثانياً والكاف حال والضمير للكفار ﴿ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾ بئس حكماً حكمهم هذا ﴿وخَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ومقتضاه أن لا يساوي الكافر المؤمن ﴿ولِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ عطف على بالحق لأنه بمعنى العلّة أي: للعدل، أو ليدل بها على قدرته ولتجزى ﴿وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ في الجزاء.

[سورة الجاثية الآيات ٢٣ - ٣٧]

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ
إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ
كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ
﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ
رَبُّهُمۡ فِى رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ
تَكُنۡ ءَايَٰتِى تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ
إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ

بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿ أ فرأيتَ﴾ أخبرني ﴿ مَنِ اتَّخذَ إلهَهُ هَواهُ﴾ قيل: كان أحدهم يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه، وقدّم ثاني المفعولين اعتناء به. والقمي: نزلت في قريش كلما هووا شيئاً عبدوه وجرت بعد رسول الله (ص) في أصحابه الذين غصبوا أمير المؤمنين واتخذوا إماماً بأهوائهم ﴿ وأضلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ﴾ خذله عالماً بضلاله وعدم قابليته للهداية ﴿ وختَمَ عَلى سَمْعِه وقَلْبِه﴾ لا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر ﴿ وجَعَلَ عَلى بَصَرِه غِشاوةً﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار. وقرأ حمزة والكسائي (غشوة) ﴿ فَمَنْ يَهْديه منْ بَعْدِ اللَّه﴾ بعد أن خلاّه وضلاله ﴿ أ فلا تَذكَّرُونَ﴾ تتذكرون ﴿ وقالُوا ما هِيَ﴾ ما الحياة ﴿إلاَّ حَياتُنَا الدُّنيا﴾ التي نحن فيها ﴿ نَمُوتُ ونَحْيا﴾ تموت الآباء وتحيى الأبناء، أو يموت بعض ويحيى بعض بأن يولد، والقمي: هذا مقدّم ومؤخر، لأن الدهرية لم يقروا بالبعث والنشور بعد الموت، وإنما قالوا: نحيى ونموت وما ﴿ يُهْلِكُنا إلاّ الدَّهْرُ﴾ إلاّ مرور الزمان ضمّوا إلى إنكار المعاد إنكار المبدأ ﴿ ما لَهُمْ بِذلِكَ﴾ المقول ﴿ مِنْ عِلْمٍ﴾ مستند إلى حجة ﴿ إنْ هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ﴾

يخمنون تخميناً﴿ وإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا﴾ الدالة على وجود الصانع وتوحيده ﴿ بَيِّنات واضحات﴾ ما كانَ حُجَّتَهُمْ﴾ مستمسكهم الذي يقابلونها به﴿ إِلاَّ أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ سمّي (حجة) على زعمهم فان عدم حصول الشيء حالاً لا يستلزم امتناعه مطلقاً﴿ قُلِ اللّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياء ﴿ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ﴾ لا شك﴿ فِيهِ﴾ لثبوته بالحجة﴿ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ لتركهم النظر﴿ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعميم للقدرة بعد تخصيصها﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ﴾ ويبدل منه﴿ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الفاعلون للباطل﴿ وَتَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً﴾ باركة على الركب، أو مجتمعة، والقمي: أي: على ركبها﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا﴾ صحيفة أعمالها. ويقال لهم:﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هذا كِتابُنا﴾ إضافة الى نفسه لأن الحفظة كتبوه بأمره﴿ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان﴿ إِنّا كُنّا نَسْتَنْسِخُ﴾ نستكتب الملائكة﴿ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أعمالكم. سئل الصادق (ع) عن الآية؟ فقال: ان الكتاب لم ينطق ولن ينطق ولكن رسول اللّه (ص) هو الناطق بالكتاب، قال تعالى: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) فقال إنا لا نقرأها هكذا، فقال: هكذا واللّه نزل بها جبرئيل على محمد (ص) ولكنّه ممّا حرّف[1]. قيل: كأنه (ع) قرأها «ينطق» بضم الياء وفتح الطاء ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته﴿ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الفلاح البيّن﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ آياتِي تُتْلى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بها﴿ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ﴾ عادتكم الاجرام ﴿ وَإِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ﴾ بالبعث ﴿ حَقٌّ﴾ كائن لا محالة﴿ وَالسّاعَةُ﴾ القيامة ونصبها

---

(١) هذه الروايات غير معتبرة. ولم يقع أي تحريف في القرآن الكريم كما تنص على ذلك آراء المحققين من علماء الطائفة الشيعية.

حمزة عطفاً على اسم (إن) ﴿لا رَيْبَ فيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ إنكاراً لها ﴿إنْ نَظُنُّ إلاَّ ظَنًّا﴾ أي: ما نحن إلا نظن ظناً ﴿وما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنينَ﴾ إتيانها ﴿وبَدا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها، أو هي بناء على تجسم الأعمال ﴿وحاقَ﴾ حل ﴿بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ أي: العذاب ﴿وقِيلَ الْيَومَ نَنْساكُمْ﴾ نترككم في العذاب ﴿كَما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَومِكُمْ هذا﴾ كترككم العمل بلقائه ﴿ومَأْواكُمُ النَّارُ وما لَكُمْ مِنْ ناصِرينَ﴾ يمنعونكم منها ﴿ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللَّهِ هُزُواً﴾ استهزأتم بها ﴿وغَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ فأنكرتم البعث ﴿فَالْيَومَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها﴾ التفات. وفتح حمزة والكسائي الياء وضمّا الراء ﴿ولا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبى: وهي أن يرضوا ربهم بالتوبة إذ لا تنفع حينئذ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّماواتِ ورَبِّ الأرضِ رَبِّ الْعالَمينَ﴾ إذ الكل نعمة منه ﴿ولَهُ الْكِبْرِياءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّماواتِ والأرضِ﴾ فلا يستحقها سواه ﴿وهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الجاثية وتفسيرها.

فهرس الكتاب

[سورة القصص]

[سورة العنكبوت]

[سورةالروم]

[سورة لقمان]

[سورة السجدة]

[سورة الأحزاب]

[سورة سبأ]

[سورة فاطر]

[سورة يس]

[سورة الصافات]

[سورة ص]

[سورة الزمر]

[سورة غافر]

[سورة فصلت]

[سورة الشورى]

[سورة الزخرف]

[سورة الدخان]

[سورة الجاثية]